الجامعة الأردنيّة
كلية الدّراسات العليا
قسم الدّراسات العليا للعلوم الإنسانية والاجتماعية

نظرية النظم عند العرب في ضوء مناهج التحليل اللساني الحديث

إعداد
عبد الله نايف عنبر
المشرف
الأستاذ الدّكتور: نهاد الموسى

«قدّمت هذه الرّسالة استكمالاً لمتطلبات نيل درجة الدّكتوراه في تخصص اللغة العربيّة وآدابها من كلية الدّراسات العليا بالجامعة الأردنيّة»

١٤١١هـ - ١٩٩١م

بسم الله الرحمن الرحيم

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ : ٢٧/شوال/١٤١١هـ

: ١١/ ٥/١٩٩١م

وأجازتها لجنة المناقشة المكوّنة مـــن:

الأستاذ الدكتور:نهاد الموسى مشرفاً

الأستاذ الدكتور:هاشم ياغي عضواً

الأستاذ الدكتور:يوسف بكّار عضواً

الأستاذ الدكتور:محمد بركات أبو عليّ عضواً

كلمـــــة

بصيرة ثاقبة، وأفق واسع، وحبّ للخير والتّسامح، وعزيمة قوية لاتعرف الملل، والتزام بالحقّ في كلّ المواقف، ورغبة في نشر الفضائل، صفات واضحة في شخصية الأستاذ الدكتور نهاد الموسى فقد شَمَلَ البحث بالتوجيه والنّقد والمناقشة، منذ كان فكرة إلى أنْ استوى على هذه الصّورة، فله جزيل الشكر وبارك الله جهده وجزاه الخير.

كما أتقدّم بالشكر الجزيل إلى الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور هاشم ياغي والأستاذ الدكتور يوسف بكار والأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي لما بذلوا من جهد في قراءة هذا البحث وتقويمه بالرأي السّديد والنّصح الكريم.

الباحث

ثَبَتُ المصطلحات

هذا ثبت موضّح لمجموعة من المفاهيم التي وردت في الرسالة متسقة مع مضمونها وبنائها الكليّ، وقد جاءت هذه المفاهيم واضحة في البحث غير أنّني حرصت أنْ أُثبتها في بداية البحث احتراساً ودفعاً لاحتمال اللّبس ورغبة في تعيين المراد بها، وقد ضربتُ صفحاً عن شرح كثير من المفاهيم التي نالت حظاً وافراً من التوضيح على صورة عناصر أساسية في تأليف البحث. وهذا الثَّبَتُ نقدّمه علّه يكشف المعنى الدقيق المتسق ورؤية البحث الكليّة على النحو الآتي: *

١- **بنية سطحية**: بنية تركيبيّة بسيطة في مفهومها، إذْ تسير وفق الأنماط الأساسيّة للجملة دون أنْ يدخلها عنصر من عناصر التحويل، فهي تقدّم معنى أوليّا.

٢- **بنية عميقة**: بنية منطوقة أو مكتوبة ولايعني كونها عميقة أنّها غير ظاهرة، ولكن الذي منحها العمق دخول عناصر التحويل عليها، فهي تركيب خرج عن الأصل التّوليديّ إلى التّركيب التحّويليّ باستخدام عناصر التحّويل مثل التقديم والتّأخير والحذف والزيادة.

٣- **تحليل دلاليّ** : اكتناه المعنى الناتج عن انتقال الجملة من التّركيب التّوليديّ إلى التّركيب التحّويلي، وهو المعنى الدّلاليّ الجديد.

---

*هذه مجموعة من المصطلحات التي يقتضي سياق البحث توضيحها توضيحاً مباشرا،وقد ارتضيت لها تعريفا خاصا يناسب الأسس الرئيسة في البحث.

٤- **تعادل**: تنظيم مكونات الجملة في منهج متوازن دون تأكيد عنصر من عناصرها أو تخصيصه أو تغيير رتبته.

٥- **تغيير دلالي**: المعنى الجديد الناتج عن دخول عنصر أو مجموعه من عناصر التّحويل على الجملة التّوليديّة.

٦- **جملة التحويل**: تخصيص بعض عناصر التركيب بالرتبة أو الزيادة أو الحذف فالرتبة- مثلاً - تكثف المعنى في حالة تقديم عنصر أو أكثر من عناصر التّحويل على الجملة التّوليدية.

٧- **جملة التّوليد**: هي التّركيب البسيط الأوليّ قبل أنْ يدخله عناصر التحويل، ويمكن رصدها بتجريد البنية العميقة من عناصر التّحويل، فجملة التوليد خالية من تأكيد أي عنصر من عناصرها وتعتمد البنية السطحيّة والمعنى الأولي.

٨- **حدّ الجملة**: تحقيق عُنصريْ البناء والمعنى من خلال معنى يحسن السكوت عليه، وهو عنصر مشترك في جملتيْ التّوليد والتحويل.

٩- **حذف**: استغناء عن مكوّن من مكونات التّركيب الجمليّ لغرض دلاليّ يريده المتكلم وتقتضيه حال السامع، و هو عنصر من عناصر التحويل.

١٠- **زيادة**: توسيع في بنية الجملة يشتمل كلّ زيادة تضاف إلى جملة الأصل التوليديّ لنقلها إلى جملة تحويليّة مثل دخول نواسخ الابتداء.

١١- **شرط الجملة**: هو العنصر المشترك بين جملتيْ التّوليد والتحّويل، ولابد من توافر معنى يحسن السّكوت عليه لتحقيق شرط الجملة.

١٢- عناصر التحّويل: مجموعة عناصر تستطيع نقل الجملة من البنية التّوليديّة إلى البنية التّحويليّة، مثل:الحذف والزيادة والرتبة، والتّحويل تَصرُّفٌ في وجوه العبارة لمعنى دلالي يقتضيه السّياق.

١٣- عناصر التّوليد: مجموعة قوانين تحفظ الجملة في إطار الأصل المتعادل في توزيع المفردات، مثل: بنية سطحية،وتعادل، ومعنى بسيط أوليّ، وجملة أصوليّه.

١٤- عنصر أساس: بنية سطحّية، وهي تركيب الجملة المنطوق أو المكتوب، وتؤلف هذه البنية الأساس في الحكم على الجملة وتصنيفها توليديًا أو تحويليًا.

١٥- عنصر مشترك: تحقيق الجملة لمعنى يحسن السكوت عليه، ويتمّ ذلك بعنصري البناء والمعنى، وهذا العنصر مشترك بين البنية التوليديّة والتحويليّة.

١٦- القدرة الكامنة: البنية العميقة التي تستقر فيها الفكرة المجردة المرتبطة بالمعاني النفسية، وتقوم فكرة النظم على نقل المعنى من هذه القدرة إلى البنية السطحيّة.

١٧-مستوى التحليل: كشف البنى المؤلفة لنظام العلاقات في التركيب باكتناه نوع البنية وأثر عناصر التّوليد أو التحويل فيها.

١٨- معنى أوليّ: المعنى الناتج عن البنية السطحية الخالية من عناصر التحّويل، تُعْرَف بالبنية الأصولية.

١٩- معنى تحويليّ:المعنى المرتبط بالبنية العميقة والمتعلق بدخول عناصر التحويل ويتوقف على عدد عناصر التحويل ونوعها.

٢٠- معنى توليديّ: المعنى الأوليّ البسيط الذي يتصل بالقوانين التوليديّة مثل البنية السطحيّة، والتعادل، وشرط الجملة، والجملة الأصوليّة.

٢١- معنى دلاليّ: المعنى الناتج عن انتقال الجملة من البناء التّوليديّ إلى البناء التحويليّ لغرض دلاليّ يتوقف على عناصر التحويل ونوعها.

٢٢- معنى المعنى: الدلالة التّحويليّة المتعلقة بالبنية العميقة، ويرتبط بالقوانين التّحويليّة.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

ثمة إجماع بين دارسي النّقد العربيّ على أهمية المساهمة التي قدّمها الجرجانيّ في نظريّة النّظم. ومجمل القول: أنّ النّظر إلى فكرة النّظم من زوايا معينةوصفات خاصة كالصورة أو الذوق ، جعل نظريّة النّظم سراً مغلقاً ينتظر اكتناه مافيه.

وتكشف النّظرة المتأنية أن «النّظم» نظريّة قائمة بذاتها،تتكون من عناصر تركيبيّة جماليّة لها مكانها البلاغيّ والنّحويّ وملامحها الخاصة.وقد نمت هذه الظاهره على صورة جهد إنسانيّ متّصل، كان بذرة ثم ترسخت قواعده عبر القرون، وتدرجت، عبر آراء السابقين من النّحاة والبلاغيين والنقاد في خطوات مهدت لنظرية النظم الجرجانيّة.

ويأتي هذا البحث مقابلة بين أنظار العرب لظاهرة النّظم والأنظار اللغويّة الحديثة، في قراءة جديدة تقتضي ثنائية جدليّة تقيم أحد ركنيها في التراث العربيّ والآخر في مناهج التّحليل اللسانيّ الحديث، وتخرج برؤية نقدية تكون مساهمة تنضاف إلى علم اللغة.

وتصدر هذه الدّراسة من افتراض مؤداه أنّ «النّظم» في منهج البلاغيين يطابق إلى حد بعيد النّظريات اللغويّة والنّقديّة المعاصرة، فيظهر اتفاقاً لافتا وهذه المناهج الحديثة.

واعتمدت البنيويّة طريقة المؤلفات المباشرة والتّوزيع والخانيّة في التّحليل اللغويّ مبرزة قيمة الشّكل،وأبرزت التّحويليّة قيمة المعنى الدّلالّي من خلال متابعة العلاقة بين البنية السطحيّة والعميقة وأثر عناصر التّحويل في القيم الدّلاليّة. غَيْرَ أنّ الأسلوبيّة أظهرت أهمية الشكل والمعنى في العمل الفنّي من خلال الاختيار والتّوزيع وأثرهما في الأسلوب .

تعود نظريّة النّظم لعبد القاهر الجرجانيّ، باعتباره أول من قصد إليها قصداً، وإنْ كانت هذه الفكرة قد جاءت بلا نظام في كتب سابقية من أمثال سيبويه وابن المقفع والرمانيّ والخطابيّ وعبد الجبار والباقلانيّ، ولكنّها مهدت السبيل لعبد القاهر أنْ يفسّرها ويبيّن المقصود منها والقواعد التي تحكمها والتطبيق عليها.

أدرك الجرجانيّ جوهر الخلاف في تصور«النّظم» واختلاف دلالته من عالم لآخر، يقول :«اعلم أنّك لن ترى عجباً أعجب من الذي عليه الناس في أمر النّظم، وسبب ذلك أنّهم أول شيء عدموه العلم به نفسه من حيث حسبوه شيئاً غير توخي معاني النّحو وجعلوه يكون في الألفاظ دون المعاني»(١).

ويجد الباحث مسوغاً لدراسة«النّظم» دراسة لغويّة لعلّه يشكل نظريّة تحليليّة تستقي ملامحها من الأنظار البلاغيّة والنّحويّة في ضوءعلم اللسان الحديث وما تقدمه الاتجاهات النقدية المعاصرة.

---

١) عبد القاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٤١٨ ـ ٤١٩.تحقيق: محمد رشيد رضا، نشر: دار المعرفة، بيروت ١٩٨١ .

ويمكن حصر أهم الاتجاهات الحديثة التي تناولت «النّظم»في اتجاهين:-

الأول:دراسات تاريخية قصدت شرح نظريّة النّظم كما هي عند الجرجانيّ دون تجاوز لفكرة الدّرس التاريخيّ.

الثّاني: دراسات تجاوزت البعد التاريخيّ وتعمقت في دراسة جانب واحد من مظاهر النّظم محاولة الاستفادة من الاتجاهات النقديّة المعاصرة.

ومن الصّنف الأول: «نظرية عبد القاهر في النظم لدرويش الجندي»وقد بحث هذاالكتاب تأثير منهج الأشاعرة في منهج الجرجانيّ ،وبيّن العلاقة بين الإعجاز والنّظم عند الجرجانيّ، وقسم المعنى عنده إلى قسمين : معنى غفل ومعنى مصوّر- اتخذ شكل صورة- وانتهى إلى أنّ مناط المفاضلة صورة المعنى وليس المعنى الغفل الخام، وقرّر أنّ منهج الجرجانيّ يقوم على الحس والذوق وحسن الاختيار ويؤلف دعوة جديدة لدراسة النّحو، والجديد في هذا البحث تفسير نظريّة النّظم من وجهة البحوث الكلاميّة والعلاقة بينهما.

وفي مجال التّعريف بعلم من أعلام العرب، تناول أحمد بدوي في كتابه «عبد القاهر وجهوده في البلاغة العربيّة» حياة عبد القاهر وبلاغته وقدّم شرحاً وتعليقاً لنصوص« دلائل الإعجاز » وتوضيحاً لفكرة النظم، وأشار إلى إهتمام الجرجانيّ بالصياغة وانّها أساس التفاضل بين صناع الكلام،وبيّن أنّ الذوق هو الأساس لإدراك الجمال عند الجرجانيّ ومعرفة أسرار العمل الفنيّ.

وأفرد بدوي طبانه في كتابه«البيان العربيّ» فصلاً عن بلاغة عبد القاهر

وبيّن فضله في شرح التّقديم والتّأخير والحذف والذكر والفصل والوصل.

والقى حاتم الضامن الضوء على فكرة النّظم وتطورها في كتابه« نظرية النّظم» فوقف على إشارات تتعلق بفكرة النظم والتاليف، وكشف عن صلة النظم بعلم المعاني من خلال شرحه لآراء عبد القاهر الجرجانيّ وبيّن علاقة النظم الجرجانيّ بالبيان والبديع.

وأشار عبد العزيز عرفة في كتابه « تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجانيّ» إلى أهمية الذوق البلاغيّ في تحليل النصوص، فبيّن دور الجرجانيّ النقديّ في توجيه الذوق وتعليله وتربيته، وشرح نصوص « دلائل الإعجاز » و« أسرار البلاغة».

ولايعني هذا التّقليلَ من قيمة الدرس التّاريخي، ولكنّه مرحلة لابد أنْ تمتدّ بنا للإفادة منها واختراقها بغية الدراسة التحّليلية لتوظيف الأنظار اللغويّة الحديثة في التفسير الجماليّ المبني على ألوان البلاغة والنّحو.

ومن الصّنف الثاني:«نظريّة عبد القاهر الجرجانيّ في أسرار البلاغة لمحمد خلف الله»، وقد كشف أنّ نظريّة عبد القاهر تعتمد فكرة التأثير الأدبيّ وفق الطريقة النفسانيّة التي يسميها المحدثون(الفحص الباطني) وذلك بتأمل مايتركه النّص من الاستحسان وتعليل مصادر هذا الإحساس، ويشير أنّ ما قدّمه الجرجانيّ يُذكر بنظرية «الجشتالت» أو الهيكل العام، وبيّن أهمية الذوق والطبع والحس الفني في نظريّة عبد القاهر، مُظهراً أنّ مقياس الجودة الأدبيّة في« أسرار البلاغة» يقوم علي مقدار مايتركه النّص الأدبيّ من تأثير في نفس متذوقه.

ويظهر محمد مندور في كتابيه «في الميزان الجديد» و«النّقد المنهجي عندالعرب» أهمية نظرية النّظم وموقعها في علم اللسان الحديث ،فيقرر أنّ منهج الجرجانيّ يستند إلى نظرية في اللغة تتفق واللسانيات الحديثة في نظرية العلاقات فاللغة ليست مجموعة من الألفاظ بل مجموعة من العلاقات.

ويعرض كتاب «نظرية العلاقات أو النظم بين عبد القاهر والنّقد الحديث لمحمد نايل» قوانين النّظم عند الجرجانيّ موضحاً أهمية العلاقات في فهم النّص، وتذوق مافيه من جمال، وأثر ذلك في تربية الذوق الأدبيّ، ويشير إلى سبق نظرّية العلاقات عند الجرجانيّ للنقد الغربيّ الحديث.

وفي كتاب « عبدالقاهر الجرجانيّ بلاغته ونقده لأحمد مطلوب » قرّر أنّ عبد القاهر من أنصار الصّياغة في التوفيق بين اللفظ والمعنى والجمع بينهما، وبذلك قضى على ثنائية اللفظ والمعنى، وأبان أنّ العمدة في إدارك البلاغة عند الجرجانيّ الذوق والإحساس الروحانيّ، وأشار إلى علاقة نظرّية عبد القاهر بنظرّية «الجشتالت» أو الهيكل العام، وتنبه إلى علاقة النّظم بالإعجاز القرآني وانتهى إلى تأثر نظرّية النّظم بالأنظار السابقة عليها.

وبيّن عبد القادر المهيري في مقالة بعنوان « مساهمةفي التّعريف بآراء عبدالقاهر الجرجانيّ في اللغة والبلاغة» أن أساس البحث في« أسرار البلاغة» هو المعنى، وعدّ التمييز بين الكلام واللغة من مقومات تفكير الجرجانيّ، وتوصل إلى أنّ مسألة الإعجاز منطلق بحث الجرجانيّ وغايته في الوقت نفسه.

ويقدّم كتاب « النّقد التحليليّ عند عبد القاهر الجرجانيّ لأحمد الصّاوي»

عرضا لطرق النّقد الذوقي عند الجرجانيّ مُظْهراً أهمية المعاني الإضافية الناتجة عن استخدام الكلمة في سياق. ويبيّن قدرة عبد القاهر الذوقيّة في تحليل ما توحي به الألفاظ من خلال ما تحمله من المشاعر المؤثرة في النّفس. ويوضح أن نظرة الجرجانيّ للعمل الفني تؤسس على تكامل عناصره.

أمّا في مجال الدّراسة اللغويّة فقد تعرض كتاب« عالم اللغة عبد القاهر الجرجانيّ للبدراوي زهران » لدور عبد القاهر في الدرس الصوتيّ، وأثبت أنّ نظرته في الأصوات لها مايؤيدها في علم اللسان الحديث، وأشار إلى الأسس التي بنى عليها عبد القاهر منهجه في دراسة النّحو في ضوء الاختيار والمطابقة والموقعيّة، فالمعنى الدّلالي عند الجرجانيّ نتيجة للتّعليق بين معاني الألفاظ تحقيقا لمعاني النّحو وأحكامه. ٤٤٦٧٠٠

ويأتي كتاب «نظريّة النّظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجانيّ لوليد محمد مراد» توضيحاً للعلاقة بين الفكر واللغة عند الجرجانيّ، ومن لطيف ماقدمه الإشارة إلى وضع عبد القاهرلقانون يجمع اللفظ والمعنى وتوجيه علاقة النظم بالإعجاز القرآني ،وألمح إلى الجهود السابقة على نظريّة النّظم الجرجانيّة.

ويكشف كتاب « الصورة البلاغيّة عند عبد القاهر الجرجانيّ لأحمد دهمان » اللغة من خلال مجموعة العلاقات المؤلفة لها، ويتضمن السياق اللغويّ هذه العلاقات، ويشير إلى جمع دراسة النظّم الجرجانيّة للنحو والبلاغة وأنّها قضت على ثنائية اللفظ والمعنى، وجاءت دراسته للصورة عند الجرجانيّ من خلال

ارتباطها بنظريّة النّظم ومجموعة العلاقات الداخلة في السّياق.

ويبرز كتاب «فكرة النّظم بين وجوه الإعجاز لفتحي أحمد عامر» إعجاز القرآن عند الجرجانيّ من خلال المعاني الثانيّه أوالإضافية التي تطّرد في جميع الآيات، وبذلك ترجع نظريّة النّظم الجرجانيّة إلى المعاني الثانية التي تلتمس في ترتيب الكلام وفق مضامينه.

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها البلاغيون والنّقاد المعاصرون في إبراز أهمية النّظم إلاّ أنّ باب دراسة «النّظم» مازال مفتوحاً أمام الدّرس الجديد وإبداء الرأي لما له من أهمية في نظام اللغة النّحويّ والبلاغيّ.

ويفرض البحث اللغويّ المتسارع أمراً لامناص منه، وهو ضرورة إعادة النّظر في الدّرس اللغويّ بين الحين والآخر ، وبغية هذه الدراسة إبراز أثر النّظم في مستويات التحليل اللغويّ في ضوء النّظرة البلاغيّة وعلم اللسان الحديث.

ويأتي البحث تفسيراً للقرائن الدّلاليّه التي تحكم ظاهرة النّظم وفق المعاني النّحويّة التي وجهت إليها الدراسات البلاغيّة. فدراسة النّظم تَتَبُّع لنظام الجملة بين النّحو والبلاغة للوقوف على معناها ومكوناتها التّوليديّة والتّحويليّة. وتفترض هذه الدّراسة أن نظريّة النّظم قادرة أنْ تمدّ الدّراسات اللغويّة الحديثة بنظريّة متكاملة في التحليل اللغويّ. وعُنِيَ البحث بتوجيه النظام النّحويّ توجيها يعتمد «المعنى» في إظهار أهمية النّحو وعلاقته بالدّلالة من خلال ما يعرض للنّظم من تقديم وتأخير وحذف وزيادة وأثر هذه العناصر في المعاني الدّلاليّة.

وقد وقع البحث في مقدمة وخمسة فصول: تناول الفصل الاول : تدرج مفهوم النّظم عند النحاة والأدباء والنقاد والبلاغيين، وجاء الفصل الثاني: بحثا في النّظم بين التّوليد والتّحويل، وتناول الفصل الثالث : النّظم على أنّه تفاعل بين النّحو والدّلالة، وعرض الفصل الرابع: أثر النّظم في مستويات التّحليل اللغويّ، ووقف الفصل الخامس: على نظام الجملة بين الشكل والمعنى، وانتهى البحث بخلاصة بيّنت أهم النتائج التي توصل إليها.

الفصل الأول

تدرج النّظم

١-تدرج النّظم عند النّحـــــــاة.
٢-تدرج النّظم عند الأدباء والنقاد.
٣-تدرج النّظم عندالبلاغييـــــن.

تدرج النّظم

أسهم علماء العرب والمسلمين في تأسيس نظريّة النّظم منذ وقت مبكر، ولم تبرز أهمية هذه النظريّة بشكل جادّ إلاّ في نهاية القرن الماضي، وبداية القرن الحاضر، وذلك بتقدّم علم اللسان الحديث، وظهور مدارسه التي وضحت أهمية دراسة العلاقة بين الكلمات بطريقة بنائيّة، مما دفع العلماء إلى الالتفات لما تفطّن إليه علماء العرب في دراسة النّظم.

ويحمل المدلول اللغويّ للنّظم ملحظاً ابتدائياً يتضمّن دلالة من دلالات النّظم الكليّة التي اتّسقت لتأليف مفهوم النّظم في صورته الاصطلاحيّة التي استقرت عند الجرجانيّ.فقد جاء في لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١هـ) : «النّظم :التأليف، نَظَمَه ينْظِمُه نَظْماً ونظاماً، ونظّمه فانتظم وتنظّم . ونظّمت اللؤلؤَ أي جمعته في السّلك، والتنظيم مثله، ومنه نَظَمْت الشّعر ونظّمْته، وكلّ شيء قرنْتَه بآخر أو ضَمَمْتَ بعضه إلى بعض فقد نظَمْته. والنّظم: المنظوم وصف بالمصْدَر. والنّظم : ما نَظَمْته من لؤلؤ وخَرَز وغيرهما. والنظام الخيط الذي يُنْظَم به اللؤلؤ، وكلّ خيط يُنْظَم به لؤلؤ أو غيره فهو نِظام، والانتظام الاتّساق ».(١)

وواضح أنّ المعنى اللغويّ للنظم هو ضمُّ الأشياء بعضها إلى بعض وتنسيقها على نحو مُعيّن كما تُضَم حبات اللؤلؤ في نظام يجمعها على نَحو من الاتساق.

---

١) ابن منظور –لسان العرب (نَظَمَ) المجلد الثاني عشر ص٥٧٠ دار صادر–بيروت د.ت.

وقد بدأ النّظم فكرة تعني الارتباط، وأخذ ينمو بنمو البلاغة العربيّة، وكان من الطّبيعي أن يظهرهذا المصطلح في توجيه النّصوص ويرتبط بفن القول من شعر ونثر، فكان صفة لفن القول الذي اتّسم بالتّرابط وإحكام الصّنعة، ثم أخذت هذه الظاهرة تزداد في توجيه النصّوص فوجد اصطلاح النّظم جامعاً للارتباط والتّعليق والصّياغة، فارتبط الجانب اللغويّ بالاصطلاحيّ فكان النّظم مثل غيره من المفاهيم البلاغية، قد بدأ إداركه حسيًا بسيطاً لم يستطع أن يقدّم معياراً فنيًا ناضجاً في بدايته، ولكن تلمس معالمه في مواطن مختلفة عند النحّاة والبلاغيين والنّقاد، الذين ظهر على أيديهم تَبَاعاً ، يظهر صورته الحقيقيّة عبر الخطوط المشتركة التي بيّنت تصورهم من النظْم.

وينقسم تدرج النّظم إلى ثلاثة أقسام مرتبة وفق الشكل الآتي *:

أولاً : تدرج النّظم عند النّحاة.

ثانياً : تدرج النّظم عند الأدباء والنقاد.

ثالثاً: تدرج النّظم عند البلاغيين.

أولاً : تدرج النّظم عند النّحاة:

إن مفهوم النّظم كان موضع تساؤل وبحث في النّحو العربيّ، فتحليل الكلام احتاج إلى وحدة تبنى على التّناسب والانسجام يتحراها الناظر في النّص. وقد

* هذا تقسيم تقريبيّ غير قاطع نظراً للتلاقي بَيْنَ هذه التّخصصات، وانتفاء الاقتصار على أحدها عند علماء السّلَف إذْ كانت تتراسل مسائل منها جميعاً لدى أحَدهم.

قدّم النحاة العرب كثيرا من الآراء التي أسهمت في تأسيس البناء النّحويّ، واستطاع الجرجانيّ توظيف المعاني النّحويّة في بناء فكرة النّظم.

وشغلت فكرة التعليق والإسناد أذهان النّحويّين وفق تصور لنظام العلاقات في تركيب الجملة.فعدّ الخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥هـ) مابين الشرط وجوابه مبنياً على التّعليق، الذي أساسه المعنى في اكتمال فكرة النّظم بين ركني الكلام، يقول في الشرط:« هذا كلام معلق بالكلام الأول». (١) فنظرة الخليل إلى أسلوب الشّرط مؤسسة على اتحاد جملة الشرط، وهذه بداية في طريق النّظر إلى التّركيب على أساس النّظم.

ويمكن تلمس بداية النّظم عند سيبويه من خلال استخدامه لفظ« البناء» الذي يدلّ على معنى النّظم، فالجملة عندما تنتظم كلماتها تكوّن بناءً متراصا. وأبان عن هذا البناء في باب(المسند والمسند إليه) بقوله: «وهما مالايغني واحد منهما عن الآخر، ولايجد المتكلم منه بدا.فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه. وهو قولك : عبد الله أخوك، وهذا أخوك. ومثل ذلك: يذهب عبدالله، فلابد للفعل من الاسم كما لم يكُن للاسم الأول بد من الآخرفي الابتداء».(٢) فظاهرة«البناء» عند سيبوية تعدّ خطوة في طريق نظريةالنّظم التي تدرجت في مستواها حتى بلغت غايتها الفنيّة عند الجرجانيّ.

ويلتفت سيبوية إلى أهمية التّقدير في استقامة النّظم دلاليّا، يقول:

---

١) سيبويه – الكتاب– جـ ٣ ص ٦٣، ٦٤، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣.

٢) سيبويه – الكتاب– جـ (١) ص٢٣، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧.

«وسمعنا بعض العرب الموثوق به، يقال له:كيف أصبحت؟ فيقول: حمدُ الله وثناءٌ عليه، كأنّه يحمله على مُضْمَرٍ في نيته هو المُظْهَر، كأنهُ يقول: أمري وشاني حمدُ الله وثناءٌ عليه. وتقول: حمداً لله، فإنمّا ينتصب هذا على إضمار الفعل، كأنّك قلت: أحْمَدُ الله حمداً ،..ولونصب لكان الذي في نفسه الفعلَ، ولم يكن مبتدأ ليبنى عليه».(١)

هذه لمحة تفيد عناية سيبويه بتفسير الحركة الإعرابيّة في ضَوء المعاني النفسيّه المتعلقة بالبنية المقدرة حتى يستقيم معنى النظم ،فهو يميّز بين أسلوبين في التعبير ترتب على الاختلاف الشكلي فيهما اختلاف دلالي في البنية العميقة، مما يدلّ على أهمية الرّبط بين الشّكل والمضمون في ظاهرة النّظم.

وتحدث سيبويه عن إضمار الاسم وحذفه فقال: «قوله تعالى: (طاعة وقول معروف)(٢) فإمّا أن يكون أضمر الاسم وجعل هذا خبره كأنّه قال: أمري طاعةٌ وقول معروف، او يكون أضمر الخبر فقال: طاعةٌ وقول معروف أمثل»(٣) وهذا يظهر اهتمام سيبويه بظاهرة الحذف والتقدير وأثرهما الدّلاليّ في نظام التّركيب الذي أفضى إلى طريقتين من التفسير كل منهما تحقق مستوى معيناً من النّظم.

وأبان المبرد (٢٨٥هـ) عن أثر ائتلاف المسند والمسند إليه في إقامة المعنى:

---

١) سيبويه –الكتاب جـ(١) ص٣١٨-٣٢٠.

٢) سورة محمد اية ٢١.

٣)سيبوية الكتاب جـ(١). ص ١٤١.

«وهما ما لا يستغني واحد منهما عن صاحبه، فالابتداء نحو قولك:زيدٌ، فإذا ذكرته فإنّما تذكره للسامع ليتوقع ماتخبره به عنه، فإذا قلت: (منطلق) أو ما أشبهه- صح معنى الكلام؛... لأنّ اللفظة الواحدة من الاسم والفعل لاتفيد شيئا، وإذا قرنتها بما يصلح حدث معنى واستغنى الكلام»(١)

وهكذا يتضح أنّ اللفظة إذا لم تعتمد على سياق يدلُّ على معناها لابد لها من الاقتران بما يحقق لها المعنى، والاقتران الذي يشترطه المبرد يتضمن دلالة من دلالات النّظم الجرجانيّ وتشبه نظرة المبرد للتّركيب نظرة سيبويه، فهو ينظر إليه على أساس ظاهرة الإسناد المبنية على التّلازم بين أركان الجملة.

ولم يَغْفَلْ المبرد عن أهمية المعنى في صحة النّظام التّركيبيّ يقول: «ألا ترى أنك لوقلت: (أنا عبد الله منطلقا) لكان المعنى فاسدا، لأنّ هذا الاسم لايكون لي في حال الانطلاق ويفارقني في غيره، ولكنْ يجوز أنْ تقول: أنا عبدالله- مصغّرا نفسك لربك، ثم تقول آكلاً كما يأكل العبيد، وشارباً كما يشرب العبيد، لأنّ هذا يؤكد ما صَدَّرتَ به... وهذا باب إنّما يصلحه ويفسده معناه، فكل ماصلح به المعنى فهو جيّد،وكلّ ما فسد به المعنى فمردود».(٢)

هذا الموقف يبيّن لنا بوضوح أنّ النّحاة لم يتوقفوا عنْد عناصر التّركيب الشكليّ، وإنما أبرزوا الأثر الدّلاليّ لكل عنصر، فاستقامةَ التّركيب تقتضي التّناسب المعنويّ الذي يفترض حتمية العناصر في نظام مطّرد متماسك، وهذا

---

١) المبرد- المقتضب جـ (٤) ص ١٢٦،تحقيق:محمد عبد الخالق عضيمه،عالم الكتب بيروت،د.ت.

٢) المبرد- المقتضب جـ (٤) ص ٣١١

أساس من أسس نظرية النّظم الجرجانيّة التي اهتمت بإحكام التّركيب، وترابط البناء بنسق يُبْني على نظام ائتلافي يعطي للتركيب دلالات مناسبة؛ فكل لفظة تشكل ركْناً في بناء عضويّ يخضع لمنطق يجمع بين الاعتبار الشكليّ والدّلاليّ.

وظهرت ملامح من فكرة النّظم في المناظرة التي جرت في القرن الرابع بين النّحاة يمثلهم أبوسعيد السيرافيّ(٣٥٨هـ) والمناطقة يمثلهم أبوبشر متى بن يونس(٣٢٨هـ) وكانت المناقشة في مجلس الوزير«الفضل بن جعفر بن الفرات» وقد دافع أبوسعيد السيرافيّ عن النّحو في هذه المناظرة، وبيّن أنّ المعاني النّحويّة شاملة للحركات الإعرابيّة، وتمييز الصواب من الخطأ، والتقّديم والتّأخير، يقول:« معاني النّحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتّقديم والتّأخير وتوخي الصواب في ذلك وتجنب الخطأ من ذلك، وإنْ زاغ شيء عن هذا النعت فإنّه لايخلو من أنْ يكون سائغا بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم »(١)وبذلك تجاوزت المعاني النّحويّة عند السيرافيّ الحركة الإعرابيّة، وتمييز الصواب من الخطأ إلى أسرار بلاغيّة كالتّقديم والتأخير. وكانت فكرة المعاني النّحويّة من الأركان الأساسيّة في بناء نظرية النّظم الجرجانيّة، مما يدلُ على أنّ بذور هذه النظريّة موجودة في هذه المناظرة وغيرها من النّظرات.

---

١) أبو حيان التوحيدي– الإمتاع والمؤانسه جـ(١) ص ١٢١،تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ،نشر: دار مكتبة الحياة، بيروت،د.ت.

وقول السيرافيّ:« عادة القوم الجارية على فطرتهم» فيه ملمح يكشف عن أساسين من الأسس التي اعتمدت عليها نظريّة التّوليد والتّحويل، فكلمة «عادة» تشبه مايعرف بالأداء أو الجانب المنطوق من اللغة« Performance » و«فطرتهم» تشبه مايعرف بالقدرة الكامنة، وهي سليقة المتكلم أو قدرته الداخلية « competence».

ومن النحاة منْ يرى أنّ تركيب الجملة يبني على ائتلاف الألفاظ، فقد سمى أبو علي الفارسيّ (٣٧٧هـ) أحد أبواب المسائل العسكريات باب (ما ائتلف من هذه الألفاظ الثلاثة كان كلاماً مستقلاً، وهو الذي يسميه أهل العربيّة: الجمل).(١)فكلمة « ائتلاف » تدل على إدراك الفارسيّ لمعنى من معاني النّظم وأهمية ذلك في بناء الجملة على أساس من العلاقة بين المبنى والمعنى ، يقول: « فالاسم يأتلف مع الاسم فيكون كلاماً مفيداً كقولنا: عمرو أخوك، وبشر صاحبك، ويأتلف الفعل مع الاسم، فيكون ذلك كقولنا: كتب عبدالله وسُرّ بكْرٌ» (٢) فهذا الفهم «للائتلاف» يبدي أثر الانسجام في اتحاد عناصر التركيب تحقيقا لمعنى من معاني النّظم.

ويلتمس أبوعلي الفارسيّ للتّركيب السطحيّ بعداً تقديريّاً يوجه إلى العناية بفكرة المعنى العميق، فلابد من تحقيق المعنى حتى يكون التّركيب مقبولاً

---

١) ابو علي الفارسي-المسائل العسكريات ص ٤١: تحقيق: اسماعيل عمايره نشر : الجامعة الأردنيّة ١٩٨١.

٢) عبد القاهر الجرجانيّ- المقتصد في شرح الإيضاح، المجلد الأول ص ٩٣ تحقيق: كاظم بحر المرجان، نشر: وزارة الثقافة والإعلام العراقية ١٩٨٢.

يقول:« فأمّا قولهم في النّداء: يازيد، واستقلال هذا الكلام- مع أنّه مؤْتلفُ من اسْم وحرف؛ فذلك لأنّ الفعل هاهنا مرادٌ عندهم. يدلّك على ذلك ما حكاه سيبويه في قولهم: يا إيّاك. أفلا ترى أنّ هذا الاسم المنتصب لايخلو من أنْ يكون العامل فيه فعلاً »(١) فالغرض من تقدير المحذوف هو تحقيق عناصر النّظم الذي يقصد إلى موافقة التّعبير لما يقصد به من معنى.

وعقد ابن جني (٣٩٢هـ) فصلاً بعنوان: (باب في مشابهةمعاني الإعراب معاني الشّعر) مُستَنِداً إلى آراء أبي علي الفارسيّ الذي أفاد منه عبد القاهر، فظهر في هذاالفصل ملامح من نظرية النّظم، من ذلك قوله في(لا) النافية للنكرة:« نبهنا أبوعلي- رحمه الله- من هذا الموضع على أغراض حسنة. من ذلك قولهم في (لا) النافية للنكرة : إنّها تبنى معها، فتصير كجزء من الاسم ، نحو لا رجل في الدار، ولابأس عليك، كما أنّ الاسم بُني مع لا حتى خُلط بها لاتفارقه ولايفارقها، وهذا موضع متناه في حسنه».(٢) فنظر إلى (لا) واسمها على أنّها وحدة تركيبيّة مبنيّة على أساس من الاتحاد الوظيفيّ لغرض معنويّ هو استغراق نفي الجنس.

وبيّن أوهام اللفظيين في دراسته التّطبيقيّة لأبيات كُثيِّر عزة :

(ولما قَضَّيْنا مِنْ مِنَى كُلَّ حاجَةٍ   ومَسَّح بالأركان مَنْ هو ماسِحُ)

فقال :«فكأنّ العرب إنّما تحلّي ألفاظها وتدبجها ، وتزخرفها، عناية بالمعاني التي

---

١) أبوعلي الفارسّي - المسائل العسكريات ص ٤٤ وسيبويه- الكتاب جـ(١) ص ٢٩١.

٢) ابن جني-الخصائص جـ ٢،ص ١٦٨ تحقيق: محمد علي النجار، بيروت، ط(٢).د.ت.

وراءها، وتوصلاً بها إلى إدراك مطالبها».(١) فلو أنعمنا النّظر في نظرة ابن جني لألفيناه تجاوز ثنائية اللفظ والمعنى إلى موقف يجمع بينهما في نظام يدعو إلى التّطابق الكليّ.

وهكذا يتبين أنّ النّظام النّحويّ يضع الكلمات في رباط تتراص فيه بترتيب يضع كل لفظه في مكانها معًا يحتم وحدة بناء تشبه النواة في انتظام ذراتها.وخلاصةالقول أنّ النظرات الأولى عند النحاة تبدي إحساسهم بأهمية النّظم، وبني هذا الإحساس على أساس من النّحو الوصفيّ الذي ينتمي إلى قواعد النّحو العربيّ، ثم تدرج إلى عناية بتفسير الظاهرة وفق نظرة معياريّة وصلت إلى مرتبة الحكم.

---

١) ابن جني الخصائص جـ (١) ص ٢٢٠

ثانياً: تدرج النّظم عند الأدباء والنّقاد

الأدب والنّقد صنوان لاينفصلان، وقد اتّسعت التّفسيرات النّقدية إلى نظرات تتعلق بالنّظم والتناسب والائتلاف بين الألفاظ ومعانيها، مما يُظْهِرُ العناية بالتّركيب وبلاغة النّظم لاسيما النّظم القرآني ،وتَبِعَ ذلك إهتمام بعمود الشعر وأثر صحة النّظم فيه، وأبرزت التّعليلات النّقدية الفرق بين الكلمات والقدرة على تذوق النّص بتقديم تركيب على آخر، أوحذف مكون تركيبيّ، أو إضافته أو تعريفه، أو تنكيره وفق ما يناسب مقتضى الحال. وكان للفظ والمعنى أثر في بعث الحياة في الطاقة التعبيرية للنّظم الذي تجاوز هذه الثنائية بدرسها دراسة أسلوبيّة، والنّظر إليها نظرة كليّة على أساس من اتحاد الشّكل والمضمون. وقدّم الاهتمام بالوحدة العضويّة رغبة في إحكام عناصر النّص وإعلاء قيمة النّسق الذي يضع كلّ كلمة في مكانها المناسب، وإنّ أيَّ تغير في المبنى لابد من قيم دلاليّة ترافقه. ودعا الاهتمام بالنّظم إلى اختيارالتّركيب المعبِّر باستخدام المكونات اللغويّة التي تفضي إلى تقديم المعنى وقد لونته الظلال النفسيّة بقيم متناسبة في توزيعها الدّلاليّ.

ولعلّ من أقدّم الإشارات التي تناولت فكرة النّظم إشارة ابن المقفع (١٤٢هـ) إلى صياغةالكلام، يقول:« فليعْلم الواصفون المخبرون أنّ أحدهم ،وإنْ أحسن وأبلغ، ليس زائداً على أنْ يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتاً وزَبَرْجَداً ومَرْجاناً، فنظمه قلائد وسُموطاً وأكاليل، ووضع كل فصّ موضعه، وجمع إلى كلّ لون شَبَهَهُ ممّا يزيدُه بذلك حسناً، فسُمّي بذلك صائغاً رفيقاً، وكصاغة الذهب والفضّة، صنعوا

منها ما يُعجب النّاس من الحُليّ والآنية».(١) في هذه الإشارة عند ابن المقفع نظرة تشي بوضع الألفاظ مواضعَها، وبذلك حفظ لمطالب الموقع في نظام يجمع العناصر اللغويّة في سياق متوافق الصيّاغة، وتلتقي هذه النّظرة مع المدلول اللغويّ لمفهوم النّظم.

وتُقّر صحيفة بشر بن المعتمر(٢١٠هـ) أهمية الموقعيّة في المحافظة على نظم الكلام، يقول: «فإذا وجدت اللفظة لم تَقَعْ موقعها، ولم تَصِر إلى قرارها، وإلى حقِّها من أماكنها المقسومة لها،والقافيةَ لم تحلّ في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، وكانت قلقه في مكانها، نافرة منْ موضعها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن، والنزول في غير أوطانها».(٢)

ومعنى ذلك أنّ الموقعيّة لها أثر في صحة التّركيب أو فساده، ويتوقف المعنى على اختيار الألفاظ وتوزيعها بطريقة مناسبة،فإنّ اللفظة إذا وقعت في موقعها الأخص بها كانت مرتبة وفق المعنى الذي أُريدت له، وإذا لم تقع في مكانها المناسب كانت نافرة مستكرهة، وهذه دعوة إلى ضرورة الانسجام بين عناصر التركيب، وهي من مكونات النّظم.

وأدرك كلثوم بن عمرو العتابيّ (٢٢٠هـ) أهمية النّظم في المعنى، وبنى ظاهرة

---

١) محمد كرد علي–رسائل البلغاء ص٥–٦ مطبعة: لجنة التاليف والترجمة والنشر–القاهرة ط(٤) ١٩٥٤م.

٢) الجاحظ– البيان والتبيين– جـ (١) ص١٣٨ تحقيق: عبد السلام هارون ، نشر: مؤسسة الخانجي– القاهرة د. ت.

النّظم على أساس من الموقع المناسب لكلّ لفظه في سياق النّظم، قال: «الألفاظ أجساد، والمعاني أرواح، وإنمّا تراها بعيون القلوب، فإذا قدّمت منها مؤخراً، أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى، كما لو حُوّل رأس إلى موضع يد، أويدٌ إلى موضع رجْل، لتحولت الخلقة، وتغيرت الحلْية».(١)

إنّ التّقديم في الوحدات اللغويّة قد يكون سراً من أسرار البيان في الصّياغة إذا كان مناسباً لمقتضى الحال وموافقاً لمعاني النّحو وبذلك يكون وسيلة فنيّة مؤثرة في النّفس، ولكنّ تقديم ما حقّه التّأخير أوتأخير ما حقه التّقديم يعدّ خروجا عن النّسق وإبطالا لقاعدة النّظم عندما لايكون لأسباب بلاغية تقتضيها الصيّاغة.

وقع الجاحظ(٢٥٥هـ) على لفظ«النّظم» نفسه في كتابه (نظم القرآن) وهو كتاب لم يَصِلْ إلينا-مع الأسف، ولكنّ إشارة الجاحظ إليه أنّه كتاب في الاحتجاج بنظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه تحملنا على الظنّ بأنّه يقترن لديه مفهوم النّظم «بالتأليف»و«التركيب» ويقترب عنده من مفهوم المصطلح كما استقر عند الجرجانيّ إنْ لم يكن هو رائده ودليله في هذا الملحظ جملة، ويشير الجاحظ إلى كتابه بقوله:« كما عِبْتَ كتابي في الاحتجاج لنّظم القرآن وغريب تأليفه وبديع تركيبه».(٢)

---

١) أبو هلال العسكري- الصناعتين ص ١٧٩ .

٢) الجاحظ- الحيوان جـ١ ص ٩ تحقيق : عبد السلام هارون، نشر: مكتبة البابي الحلبي وأولاده ١٩٣٨م.

وبرزت رغبة إلى وحدة العمل الفنيّ وتناسب أجزائه في النّقد القديم، وهذه قصة يسوقها الجاحظ تدلّ على ذلك: « وقال أبو نوفل بن سالم لرؤبة بن العجاج: ياأبا الجحّاف، مُتْ إذا شئت، قال:وكيف ذاك؟ قال: رأيت عُقْبَةَ بن رؤبة ينشد رجزا أعجبني، قال: إنّه يقول، لوكان لقوله قِران».(١)

وقصة طريفة يسوقها الجاحظ تبدي تشكل نظرة نقديّة تصور القصيدة كأنّها قبيلة تأتلف وَفْقاً لمراتب القربى، يقول: «وقال بعض الشعراء لصاحبه: أنا أشعر منك. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّي أقول البيت وأخاه، وأنت تقول البيت وابن عمه.وجعل البيت أخا البيت إذا أشبَهَه وكان حقّه أنْ يوضع إلى جنبه«(٢)

وصفوة القول أنّ فكرة«القِران» بين الأبيات التي التفت إليها الجاحظ تقترب من النظم أو تؤلف بعض عناصره في سياق من الدّلالات التي تُبدي تناسب أجزاء العمل الأدبيّ، وتحمل هذه الفكرة ضرباً من التوافق الذي يشير إلى اقتران الكلمات وتآخيها في العمل الأدبيّ.إنّ هذه النّظرة إلى وحدة العمل الأدبيّ واتحاد أجزائه التي تدرجت إلى مستواها الفنيّ من النّضج عند الجرجانيّ، تدعو إلى إعادة النّظر في قول شوقي ضيف:«ولعلّ من الواجب أن نشير إلى أنّ النّقد العربيّ كان في جملته نقداً عمليّا

---

١) الجاحظ -البيان والتبيين- جـ(١) ص ٦٨.

٢) الجاحظ - البيان والتبيين- جـ (١) ص ٢٢٨والمرزباني- الموشح في مآخذ العلماء على الشعراءص ١٤٣ المطبعة السّلفية- القاهرة ط (٢) ١٣٨٥ هـ

يتصل بالجزئيات ولاينفك عنها إلاّ قليلا، فقد كان محوره غالباً البيت والعبارة، ولم ينظروا في الأدب أو الّشعر نظرة عامة...إنّما الذي كان يدور بخَلَدِهم الملاحظات الجزئية الكثيرة على الألفاظ والعبارات والأبيات المفردة»(١)

وتبدو أهمية النّظم عند الجاحظ في إرجاعه الإعجاز القرانيّ لأسرار النّظم المباين لأساليب العرب، يقول:« ولابدّ من أنْ نذكر أقسام تأليف جميع الكلام، وكيف خالف القرآن جميع الكلام الموزون والمنثور، وهو منثور غير مُقَفّى على مخارج الأشعار والأسجاع، وكيف صار نظمه من أعظم البرهان، وتأليفه من أكبر الحُجَج».(٢) فمرجع إعجاز القرآن عند الجاحظ نظمه وأسلوبه المباين لأساليب العرب، وقد تأثر بهذه الفكرة الباقلانيّ في ردّه إعجازَ القران إلى نظمه العجيب المخالف لأساليب العرب، ويتضح ذلك عند عرضنا للنُّظم عند الباقلانيّ.

وميَّز الجاحظ نظم القرآن من نظم سائر كلام العرب بقوله:«وفَرْقٌ مابَيْنَ نظْم القرآن وتأليفه ونظم سائر الكلام وتأليفه- فليس يعرف فروق النُّظر واختلاف البحث، إلاّ من عرف القصيد من الرّجز، والمخمس من الأسجاع، والمزاوج من المنثور، والخطب من الرسائل، فإذا عرف صنوف التأليف عرف مباينة نظم القرآن لسائر الكلام».(٣)

---

١) شوقي ضيف- في النقد الأدبي ص ٣١ دار المعارف- مصر ط (٢) د.ت.

٢) الجاحظ- البيان والتبيين جـ (١) ص ٣٨٣.

٣) الجاحظ- العثمانية ص ١٦ تحقيق: عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي- مصر ١٩٥٥م.

ويقيم الجاحظ مقارنة بين ضربيْن من الشعر أحدهما يحقق قِيَمَ المماثلة في بناء الكلمات تحقيقاً لِنَسَق يعتمد المجاورة بين الكلمة وأختها ويحمل معنى النّظم والآخر مُباين للأول في تنافر عناصره وابتعادها عن الاتّساق، يقرر هذا الملحظ بقوله : « اذا كان الشّعر مستكرها، وكانت ألفاظ البيت من الّشعر لايقع بعضها مُماثلاً لبعض ، كان بينها من التّنافر مابين أولاد الّعلاّت. واذا كانت الكلمة ليس موقعها إلى جنب أُختها مرضّيا موافقا، كان على اللّسان عند إنشاد ذلك الشّعر مؤونة ».(١)

ومن المفاهيم التي ترتبط بالنّظم عند الجاحظ السبك والنّسج والتّصوير وتخير اللفظ، يقول « وإنما الشان في إقامة الوزن وتخّير اللفظ ، وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الّطبع وجودة السّبك، فإنمّا الّشعر صناعة، وضرب من النّسج وجنس من التّصوير » (٢)

لم يقف الجاحظ عند طلب الاقتران والتّلاحم في التراكيب، بَلْ نظر لما هو أصغر من التّراكيب إلى العناصر المكوِّنة لها، فأشار إلى أهمية اقتران الحروف في تأليف الألفاظ، بقوله: « فهذا في اقتران الألفاظ،فأمّا في اقتران الحروف فإنَّ الجيم لاتقارن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا العين، بتقديم ولابتأخير، والزاي لاتقارن الظاء ولا السِّين ولا الضاد ولا الذال، بتقديم ولابتأخير » (٣)

---

١) الجاحظ- البيان والتبيين- جـ(١) ص ٦٦- ٦٧

٢) الجاحظ- الحيوان- جـ (٣) ص ١٣١- ١٣٢.

٣) الجاحظ- البيان والتبيين- جـ(١) ص ٦٩.

على هذا النّحو استطاع الجاحظ أنْ يُوسّعَ في مفهوم النّظم فلم يَقْصُرْ حديثه على نظم التّراكيب بَلْ تجاوزها إلى البنية الصّوتّية والحروف المؤلفة للكلمات ممّا يظهر أنّ النّظم ليس وقفا على التّراكيب.

وعلّق الجاحظ على بيت أبي البيداء الّرياحيّ:

وشِعرٍ كبعر الكبش فرّق بينه   لسان دعيّ في القريض دخيل

بقوله:«وأجود الّشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنّه قد أفرِغ إفراغاً واحداً ،وسُبِك سبكا واحداً ،فهو يجري على اللسان كما يجري الدّهان».(١) تحمل نظرة الجاحظ ملامح فنية من نظريّة النّظم التي استفاد منها مَنْ خلفه من البلاغيين.

وتنبه شوقي ضيف إلى أهمية ماقدّمه الجاحظ بقوله:« عُني الجاحظ بالصّور البيانيّة في الذكر الحكيم،ولكنّه لم يكن يُعني بوضع ملاحظاته في شكل قوانين محددة بالتّعريفات الدقيقة، ولكنّه صّورها في أمثلة متعددة بحيث تمثّلها من خلفوه تَمثلاً واضحاً، مما قاد بعض الدّارسين إلى أن يعدّوه مؤسس البلاغة العربيّة».(٢)

واهتم ابن قتيبة(٢٧٦هـ) بفكرة النّظم فخصص باباً أسماه « باب تأويل الحروف التي ادّعى على القرآن بها الاستحالة وفساد النّظم»، فقال في نظم

---

١) الجاحظ- البيان والتبيين- جـ(١) ص ٦٦- ٦٧.

٢) شوقي ضيف- البلاغة تطور وتاريخ ص ٥٥- ٥٦، دار المعارف- القاهرة،ط(٦).د.ت.

الكلام: «ويقدّمون ماسبيله أنْ يُؤخر، ويؤخرون ماسبيله أن يقّدم.. ويحذفون مِنْ الكلام البعض إذا كان فيما أبقوا دليل على ما ألقوا».(١) فعرض لفكرة النّظم من خلال الملامح البلاغيّة المؤثرة في التركيب من تقديم وتأخير وحذف.وذهب إلى أنّ: « التكلُّف في الشعر أيضاً بأنْ ترى البيت فيه مقرونا بغير جارهِ، ومضموما إلى غير لَفْقة».(٢).

وهذا يبين أن مقياس الوحدة عند العرب في ارتباط الأبيات وشدة الصّلة بينها فكأنّها علاقة أخوة يحفظ ائتلافها وتتساوق عناصرها، ويعدّ من التُّكلف وضع الأبيات دون مراعاة الارتباط الجامع لها.

وأدرك ابن قتيبة تميّز نظم القرآن بقوله:« ألا ترى أنّك لو أردت أنْ تنْقُلَ قوله تعالى :(وإمّا تخافنَّ مِنّ قَوْمٍ خيانَةً فانبذ إليهم على سواء) (٣) لم تستطع أنْ تأتي بهذه الألفاظ مؤدية عن المعنى الذي أودعته حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها، وتظهر مستورها، فتقول: « إنْ كان بينك وَبيْنَ قوم هُدْنةٌ وعهد، فخفت منهم خيانةً ونقضا، فاعلِمْهُم أنّك قد نقضت ما شرطت لهم، وآذنهم بالحرب، لتكون أنت وهم في العلم بالنّقض على استواء» .(٤)ويقف على آية ثانية توضح ما يذهب إليه من تميّز النّظم القراني، يقول:« وكذلك قوله تعالى :

---

١) ابن قتيبة– تاويل مشكل القرآن ص ٢٩٩– ٣١٠. تحقيق: أحمد صقر، دار التراث– القاهرة ط(٢)١٩٧٣م.

٢) ابن قتيبة– الشّعر والشّعراء ص ٩٠. تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار المعارف– مصر١٩٦٦م.

٣) سورة الأنفال اية ٥٨.

٤) ابن قتيبة– تاويل مشكل القرآن ص ٢١.

(فضَرْبنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً)(١) إن أردت أنْ تَنْقُلَه بلفظه ، لم يفهمه المنقول إليه، فإن قلت: أنمناهم سنين عددا ، لكنت مترجما للمعنى دون اللفظ ».(٢)وهكذا تناول ابن قتيبة في كتابه« تأويل مشكل القرآن » أهمية النّظم في قوة التعبير والقدرة على الأداء.

وأوضح ابراهيم بن المدبر(٢٧٩هـ) قيمة الاختيار والموقعية في أسلوب النّظم يقول:« وليس أصعب من اختيار الألفاظ وقصدك بها إلى موضعها، لأنَّ اللفظة تكون أخت اللفظة وقسيمتها في الفصاحة والحسن، ولاتحسن في مكان غيرها ».(٣)

تلتقي هذه الإشارة مع الموقعية التي أشرنا إليها قبلا عند ابن المقفع ونمت عند بشربن المعتمر والعتابي والجاحظ، وهي وضع اللفظ في مكانه الذي ينبغي أن يكون فيه، ويكون المقصود من وضعه تحقيق ملامح من فكرة النّظم، ويعتمد هذا على اقتران الكلمة بما قبلها وما بعدها في نسق متكامل يؤسس على حسن الاختيار.

وينظر ابن المدبر إلى العمل الأدبيّ نظرة تحقق التّسلسل المنطقيّ بين

---

١)سورة الكهف آية ١١.

٢) ابن قتيبه– تاويل مشكل القران ص ٢١.

٣) ابراهيم بن المدبر– الرسالة العذراء ص ٣١ تحقيق: زكي مبارك، مطبعة دار الكتب المصرية– القاهرة ط(٢) ١٩٣١م.

عناصر النّص يقول:« فإنمّا يكون الكاتب كاتباً إذا وضع كل معنى في موضعه، وعلّق كلّ لفظة على طبقها من المعنى، فلا يجعل أول ماينبغي له أنْ يُكْتَبَ في آخر كتابه ولا آخره في أوله ».(١)وألمح إلى فكرة النظم بإعطائه القيمة الجمالية للكلمة إذا وضعت في مكانها من التّركيب، وإلاّ فسدت عناصر التّركيب، يقول: «وأدِر الألفاظ في أماكنها، واعرضها على معانيها وقلّبها على جميع وجوهها ، حتى تقع موقعها، ولاتجعلها قلقة نافرة، فمتى صارت كذلك هجُنْتَ الموضع الذي أردت تحسينه، وأفسدت المكان الذي أردتَ إصلاحه» (٢)

ويرى ابن طباطبا (٣٢٢هـ) أنّ: « أحسن الشعر ماينتظم القول فيه انتظاما يتّسق به أوله مع آخره على ما يُنسقه قائله، فإنْ قُدّم بيت على بيت دخله الخلل.. بَلْ يجب أنْ تكون القصيدة كلّها ككلمة واحدة في اشتباه أولها بآخرها، نسجا وحسنا وفصاحة ،وجزالة ألفاظ، ودقة معان وصواب تأليف، ويكون خروج الّشاعر من كل معنى يضعه إلى غيره من المعاني خروجا لطيفا.. حتى تخرج القصيدة كأنّها مفرغة إفراغا لاتناقض في معانيها، ولا وَهْيَ في مبانيها ولا تَكلُّف في نسجها ، تقتضي كلُّ كلمة مابعدها، ويكون مابعدها متعلقا بها مفتقراً إليها»(٣)

ويستخدم ابن طباطبا مصطلحاً يشارك النّظم في أصله الاشتقاقي

---

١) ابراهيم بن المدبر- الرسالة العذراء ص ١٧.

٢) ابراهيم بن المدبر- الرسالة العذراء ص ٢٩-٣٠.

٣) ابن طباطبا- عيار الشعرص ١٣١ تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت ط(١) ١٩٨٢م.

وأرومته، هو «الانتظام» الذي يرتبط بدراسة العناصر اللغويّة مُراعياً ايقاعها الداخليّ في بناء عُضويّ يَكشفُ مظاهر الاطّراد والانسجام. ويأتلف مفهوم الانتظام عند ابن طباطبا مع مجموعة من المفاهيم الملاقية له في المعنى نذكر منها :«الاتساق، والتنسيق، والنسج، والتعليق» وتؤلف هذه المفاهيم التي وردت في نصه السابق ملحظاً يلتقي مع المفاهيم التي اجتمعت لتكوين نظرية النّظم الجرجانيّة.

وهكذا نر ى أنّ عملية بناء العمل الأدبي عند ابن طباطبا ليست اعتباطيُه، بل واعية ترتبط بالبنية الكليّة للعمل الأدبيّ، فالنظم قاعدة تكوّن قوة فاعلة تصوغ الرؤية في نظام متشابك على أساس عضويّ، وبيّن شوقي ضيف الوحدة العضويّة عند ابن طباطبا بقوله :« وكأنّ ابن طباطبا تنبّه في دقة إلى ماردّده- ولايزال يردّده -النّقاد في عصرنا من فكرة الوَحدة العضويّة في القصيدة، بحيث تصبح القصيدة عملاً مُحكماً إحكاماً، فلا تخلخل بين المعاني، المتعاقبة إنّما انتظام واتساق والتحام حتى تصبح القصيدة كأنّها كلمة واحدة ومعنى واحد»(١)

ويقول محمد غنيمي هلال:«ولعلّ أروع ماتنعكس فيه نظريّة الوَحدة العضويّة لأرسطو في النّقد العربيّ هو قول ابن طباطبا(٢)

ويرى إحسان عباس أنّ وحدة القصيدة عند ابن طباطبا هي وحدة بناء مبنية على أساس من التّدرج وإقامة العلاقات بين الأجزاء، يقول:« إنّ الوحدة

---

١) شوقي ضيف- البلاغة تطور وتاريخ ص ١٢٧.

٢) محمد غنيمي هلال- النقد الأدبيّ الحديث-ص ٢١٠، دار نهضة مصر للطبع والنشر- القاهرة د.ت.

فيها قد تكون وحدة بناء وحسب، فتلك هي الغاية الكبرى من هذا التّدقيق في التّوالي والتّدرج وإقامة العلاقات بين الأجزاء».(١)

ويلح ابن طباطبا على التّخلص«بالطف تخلص وأحسن حكاية، بلا انفّصال للمعنى الثاني عما قبله، بل يكون متصلاً به وممتزجا معة»(٢) وفي موضع آخر يقول«إذا أسس (الشّاعر) شعره على أنْ يأتيّ فيه بالكلام البدويّ الفصيح لم يخلط به الحضريّ المولّد، وإذا أتى بلفظه غريبة أتبعها أخواتها، وكذلك إذا سهّل ألفاظه لم يخلط بها الألفاظ الوحشية النافرة الصعبةالقيادة»(٣) .

وهذا يكشف أهمية التّوافق بين عناصر العمل الفنيّ عند ابن طباطبا، الذي أبان عن تلاقي معاني آخر الكلمات بأولها، ممّا يدلّ على أهمية مساهمته في تدرج النّظم، وصفوة القول أنّ محاولة ابن طباطبا تعدّ محاولة جادةً في طريق دراسة العمل الفنيّ دراسة كليّة وفق الاتحاد العضويّ بين عناصره.

ويرى أبوبكر الصّوليّ (٣٣٥هـ) أنّ: (نقد الشّعر وترتيب الكلام، ووضعه مواضعه، وحسن الأخذ، والاستعارة، ونفي المستكره والجاسي صنعةً برأسها، ولا تراه إلا لمن صحت طباعهم، واتّقدت قرائحهم، وتنبهّت فطنتهم،وراضوا الكلام، ورَوَوا وميّزوا »(٤).

---

١) إحسان عباس– تاريخ النقد الأدبيّ عند العرب ص ١٢٨ دار الثقافة– بيروت ط (٤) ١٩٨٣م.

٢) ابن طباطبا– عيار الشعر– ص ١٢.

٣) ابن طباطبا– عيار الشعر– ١٢.

٤) ابو الحسن بن عبد لله العسكري– المصون في الأدب ص ٥–٦ دائرة المطبوعات والنشر – الكويت ،١٩٦٠م.

تلتقي نظرة الصّوليّ مع وجهات نظر النّقاد الذين سبقوه، مثل : ابن المقفع وبشربن المعتمر وكلثوم بن عمروالعتابيّ والجاحظ فكلّهم يُعلون من قيمة وضع الألفاظ في أماكنها اللائقة بها، مما يُضفي على العمل الأدبيّ القيم الجماليّة التي تدلّ على مهارة في الصّنْعة .

وتنبّه القاضي الجرجانيّ(٣٩٢هـ)إلى ملامح أساسيّة في نظرية النّظم وكشف عنها بقوله« وأقَلُّ الناس حظًا في هذه الصنّاعة منْ اقتصر في اختياره ونفيه، وفي استجادته واستسقاطه على سَلامه الوزن، وإقامة الإعراب، وأداء اللغة، ثم كان همُّة وبغيته أن يجد لفظا مُروّقا، وكلاما مُزوّقا، قد حُشي تجنيساً وترصيعاً،وشُحن مطابقة وبديعا... ثم لايعبأ باختلاف الترتيب، واضطراب النّظم، وسوء التأليف، وهلهلة النّسج ولايقابلُ بيْنَ الألفاظ ومعانيها، ولايَسْبر ما بينهما من نسب، ولايمتّحنُ ما يجتمعان فيه مِنْ سبب، ولايرى اللّفظ إلاّ ما أدى إليه المعنى»(١)

وفي ضوء هذا النص يمكن القول: إنّ القاضي الجرجانيّ سَبق عبد القاهر في اكتناه عناصر جوهريّة في نظريّة النّظم، وهذه العناصر تكشفت أهميتها عند عبد القاهر في نظريته، ومن هذه العناصر في هذا النّص أنّه : يعدّ الإعراب أساسا واحداً في الحكم على العمل الفنيّ ولايجوز الاقتصار عليه، وهذا ما دعا

---

١) القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني- الوساطة بين المتنبي وخصومة ص ٤١٣ تحقيق: محمدأبو الفضل ابراهيم، نشر عيسى البابي الحلبي- دار إحياء الكتب العربية ط(٢) ١٩٥١م.

إليه عبد القاهر وعدّ الناس متساوين في إداركه، وأبرز مايقدّمه هذا النّصّ الرتبة من تقديم وتأخير واتحاد الشكل بالمضمون المتجسد في العلاقة بين اللفظ والمعنى كما أنّ النصّ يلفت النّظر إلى اختبار العلاقة بين عناصر التّركيب، ويدعو إلى النّقد الذوقيّ المعللّ الذي يقف على أسباب العلاقة التي تصل بين أركان العمل الفنيّ ؛وبذلك تعدّ نظرة القاضي الجرجانيّ في هذا النص خطوة متقدّمة فنياً على طريق نظرية النّظم الجرجانيّة.

وتنبّه محمود السمرة إلى نظرة القاضي الجرجانيّ التي تبرز عناية بالوحدة ، يقول:« والحديث عن الابتداءات الحسنة في الشّعر، وحسن التخلص منها والخروج إلى الموضوع، ثم الخاتمة هو في الواقع حديث عن الوحدة في القصيدة العربيّة ».(١)

ونلمح عندالآمدي(٣٧٠هـ) الذوق الدقيق في إدارك الجمال عند خروج النّظم عن المألوف، ويتحقق هذا الاختراق للمألوف بالانحراف نحو الغرابة المبدعة. بحسن التأليف والمهارة في أداء اللفظ، يقول:« وحسن التأليف وبراعة اللفظ يزيد المعنى المكشوف بهاءً وحسنا ورونقا حتى كأنّه قد أحدث فيه غرابة لم تكن، وزيادة لم تُعهد ».(٢)

---

١) محمود السمرة- القاضي الجرجاني الأديب الناقد ص ١٨٢ المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع،ط(٢) سنة ١٩٧٩.

٢) الآمدي- الموازنه ص ٢٨١ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العلمّية، بيروت د.ت.

إنّ دراسة الانسجام هي مرتكز دراسةالنّظم، وبرزت هذه النّظرة جلية في النّقد العربيّ ، ومن النّقاد الذين يذكرهم الآمدي ـ وقد تجسدت عندهم هذه الفكرة-أبو العباس أحمد بن عبيد الله * الذي أنكر على أبي تمّام قوله:

هادِيه جِذْعٌ من الأراكِ ، وما تحت الصَّلا منه صخرةٌ جلسُ

فقال:« هذا من بعيد خطئه أنْ شبّه عنق الفرس بالجْذع، ثم قال« جْذع الأراك » ومتى رأى عيدان الأراك تكون جذوعاً ؟ وتشبه بها أعناق الخيل!». (١)

وقد أفرد أبو هلال العسكريّ(٣٩٥هـ) الفصل الرابع من كتابه(الصناعتين) للبيان عن حسن النّظم وجوده الرّصف والسّبك » (٢)، فاستخدم في هذا الفصل « النّظم» و الّرصف» و« السّبك» وتحمل هذه المفاهيم دلالة على تكوّن مفهوم النّظم واتضاح ملامحه عند العسكري،ولكن هذه الفكرة وقفت عند الأبعادالنّظرية والإشارة إلى عناصر النّظم دون رغبة في التّشكيل الكليّ لما سبق من النّظرات النّقديّة. يقول أبو هلال العسكريّ:« وحسن الرصف أنْ توضع الألفاظ في

---

* ابن عمار الثّقفيّ (أحمد بن عبيد الله أبو العباس-٣١٤هـ من ثقيف، كاتب مؤرخ أديب شيعيّ من أهل الكوفة، من كتبه (أخبار أبي نواس) و (أخبار ابن الرومي ومختار شعره) ياقوت الحموي -معجم الأدباء جـ(٣) ص٢٣٢-٢٤٢، دار المستشرق-بيروت.د.ت.

١) الآمدي- الموازنه ص ١٢٦.

٢) أبو هلال العسكري- الصناعيتين ص ١٧٧-١٨٩تحقيق: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت ط(٢) ١٩٨٤م.

مواضعها، وتمكّن في أماكنها، ولايُستعمل فيها التّقديم والتأخير والحذف والزّيادة إلاّ حذفا لايُفسد الكلام ولايُعمّي المعنى ، وتُضم كلّ لفظة إلى شكلها، وتُضاف إلى لَفْقها ،وسوء الرّصف تقديم ماينبغي تأخيره منها وصرفها عن وجوهها، وتغيير صيغتها، ومخالفة الاستعمال في نظمها ». (١)

وعقد أبو هلال العسكريّ باباً خاصاً سماه(في جمع المؤتلف والمختلف) وعرّفه بقوله:« وهو أنْ يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو متّفقة »(٢) ويمضي قائلاً:« وينبغي أنْ تجعل كلامك مشتبها أوله بآخره، ومطابقا هاديه لعجزه، ولاتتخالف أطرافه ولاتتنافر أطراره،، وتكون الكلمة منه موضوعة مع أختها، ومقرونة بلَفقها، فإنّ تنافر الألفاظ من أكبر عيوب الكلام »(٣)وهذه دعوة إلى الربط الفنيّ بين عناصر النص وإعلاء من قيمة الوحدة.

واستفاد أبو هلال العسكريّ في نظرته للنّظم من النّظرات النقديّة التي تقدّمته، وحاول صياغتها بطريقة منتظمة إلاّ أنهُ لم يخرج عن الأنظار النّقديّة السابقة إلا قليلاً بتوسيع دائرة النّظم فتناول الموقعيّة والرتبة ومايطرأ على الكلام من حذف وزيادة، وأدرك أهمية المعاني النّفسية المرتبطة

---

١) ابوهلال العسكري- الصناعتين ص ١٧٩.

٢) ابو هلال العسكري الصناعتين ص ٤٥٢.

٣) ابو هلال العسكري- الصناعتين ص ١٦٠.

بالبنية العميقة في إخراج الكلام إلى البنية المنطوقة أو الأداء، يقرّر هذا الاصل بقوله: « إذا أردت أنْ تضع كلاما فأخطر معانيه ببالك وتنوق له كرائم اللفظ، واجعلها على ذكر منك، ليقرب عليك تناولها، ولايتعبك تطلبها ».(١)

وعدّ المرزوقيّ(٤٢١هـ) التحام أجزاء النظم والتئامها إحدى قواعد عمود الشعر، يقول: «فالواجب أنْ يُتبيّن ماهو عمود الشّعر المعروف عند العرب ... إنّهم كانوا يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته.... والتحام أجزاء النّظم والتئامها على تخيّر من لذيذ الوزن ».(٢) و تحمل هذه القاعدة معنى أئتلاف عناصر النّظم في رباط متوافق يجمع أركان الكلام ويؤلف بينها بما يناسب مبدأ الانتظام.

ونقل ابن رشيق(٤٥٦هـ) قول الجاحظ في الشّعر: « أجود الشّعر مارأيته متلاحم الأجزاء... »(٣) وعلق على هذا الرأي بقوله:« وإذا كان الكلام على هذا الأسلوب الذي ذكره الجاحظ لذّ سماعه، وخفّ محتملة ، وقرُبَ فهمه، وعَذُبَ النّطق به، وحَلِيَ في فم سامعه، فإذا كان متنافراً متبايناً عَسُرَ

---

١) أبو هلال العسكري- الصناعتين ص ١٥١.

٢) المرزوقي- شرح ديوان الحماسة ص ٩-١٠.تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون، مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر -القاهرة ط(١) سنة (١٩٥١) والآمدي- الموازنه ص ٣٨١-٣٨٢.

٣) الجاحظ- البيان والتبين- جـ(١) ص ٦٧، وابن رشيق القيرواني- العمدة جـ(١) ص ٢٥٧ .

حفظه، وثقل على اللسان النّطق به، ومجّته المسامع فلم يستقر منه شيء».(١)

وعلى هذا يمكن القول: إنّ النّظم إذا استطاع تحقيق مطالب التّعليق فإنّه يتجاوز مرتبة الفهم إلى التأثير في النّفس والاستحسان في السّمع، وإنّ ترتيب النظم يحتاج إلى صياغة يرتضيها القانون البلاغي.

ويعلق ابن رشيق على قصيدة لأبي ذؤيب الهذليّ يصف فيها حمر الوحش والصائد وقد اطّرد حرف الفاء في بدايتها نذكر منها:

فوَرَدْنَ والعَيوقُ مَقْعَدَ رابــــيء الضُّربــاء خَلْفَ النجم لا يتَتَلّعُ

فكرعن في حُجرات عَذْبٍ باردٍ حَصبِ البطاح تغيبُ فيه الأكرعُ

فَشَرْبنَ ثُم سمِعْنَ حِساً دُونـــه شَرَفُ الحجابِ ورَيْبَ قَرع يُقْـرَعُ

قائلاً :«فأنت ترى هذا النّسق بالفاء كيف أطّرده، ولم ينحل عقده، ولا اختل بناؤه ،ولولا ثقافة الشّاعر ومراعاته إيّاه لما تمكن له هذا التمكن».(٢) في هذه النظرة نجد مَيْلاً إلى ضرورة تلاؤم الألفاظ في نسق يجمع بعضها مع بعض ليتحقق السبك الجميل.

ولابن رشيق رأي يختلف عن نظرته في النّظم يقول فيه:« ومن الناس من يستحسن الشّعر مبنياً بعضه على بعض، وأنا استحسن أن يكون كل بيت قائما

---

١) ابن رشيق- العمدة،ج(١) ص ٢٥٧ تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل ، بيروت ط(٤) ١٩٧٢.

٢) ابن رشيق- العمدة،ج(١) ص ١٢٩-١٣٠.

بنفسه لايحتاج إلى ماقبله ولا إلى مابعده، وما سوى ذلك فهو عندي تقصير، إلاّ في مواضع معروفة.مثل الحكايات وما شاكلها».(١)

ويوجه إحسان عباس هذا الرأي توجيها لطيفاً بقوله:«ومع أنّ هذا الرأي قد يفضي في النّهاية إلى ضياع الوحدة الظاهريّة في القصيدة فإنّ الذي يريده ابن رشيق هو استقلال كل بيت مع وجود الوحدة العامة، أي الاستقلال الظاهريّ والوحدة الداخلية»(٢)ولكن رأي ابن رشيق في البلاغة يختلف عن رأيه في القصيدة يقول:« البلاغة أنْ يكون أول كلامك؛ يدلُّ على آخره، وآخره يرتبط بأوله».(٣)

ولعلّ في نظرة ابن رشيق ما يُبدي اهميه وجود وحدة تربط عناصر النّص ، وإنْ كانت هذه الفكرة قد تأثرت بالنظر إلى استقلالية البيت ، بيد أنّ الاصل الذي يحكمها هو ائتلافه عناصر النص ائتلافاً يُعدّ ضربا من البلاغه .

وانتهى أحمد بدوي إلى أنّ « نقاد العرب يتطلبون في بناء القصيدة أنْ يكون فيها رابط قويّ بين أجزائها، حتى تبدو عملاً فنياً متلائم الأجزاء،مرتبط العناصر، ويتطلبون كذلك تناسباً بين البيت وسابقه ولاحقه، ليكون هناك سلك يجمع بين هذه الأبيات، وفي البيت الواحد يجب أن يتناسب شطراه في المعنى

١) ابن رشيق العمدة جـ(١) ص ٢٦١.

٢) احسان عباس- تاريخ النقد الادبي عند العرب ص ٤٥٢

٣) ابن رشيق- العمدة جـ (١) ص ٢٤٤

وفي الروح، وأن تتناسب جمله، فلا تتصل جملة إلاّ بما يشبهها ويناسبها، وأن ترتاح الى جوار أختها».(١)

وصفوة القول أنّ النّظم ارتبط في دلالته النّقدية الأولى بتوالي الألفاظ في مواقعها وتتابع عناصر العمل الفني في نسق، وتؤلف هذه الدّلالة المستوى الأوليّ من مستويات النّظم.واتضح أنّ النّظم قانون يؤدي إلى حسن التأليف وائتلاف الأجزاء في نظام مداره انسجام كلّ كلمة في مكانها، مما يعطي العبارة قوة في التّركيب. فتلمس البذور الأولى لنظرة النّظم تظهر أنّ بعض الأحكام النّقديّة التي أسهمت في تذوق الشعر ونقده كان مردّها إلى فكرة النّظم .

وهكذا فإنّ ماورد من نظرات نقديّة تُبدي أنّ ظاهرة النّظم لفتت أنظار النقاد، وقد استخدموا في التعبير عن هذه الظاهرة مفاهيم كثيرة منها: «الانتظام والسبك، والالتحام، والنسق، والنسج، والاقتران» وقد أشاروا بها إلى النظم والتعليق، وتحمل هذه المفاهيم معنى ائتلاف الكلمات وتعلقها في نظام معين، فلم تقتصر هذه النظرات على أنّها مهدت لنظرية النّظم الجرجانيّة بَلْ قدمت كثيراً من عناصرها، وجاءت صورة النّظم على هيئة نسيج متشابك الأبعاد بني على مجموعة من المفاهيم التي استندت إلى التصور الكلي لاتساق عناصر العمل الفني.

---

١) احمد احمد بدوي- أسس النّقد الأدبي عند العرب ص٣٢٨-٣٢٩نشر:دار نهضة مصرد.ت.

تدرج النظم عند البلاغيين:

ارتبطت دراسة النّظم عند البلاغيين والمفسرين بدراسة القرآن ،فكان القرآن أساس الدّراسات البلاغيّة التي اهتمت بتفسير معانيه وتوضيح أياته ووقفت على بلاغته وأسرار إعجازه وما يطرأ على تراكيبه من التّحولات الدّلاليّة المتعلقة بالقيم البلاغيةً، وبذلك يمكن أنْ تعدّ دراسات التفسير من ألوان الدراسات البلاغيّة التي أسهمت في تدرج مفهوم النّظم .

وإذا كُنا قد عرفنا موقف النّحويين والنقاد العرب من قضية النّظم فإننّا نقف الآن على نظرات البلاغيين التي أسهمت في التشكيل الكليّ لما يُعْرف بالعلاقات التي تربط عناصر النصّ ،ولانغالي حين نقول: إنّ نظريّة النّظم بلغت نضجها الفنيّ عند البلاغين، ونقف على ملامح هذه النظريّة عندهم على النحو الآتي:

إنّ مفهوم« القرآن » عند أبي عبيدة(٢١٠هـ) يتضمن معنى من معاني النّظم في طريقة ضمّ الكلام وجمعه على وجه مخصوص يقول مفسراً قوله جل ثناؤه:«(إنّ علينا جمعه وقرآنه) (١) مجازه: تأليف بعضه إلى بعض، ثم قوله تعالى: (فإذا قرأناه فاتبّع قرآنه) (٢)مجازه: فإذا ألّفنا منه شيئا، فضممناه إليك

---

١) سورة القيامة اية ١٧

٢) سورة القيامة اية ١٨

فخذ به، واعمل به وضمه إليك، وفي آية أخرى :(فإذا قرأت القُرانَ) (١) مجازه:إذاتلوت بعضه في اثر بعض حتى يجتمع وينضّم بعضه إلى بعض، ومعناه يصير إلى معنى التأليف والجمع»(٢) ويتبين لنا من ذلك أنّ توجيه أبي عبيدة لمفهوم القرآن» اعتمد معنى النظم في الجمع والتأليف والضم فاجتماع آي القرآن في نسق يعدّ ضربا من النظم.

وعقد الرمانيّ(٢٩٦هـ) باباً في كتابه« النكت في إعجاز القرآن» سماه باب التلاؤم عرض فيه للنظم من خلال التّرتيب الصوتيّ للحروف، وذكر فائدة التلاؤم :« والفائدة في التّلاؤم حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، وتقبل المعنى له في النّفس لما يرد عليها من حسن الصّورة وطريق الدّلالة ».(٣) « فإذا انضاف إلى ذلك حسن البيان في صحة البرهان في أعلى الطبقات ظهر الإعجاز للجّيد الطباع البصير بجواهر الكلام».(٤)

يُظهر«التلاؤم» صلة عضويّة بالنّظم لما له من أسرار جماليّة، وبيان ذلك تناسب أجزاء الكلام وائتلاف التّراكيب بطريقة تفضي إلى اتحاد الصّورة بدلالتها حتى يستويَّ العمل الفنيّ مؤتلف العناصر يبعث المزية والاستحسان في النّفس.

---

١) سورة النحل آية ٩٨.

٢) أبوعبيدة- مجاز القرآن جـ(١) ص ٢-٣ تحقيق: محمد فؤاد سزكين نشر: محمد سامي الخانجي، مصر ط(١) سنة ١٩٥٤.

٣) الرماني- النكت في إعجاز القرآن- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن- ص ٨٨ تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف مصر.

٤) الرماني- النكت في إعجاز القرآن ص ٨٩.

ويتبين من ذلك أنّ «التلاؤم» يشكل جزءاً في مزية الكلام، فإذا انضاف إليه حسن البيان ظهر الإعجاز البيانيّ الذي يحقق قيم النّظم البلاغيّة.وقد ذكر أهمية النّظم بقوله:« ودلالة الأسماء والصفات متناهية، فأما دلالة التأليف فليس لها نهاية. ولهذا صح التّحدي فيها بالمعارضة لتظهر المعجزة».(١) فعبارة «دلالة التأليف» تحمل معنى النّظم في قدرتها على تشكيل الطاقة التّعبيريّة بطريقة تفضي إلى تحقيق ائتلاف الظاهرة التّركيبيّة مما يحقق مبدأ الانتظام، وهو الصفة الكليّة التي تحكم النّظم. وهذا يؤدي إلى وحدة النصّ الأدبيّ وتناسق عناصره، وتشير عبارة«ليس لها نهاية» إلى أنّ الإبداع ليس له نهاية يقف عندها، وهذا يذكر بقاعدة التّوليد والتحويل التي ترى أنّ اللغة تقوم على مجموعة من الأحكام المحصورة وتستطيع توليد أمثلة من الكلام لاتنحصر.

ويستخدم الرّماني مفهوم «تعديل النّظم » الذي يقترب من طبيعة النّظم لأنّه، يحمل بعداً أسلوبياً يقف في أعلى مراتب البيان عند الرّمانيّ، وحسبنا وصف هذا المفهوم بأنه تناول أسلوبيّ يرمي إلى أسرار بلاغيّة تظهر فنيّة في التّعبير وفق مقاييس البلاغة التي تضع الكلام في مراتبه تحقيقاً لمبدأ التّوزان بين العناصر المكونة للعمل الفنيّ، يقول:« وحسن البيان في الكلام على مراتب فأعلاها مرتبة ماجمع أسباب الحسن في العبارة من تعديل النظم حتى يحسن

---

١) الرماني– النكت في إعجاز القرآن ص ٩٩.

في السمع ويسهل على اللسان وتتقبله النّفس تقبل البرد، وحتى يأتي على **مقدار الحاجة فيما هو حقه من المرتبة**».(١)

وفطن الرّمانيّ إلى أهمية النّظم في إعجاز القرآن، فوقف على أسرار النظم في قوله تعالى :(والّذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً) (٢)فقال: «وتشبيه أعمال الكفاربالسراب من حسن التشبيه، فكيف إذا تضمن مع ذلك حسن النظم ،وعذوبة اللفظ ،وكثرة الفائدة، وصحة الدلالة، فهذا بيان قد أخرج مالاتقع عليه الحاسة إلى ماتقع عليه، وقد اجتمعا في بطلان الحاجة وعظم الفاقة، ولوقيل: يحسبه الرائي ماء ثم يظهر أنّه على خلاف ماقدّر لكان بليغا، وأبلغ منه لفظ القرآن، لأنّ الظمآن أشد حرصاً عليه،وتعلقَ قلبٍ به » (٣) وقد أحس ببلاغة النظم القرآنيّ في تعليقه على قوله عزّ وجلّ:(فاصْدَعْ بما تُؤمر)(٤): « حقيقته فبلغ ما تؤمر به، والاستعارة أبلغ من الحقيقة، لأنّ الصدع بالأمر لابد له من تأثير كتأثير صدع الزجاجة ،والتبليغ قد يصعب حتى لايكون له تأثير فيصير بمنزله مالم يقع. والمعنى الذي يجمعهما الإيصال، إلاّ أنّ الإيصال له تأثير كصدع الزجاجة أبلغ».(٥)

وهكذا نرى أنّ الرمانيّ قد أحسّ بأسرار التّركيب وبلاغة النظم القرآني ،

---

١) الرماني -النكت في إعجاز القرآن ص ٩٨.

٢) النور آية ٣٩.

٣) الرماني ـ النكت في إعجاز القرآن ص ٧٥.

٤) سورة الحجر آية ٩٤.

٥) الرماني- النكت في إعجاز القرآن ص ٨٠.

فقدّم نماذج توضح درجات البيان وجمال التّعبير الناتج من التلاؤم وحسن الدلالة، واستطاع توظيف عناصر النظم من حذف وزيادة في تفسير الأداء اللغويّ. وقد كشف عن مراتب النّظم والمستوى الأسلوبيّ للعبارة ووضع يده على أسباب الإعجاز البيانيّ في التركيب، وفي ضوءهذه المساهمة يمكن القول:إنّ الرماني أعطى النّظم ملامح تفسيريّة جديدة.

وتعدّ دراسة النّظم عند الخطابيّ(٣٩٨هـ) مكملة لما جاء عند الرمانيّ، إذْ استطاع أنْ يقدم صورة لأسباب الجمال في التّركيب، فتناول الظاهرة البيانيّة مبرزا تميز الكلمات وما تحمله من دلالة، وبذلك يكون قد نظر إلى العمل الأدبيّ نظرة أسلوبيّة تبيّن أثر الجزئيات في البناء الكليّ، وكان سر الإعجاز عنده في المعنى واللفظ والنظم، يقول :« وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل،ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم»(١) .

فعبارة:« رباط لهما ناظم» صورة من صور النّظم الذي يقوم على تعليق الكلام بطريقة منتظمة على وجه مخصوص، وإدراك لجوهر فكرة النّظم التي أحسّ بها الخطابيّ، وتبيّن التّكامل بين اللفظ والمعنى،وتأتي هذه الإشارة إلماعا إلى النظرة الكليّة لكل كلمة ودلالتها في النظم، وأنْ لاينظر للكلمة إلاّ في تأليف ينتظم أجزاء التركيب،وتشي هذه العبارة باقتران الكلام وانسجامه في علاقات

---

١) الخطابي- بيان إعجازالقرآن- ثلاث رسائل إعجاز القرآن ص ٢٤ تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف- مصر.

متوافقة، وتؤلف قاعدة فنيّة قادرة على تحقيق التماسك وفقا للرباط الناظم.

وتقوم «رسوم النظم» بوظيفة حيويّة إذْ يتكوّن للكلام من خلالها صورة في النّفس تسهم في تحقيق البيان، وتتفاعل «رسوم النظم» مع المعاني العميقة القائمة في النّفس لتخرج على هيئة تراكيب مناسبة لمقتضى الحال وقوانين البلاغة. وصورة الكلام في النّفس مظهر من مظاهر النّظم، يقول الخطابي:« وأما رسوم النظم، فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر، لأنهّا لجام الألفاظ وزمام المعاني وبه تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضهبعض فتقوم له صورة في النّفس يتشكل بها البيان »(١) .

ويبدو أنّ رسوم النّظم عند الخطابي مفهوم مركب يشتمل على عناصر منها:التعليق،والإسناد،والبناء،والترّتيب،والعلاقة بين هذه العناصر تحكمها دوائر الشكل والمعنى في سياق القانون اللغويّ.ويلتفت الخطابيّ إلى فكرة النّظم مبينا أهمية «نظوم التأليف» في إعجاز القرآن يقول:«ولم نقتصر فيما اعتمدناه من البلاغة لإعجاز القرآن على مفرد الألفاظ التي منها يتركب الكلام دون مايتضمنه من ودائعه التي هي معانيه، وملابسه التي هي نظوم تاليفه ».(٢)

---

١) الخطابي- بيان إعجاز القرآن ص ٣٣.

٢) الخطابي- بيان إعجاز القرآن ص ٣٢ .

«فنظوم التأليف» تبدى أهمية مراعاة الّروابط في العمل الأدبيّ وائتلاف أجزاء الصورة تحقيقاً للمعنى الذي سبكت فيه، فهي ربط عناصر البنية في علاقات متماسكة فارتباط الكلمة بغيرها يتوقف على «نظوم التأليف» وجمع الكلمات بطريقة عضويّة من أسرار جمال العمل الأدبيّ.

ويشير الخطابي إلى عناية دقيقة بضرورة وضع الكلمة في مكانها الذي يليق بها، فبلاغة الكلم بالتهدي إلى وضع الكلمة المناسبة في مكانها المناسب، وتبدو بلاغة الكلم في مطابقة الكلام للمواقف التي يعرضها:«إنّ عمود هذه البلاغة هو وضع كلّ نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخصّ الأشكل به، الذي إذا أُبدِلَ مكانه غيره جاء منه إمّا تبدّل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام وإمّا ذهاب الرَونق الذي يكون معه سُقوط البلاغة»(١)

ويلفت انتباهنا إلى أنّ اللفظين يلتقيان في الدلالة إلى درجة الظن أنّ أحدهما قد يسدُّ مسدَّ الآخر، ولكنّ الفروق الدّلالية تكشف أنّ أحدهما يكون في موضع أولى به من الآخر:« ذلك أنّ في الكلام ألفاظا متقاربة في المعاني يحسب أكثرُ الناس أنّها متساوية في إفادة بيان مراد الخطاب، كالعلم والمعرفة،والحمد والشكر، والبخل والشح، وكالنعت والصفة، وكقولك: اقعد واجلس، وبلى ونَعَمْ.. والأمر فيها وفي ترتيبها عند علماء أهل اللغة بخلاف ذلك، لأنّ لكل لفظة منهاخاصية تتميز بها عن صاحبتها في بعض معانيها»(٢).

---

١) الخطابي- بيان إعجاز القرآن ص ٢٦.

٢) الخطابي- بيان إعجاز القرآن ص ٢٦.

وهكذا نخلص من النّظر إلى ماقدّمه الخطابيّ إلى القول إنّ الخطابي وقف على ملامح من ظاهرة النّظم تبدّت في بعدها النّظري من خلال مفاهيم أبرزها«رباط ناظم» و«رسوم التأليف»« ونظوم التّأليف» فاستطاع توظيف هذه المفاهيم في تقديم صورة لاتحاد عناصر النّظم، واعتنى ببيان دلالة الألفاظ بدقة تراعي الفروق الدلاليّة.

ويستخدم الباقلانيّ (٤٠٣هـ) «النّظم»و«التأليف» و«الرّصف» و«الرتبة» للتعبير عن فكرة النّظم بقوله: «وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرّف فيه من الوجوه على حدّ واحد، في حسن النّظم، وبديع التأليف والرّصف، لاتفاوت فيه، ولا انحطاط عن المنزلة العليا، ولا إسفاف فيه إلى الرتبة الدنيا»(١)

ويرى الباقلانيّ أنّ الإعجاز واقع في نظم الحروف على نظام مخصوص يقول:« ليس الإعجاز في نفس الحروف وإنّما هو في نظمها وإحكام رصّفها. وليس نظمها أكثر من وجودها متقدّمة ومتاخرة ومترتبةفي الوجود، وليس لها نظم سواها» (٢)ويفسر الإعجاز في نظم الحروف على وجه مخصوص بقوله : «لأنّ الإعجاز واقع في نظم الحروف التي هي دلالات وعبارات عن كلامه، وإلى مثل هذا النّظم وقع التحدي» . (٣)

---

١) الباقلاني- إعجاز القران، ص ٥٦، تحقيق :السيد أحمد صقر دار المعارف - مصر د.ت.

٢) الباقلاني-التمهيد ص ١٢٥-١٢٦تحقيق:محمود الخضري ومحمد عبد الهادي، نشر: دار الفكر العربي- القاهرة ١٩٤٧.

٣) الباقلاني- إعجاز القران ص ٣٩٥.

وتنبّه الباقلانيّ إلى فصاحة النّظم في اختيار الكلمة واقترانها بأخواتها وأثر ذلك في إخراج النظم البديع، وقد وضع يده على مفهومي «الاقتران» «والضم» وهما من المعاني التي اشتمل عليها النّظم، يقول في فصاحة كلمات القرآن:« فكلّ كلمة لو أفردت كانت في الجمال غاية، وفي الدّلالة آية ، فكيف إذا قارنتها أخواتها، وضامّتها ذواتُها :ممّا تجري في الحسن مجراها، وتأخذ في معناها ؟ ».(١)

وأدرك الباقلانيّ أنّ نظم القرآن يناسب الوجوه التي يقتضيها المقام، يقول: «إنّ عجيب نظمه، وبديع تأليفه لايتفاوت ولايتباين، على مايتصرف إليه من الوجوه التي يتصرف فيها، من ذكر قصص ومواعظ واحتجاج وحِكَم ، وأحكام، وإعذاروإنذار، ووعد ووعيد... وغير ذلك من الوجوه التي يشتمل عليها».(٢)

فالنّظم طريقة أسلوبية تناسب المعاني المختلفة ولاتجد تفاوتا في النظم القرآني المعجز في تصرفه حسب الأصول والغايات فلا يكون في القرآن تفاوت، لأنّ نظمه يراعي مقتضيات الحال. وهذا يدل أنّ بلاغة القرآن على مستوى واحد

١) الباقلاني- إعجاز القرآن ص ٢٨٩.

٢) الباقلانيّ-إعجاز القرآن ص ٥٤

من التأليف الذي يضع الكلمة في مكانها اللائق بها من حيث دلالتها على المعنى الذي أريدت له.

ويشير الباقلانيّ إلى عناصر النّظم في بيانه عن أسباب إعجاز القرآن بقوله:«وذلك أنّ نظم القرآن على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد».(١)

وقد سبق الرمانيّ إلى هذا الملمح حين عدّ القرآن خارجاً عن العادة، فقال: «وأمّا نقض العادة فإنّ العادة كانت جارية بضروب من أنواع الكلام معروفة، فأتى القرآن بطريقة مفردة خارجة عن العادة لها منزلة في الحسن تفوق به كلّ طريقة».(٢)

وأغلب الظن أنّ هذه الفكرة تعود إلى الجاحظ وأنّ الرماني تأثر بها ثم انتقلت إلى الباقلانيّ، ونبّه شوقي ضيف إلى تأثر الباقلانيّ بالجاحظ والرمانيّ بقوله:« وهو متأثر في الشطر الأول من نظريّتة بفكرة الجاحظ التي ذهب فيها إلى أنّ مرجع الإعجاز في القرآن إلى نظمه وأسلوبه العجيب المباين لأساليب العرب في الشعر والنثر، أمّا في الشّطر الثاني من نظريته فمتأثر بفكرة

---

١)الباقلاني – إعجاز القرآن ص ٥١-٥٢.

٢) الرماني– النكت في إعجاز القرآن ص ١٠٢.

الرّمانيّ التي ذهب فيها إلى أنّ القرآن يرتفع إلى أعلى طبقة من طبقات البلاغة»(١)

ويبيّن الباقلاني أنّ تأثير الكَلام في النّفس يكون وَفْقَ نظمه:« وبحسب ما يترتب في نظمه، ويتنزل في موقعه، ويجري على سَمْت مطلعه ومقطعه- يكون عجيب تأثيراته وبديع مقتضياته»(٢)

وانتهى شوقي ضيف في نظرته لما قدّمه الباقلانيّ إلى فكرة تقول: «والخلاصة، أنّ الباقلاني لم يزد في كتابه عن شرحه أو قُل بعبارة أدقَّ عن محاولة شرحه لما قاله الجاحظ من جمال النّظم القرآني وما قاله الرّمانيّ من أنّه في المرتبة الرّفيعة من البلاغة والبيان»(٣)

والحقّ أنّ الباقلاني تنبه إلى أهمية النظم في إعجاز القرآن، فقد تناول ملامح من مفهوم النظم جاءت عنده بطريقة أسلوبيّة ترجِعُ أسرار النّظم إلى طريقة تأليف الكلام ونظامه الخاص، واعتمد في التعبير عن هذه الفكرة مفاهيم منها:«النظم، والضم، والترتيب، والأسلوب» وكلّ هذه المفاهيم تلتقي في تكوين القاعدة الأساسية لفكرة النظّم الجرجانيّة.

---

١) شوقي ضيف- البلاغة تطور وتاريخ ص ١٠٨-١٠٩.

٢) الباقلاني- إعجاز القرآن ص ٤١٩.

٣) شوقي ضيف- البلاغة تطور وتاريخ ص ١٠٧-١١٤.

وقد خطت فكرة النّظم على يد القاضي عبد الجبار(٤١٥هـ) خطوات واسعة وإنْ لم تصل إلى المستوى الفنيّ العميق الذي رسمه عبد القاهر فقد خصّص القاضي عبد الجبار الجزء السادس عشر من كتابه « المغني في أبواب التوحيدوالعدل» لبحث مسألة الإعجاز القرآني، وعارض رأي أستاذه أبي الهاشم الجبائي الذي ينصّ أنّه:« ليس فصاحة الكلام بأنْ يكون له نظم مخصوص».(١) فالنظّم لايفسر فصاحة الكلام وفق رأي أُستاذه، ولكنّ عبدالجبار لم يرتض هذه الفكرة فعقد فصلا أوضح فيه سبب تفاضل الكلام، وسبق القاضي عبد الجبار عبد القاهر الجرجانيّ إلى وضع قانون من قوانين النُّظم، وقد وظف هذا القانون للكشف عن الفصاحة وعدّه مقياساً للحكم على فصاحة التّعبير، يقول:« اعلم أنّ الفصاحة لاتظهر في أفراد الكلام، وإنمّا تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة،ولابد مع الضمّ منْ أنْ يكون لكلّ كلمة صفة،وقد يجوز في هذه الصفة أنْ تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه ،وقد تكون بالموقع، وليس لهذه الأقسام الثلاثة رابع». (٢)

وعلى هذا يمكن القول:إنّ النّظم عند القاضي عبدالجبار يُبني على ثلاثة عناصر،وتتفق هذه العناصر مع مايعرف بالقرائن اللفظيّة في علم اللسان الحديث

---

١) القاضي عبدالجبار- المغني في أبواب التوحيد والعدل جـ ١٦ ص ١٩٧تحقيق: أمين الخولي، نشر : مطبعة دارالكتب- القاهرة ط(١) ١٩٦٠م.

٢) القاضي عبد الجبار- المغنى جـ ١٦ ص ١٩٩.

التي تسهم في إبراز المعنى، ونقف على هذه القرائن مرتبة كما وردت في النّص السابق:

أولاً: الضمُّ على طريقة مخصوصة وهو ما يسميه تمّام حسان« التّضام» ويقدم وجهين إلى فهمه:

الوجه الأول: أنّ التّضام هو الطرق الممكنة في رصف جملة ما فتختلف طريقة منها عن الأخرى تقديما وتأخيرا وفصلا ووصلاً، وهو بهذا المعنى أقرب إلى اهتمام دارسة الأساليب التّركيبيّة البلاغيّة الجماليّة منه إلى دراسة العلاقات النحّويّة والقرائن اللفظيّة.

الوجه الثاني: أنّ المقصود بالتّضام أنّ يستلزم أحد العنصرين التحليليّن عنصراً آخر مثاله التّلازم بين حرف الجر ومجروره والمبهم وتمييزه وواو الحال وجملة الحال وحرف العطف والمعطوف»(١)

ويبدو أنّ التضّام شامل للوجهين من حيث الاهتمام بالعلاقات التّركيبيّة بطريقة أسلوبية والعناية بالمعنى النحويّ، وما تقدمه من علاقات التلازم بين عناصر التركيب اللغويّ على وجه مخصوص يقدّم طريقه نظم شاملة للفظ والمعنى.

ثانياً: الإعراب: وهو قرينة لفظيّة«وقد كانت العلامة الإعرابيّة أوفر القرائن

---

١) تمّام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها- ص ٢١٦-٢١٧ الهيئة المصرية العامة للكتاب ط(٢) ١٩٧٩.

حظاً من اهتمام النحاة»(١) ويأتي الإعراب عند القاضي عبد الجبار مقياساً للفصاحة، ولكنّه مقترن مع التّضام والرتبة أو الموقعيّة وندرس الإعراب في موقعه دراسة تفصيليّة.

ثالثاً : الموقع: وهو مايعرف بالرّتبة أو الموقعية وهو قرينة لفظية:« ويظهر أنّ بين الرتبة النحّوية والظواهر الموقعية رحماً موصولة، لأنّ الرّتبة حفظ الموقع والظاهرة الموقعيّة تحقيق مطالب الموقع، وتقسم الرتبة إلى قسمين: رتبة محفوظة وغير محفوظة»(٢) والمقياس الثالث من مقاييس الفصاحة وعناصر النّظم الموقعيّة التي تحقق توزيع العناصر اللغويّة في تقاطع مع اختيار الألفاظ بطريقة مناسبة وفق توزيع يناسب القرينتين السابقتين التّضام والإعراب.

وتكون المفاضلة بتضافر مجموعة من القرائن التي تؤلف مقياساً للفصاحة، ويجمع النّظم هذه القرائن في سياق واحد، يقول القاضي عبد الجبار:« أنّ يعلم أفراد الكلمات، وكيفية ضمّها، وتركيبها، ومواقعها،فبحسب هذه العلوم والتفاضل فيها، يتفاضل مايصح من رتب الكلام الفصيح» (٣)فقد بنى المفاضلة على أساس قرائن التّضام على وجه مخصوص والاختيار الأسلوبيّ للمفردات وتوزيعها وفق نظام معين في ضوء الموقعية.

بهذه الفكرة استطاع القاضي عبدالجبار أنْ يُميّز الفصيح من غيره فالخطاب الفنيّ يقوم على نظم الكلمات وفق مواقعها ممّا جعل للنصّ بُعْداً فنياً خاصا.

---

١) تمام حسان- اللغة العربية معناهاومبناها ص ٢٠٥.

٢) تمام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها ص ٢٠٨.

٣) القاضي عبدالجبار- المغنى جـ١٦ ص ٢٠٨.

وبّين شوقي ضيف أهمية ماقدّمه القاضي عبد الجبار بقوله:«وقد وقف عبد الجبار على معنى النّظم فله أصل النظريّة وفضل السبق والابتكار ينسب إليه، وعبد القاهر له فضيله تفسيرهاتفسيراً دقيقاً بحيث أصبح فعلاً صاحبها الذي صورها وطبقها واستخرج على أساسها علم المعاني المعروف بين علوم البلاغة العربيّة». (١)

فالنّظم هو الركن الأساس في بلاغة الكلم، ويتجسد هذا النّظم عند القاضي عبد الجبار في الاختيار المناسب للألفاظ، ثم وضع الألفاظ في مكانها المناسب لتؤدي الوظيفة الدّلالية، فالمعنى الذي يخطر للإنسان يستدعي ما يناسبه من الكلام الموافق لمقتضى الحال، فتخرج الكلمات من المعاني النفسيّة في ضوء اختيار المبدع للتعبير المناسب الذي ينتظم تحقيقاً للتجربة على طريقة مخصوصة. يقول القاضي عبدالجبار:« قد علمنا أنّ مع حضور الكلام قد يختلف الاختيار، في المتخير، بحسب التجربة والعادة، فلابد مع العلم بالكلمات من أنْ تتقدم للمتكلم هذه الطريقة، في نفسه وفي غيره، ليعرف مواقع جمل الكلام، إذا تألفت، فيصلّ بين ما يأتلف من كلمات مخصوصة، وبين ما يأتلف من غيرها، ويعرف الطرائق في هذا الباب».(٢)

نظر القاضي عبد الجبار إلى نظم الكلمة من حيث الوضع اللغويّ. وما تتعرض له عندما تأخذ مكانها في التركيب اللغويّ.فالحركة الإعرابية والموقعية

---

١) شوقي ضيف- البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٨.

٢) القاضي عبدالجبار- المغني جـ ١٦ص ٢٠٣.

واختيار الكلمة ووضعها المناسب أمور تسهم بدور فعال في توجيه الجوانب الدلاليّة. وأدرك أنّ المزية بضم الكلمات على طريقة مخصوصة، قال: « والعلم بالكلام وتركيبه يجري على هذا النحو،لأنّ المتكلم يجب أنْ يكون عالما بأفراد الكلام،وكيفية ضمّه، ويعرف ما إذا ضم بعضه إلى بعض يكون ضربا من الكلام ».(١)

وبهذا استطاع أنْ:«يفسر النظم تفسيراً أدق من سابقيه، إذْ نفي أنْ يكون مرجع الفصاحة التي يفسر بها الإعجاز القرآنيّ والتي يتفاضل بها البلغاء إلى اللفظ أو إلى المعنى، أو إلى الصّور البيانية، وإنمّا مرجعها إلى الأسلوب والأداء والصّياغة النحويّة للتعبير، وكان ذلك شُعاعا أضاء لعبدالقاهر طريق البحث في تفسير(النّظم) ».(٢)

وهكذا نرى أنّ القاضي عبد الجبار وقف عند الجانب النّظري في تناوله لفكرة النّظم ولم يتعده إلى الجانب التّطبيقي، فعندما ذكر بعض آيات الذّكر الحكيم لم يكشفْ عن أسرار النّظم فيها وإنما اكتفى بتعليل الجمال بإرجاعه إلى المزيّة، يقف عند قوله تعالى : (وأصحابُ اليمين ما أصحاب اليمين في سدْر مّخضود، وطلح مّنضود، وظلّ ممّدود، وماء مّسكوب، وفاكهة كثيرة)(٣)

---

١) القاضي عبد الجبار المغني جـ١٦ ص ٢١٣.

٢) شوقي ضيف- البلاغة تطور وتاريخ ص ١٦١.

٣) سورة الواقعة آية ٢٧- ٣٢.

إلى آخر الآيات فيقول: « اعلم أنّ مَزِيَّتَه على مانسمع من الكلام الفصيح عظيمة »(١)

وإغفال التّفسير النّقديّ الكاشف لأسرار النّظم يدلّ على انشغال القاضي عبد الجبار بالجانب النّظري الذي لم يستطع أن يجعل منه نظريّة تطبيقيّة محكمة كما حدث عند عبدالقاهر الجرجانيّ. بيد أنّ هذا لاينفي عن محاولة عبد الجبار الوصف العلميّ لفكرة النّظممًا مَهَّدَ السبيل لظهور نظريّة عبدالقاهر الجرجانيّ.فكانت نظرة عبد الجبار في (المغني) الأساس النظريّ الذي فتح باباً جديداً في دراسة النّظم بإحكام مجموعة من القوانين التي تحكُم الظاهرة، فوضع الجرجانيّ نظريّته على أساس من فهم هذه النظريّة وسلك نهجا يوجه عناية إلى هذه الفكرة مستشعراً العلاقة بين اللفظ وموقعه في النظم .

إنّ اعتقاد ابن سنان الخفاجيّ (٤٦٦هـ) أنّ القرآن معجز بالصّرفة لم يمنعه من إدراك وجوه الفصاحة وأهمية النظم يقول:«وإذا عدنا إلى التّحقيق وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته، بأنْ سُلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون منْ المعارضة في وقت مُرامهم ذلك».(٢)

وقد جاء حديثه عن النّظم مرتبطاً بالوحدة العضويّة، ولكنّه لم يُضِف شيئا على سابقيه، يقول:« ومن الصحة صحة النّسق والنظم، وهو أنْ يستمرَّ

---

١) القاضي عبد الجبار -المغني في أبواب التوحيد والعدل ج١٦ ص٣١٤-٣١٥.

٢)ابن سنان الخفاجي- سر الفصاحة ص ..١دار الكتب العلمية، بيروت ط(١) ١٩٨٢م.

في المعنى الواحد، وإذا أراد أن يستأنف معنى آخر أحسن التخلص إليه حتى يكون متعلقاً بالأول وغير منقطع عنه، ومن هذا الباب خروج الشعراء من النّسيب إلى المدح».(١)

سبقت الإشارة في تناول نظرة ابن طباطبا النّقديّة إلى تفاعل النظم مع الوحدة العضويّة حيث تنصهرالوحدة في شبكة من العلاقات التي تجسد الأنساق في ربطها بعلاقة تتجاذب فيها العناصر اللغويّة، وأنّ حديث حسن التخلص حديث عن الوحدة العضويّة.

وعُني ابن سنان الخفاجّي بتأليف اللفظة على وجه مخصوص يحقق البنية الصوتيه فالملامح الصوتية تؤدي وظيفة دلاليّة في التّوزيع المناسب من حيث النّغم وأثر ذلك في السّمع، يقول:« أن تَجِدَ لتأليف اللفظة في السّمع حسنا ومزية على غيرها وإنْ تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة، كما أنّك تجد لبعض النغم والألوان حُسنا يتصور في النّفس ويدرك بالبصر والسّمع دون غيره مما هومنْ جنسه، كلّ ذلك لوجه يقع التأليف عليه»(٢)

وهكذا يتّبين بعد العرض الذي مربنا لتدرج فكرة النّظم قبل عبدالقاهر الجرجانيّ (٤٧١هـ) أنّ هذه الفكرة أخذت عند الجرجانيّ منحى معرفياً جديداً ، اتصف بالعمق والشّمول باعتباره بنية ذات علاقات متشابكة. وأنّ صعوبات أساسية تبدو في تعريف مفهوم النّظم قبل الجرجانيّ، أبرزها أنّ ملامح هذا

---

١) ابن سنان الخفاجي- سر الفصاحة ص ٢٦٨.

٢) ابن سنان الخفاجي- سر الفصاحه- ص ٦٤- ٦٥.

المفهوم لم تكن واضحة بشكل دقيق، إذْ لم يكن يشكل مفهوما مبنياً على أساس بنيه فنية تؤسس معيارا في الحكم.إنّ أولّ ما فعله الجرجانيّ هو توضيح مفهوم النّظم توضيحا دقيقاً،فجعل اهتمامه منصبا على النّظم في سياق العلاقات النحّوية في ضوء الدّلالة، وتوخى في دراسته وظيفة تطبيّقية بُنِيَتْ على النصوص.

وقد ارتبط النّظم عندالجرجانيّ مع مجموعة من المفاهيم منها:«النسج، والتأليف والصّياغة، والبناء،والوشي، والتحبير،والتّرتيب، والنّسق، والضم، والجمع، والاتساق، والمؤّانسة، والتّلاؤم، والتلاقي،والتّعليق، والاقتران، والائتلاف» فذكر الجرجاني مجموعة من المفاهيم التي تشترك مع النّظم بقوله «وكذلك كان (النّظم) عندهم نظيراً للنسج، والتأليف، والصّياغة، والبناء ، والوشي، والتحبير، وما أشبه ذلك ممّا يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كلّ حيث وُضِعَ علّه تقتضي كونّه هناك، وحتى لو وُضِعَ في مكان غيره لم يَصلُحْ ».(١)

ويبدو أنّ ثَمَّةَ رابطاً يجمع بين هذه المفاهيم وهذا الرابط هو الخطوط المشتركة التي تقّدم قضية أساسية تتجلى في اقتران الكلام وترتيبه واكتناه الرّوابط في النّظر إلى الجمال الأدبيّ،والمطابقة بين البناء الداخليّ للكلام والبناء الخارجيّ.

---

١) عبد القاهر الجرجانيّ دلائل الإعجاز ص ٤٠.

ويعتمد النّظم على الترابط الداخليّ في وحدة متجانسة وينطلق من مقوله مؤداها أنّ العمل الأدبيّ مبنيّ على مجموعة من العلاقات ، و عند تحليل النصّ فلا بد من اختراق هذه العلاقات لإدارك قيمته.

وتبيّن أنّ الأساس الذي بنى عليه الجرجانيّ نظريّته هو مفهوم النّظم، ويعّرف النظم على أنّه:« تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض مع توخيّ معاني النحو بين الكلم، كي تتحد أجزاء الكلام ويدخل بعضها في بعض، وأنْ يشتد ارتباط ثانٍ منها بأول، كي توضع الجملة في النّفس وضعاً واحداً، وأنْ تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحّو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسَمتْ فلا تُخلّ بشيء منها، فليس الغرض بنظم الكلم أنّ توالت ألفاظها في النّطق، بل أنّ تناسقتدلالتهاوتلاقت معانيها علىالوجه الذي اقتضاه العقل »(١)

يكاد النّص السابق يوجز نظريّة النّظم الجرجانيّة، فقد جاءَ بياناً لعلاقة الفكر باللغة موضحاً أثَرَ المعاني النّحويّة في الأداء الدّلاليّ، ويكشف نصّ الجرجانيّ أن مدار المفاضلة تناسق الدلالات على وجه مخصوص، وبذلك تؤسس هذه النّظرة على تكامل عناصر العمل الفنيّ تحقيقاً للاختيار، والموقعّية، والإسناد، والتعليق، وإدراكاً لمعاني النّحو وأحكامه، فأساس النظم مجموعة العلاقات التي تحقق استخدام الكلمة في سياقها المناسب، ولعلّ أولَ ماينبغي أنْ

---

١) عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز ص ٤١، ٤٤، ٦٤، ٧٣.

يلفت نظرنا في هذا النّص عناصر هذه النظريّة بالنّظر إلى علم اللسان الحديث، فقد تسنى للألسنيه أنْ تُفسرجوانب أساسيّة في هذه النظريّة، يقول تمأم حسان في تعريف النّظم:« والنّظم كما فهمه عبد القاهرهو نظم المعانّي النحّويّة في نفس المتكلم لابناء الكلمات في صورة جملة »(١)

تضمن هذا الرأي التفاتة إلى صورة من صور النّظم عند الجرجانيّ، ولكنّه انتهى إلى حكم لايتفق مع نظرة الجرجانيّ الذي يقول:« لانظم في الكلم ولاترتيب حتى يعلق بعضهاببعض وتجعل هذه بسبب من تلك »(٢)

فالنّظم مفهوم مركب يشتمل على عناصر منها: التّعليق، والإسناد، والبناء والتّرتيب، والمعاني النحوية، والمعاني القائمة بالنّفس، وبذلك يتألف من البناء اللفظي الذي يستند إلى المعنى العميق القائم بالنّفس. وهكذا يظهر تقارب أو تطابق بين حجر الأساس في موضوع« النّظم » في دراسة الجرجانيّ وعلم اللسان الحديث، وخاصة عند تشومسكي الذي يتفق وهذه النّظرة في تجاوز البنية السطحيّة إلى البنية العميقة، وهي المعاني الذهنية المجردة.ومنْ لطائف المقابلة التقاء رأي الجرجانيّ مع علم اللسان الحديث حيث يقول :«فليس الغرض بنّظم الكلم أنْ توالت ألفاظها في النطق، بل أنْ تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل»(٣)

---

١) تمام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٨٧ ط(٢) الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩.

٢) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٤٤.

٣) عبدالقاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز ص ٤٠-٤١.

وتلتقي هذه النّظرة إلى النّظم مع أصل من أصول البنيويّة يقرّره نهاد الموسى بقوله:« يقوم منهج التّحليل إلى المؤلفات المباشرة على مقولة مؤداها أنّ الجملة ليست خطا أفقياً من كلمات متتابعة ،وإنما هي نسق منظوم على نحو مخصوص»(١)

وعلى هذا النّحو يؤخذ النّظم عند الجرجانيّ من زاوية المطابقة بين الإيقاع النّفسي للكلام والايقاع الخارجيّ ومن هذه القاعدة نخرج بنتيجة مؤداها أنّ ايّ تغيرفي المعاني النّفسيّة الداخلية يتبعه تحول في البناء اللفظيّ لأنّ النّظم شامل لهما.وقد رجع الجرجانيّ إلى فكرة النّظم في غير موضع، وهذا يبدي أنّها تكّون قاعدة ثابتة لديه يجب الأخذ بها في نظام ، وهكذا قرّر قاعدة النّظم وبنى عليها نظريّته في البلاغة فقد وجه المفاهيم البلاغيّة في ضوء هذه النظريّة.

ويبدو أنّ النّظم عند الجرجانيّ انسجام يؤلف أجزاء الكلام في تناسق يفضي إلى التّرابط الكليّ في حشد الإمكانات التعّبيريّة وفقا لقوانين تحكم العلاقة بين التّراكيب . ويتوقف جوهر نظريّة النّظم على البعد الدّلاليّ الذي يعلق الألفاظ في ارتباط معنويّ يكوّن قاعدة متماسكة من العلاقات التي يقتضيها السّياق، فتُرتّب الكلمات في مكانها الذي تُمليه المعاني النّفسيّة مما يفضي إلى تفاعل المعنى وقرينة الإعراب، يقول الجرجانيّ:« لانشك في أنّ لاحال

---

١) نهاد الموسى – نظريّة النحو العربيّ في ضوء مناهج النّظر اللغوي الحديث ص ٢٩ دار البشير، عمان–الأردن، ط(٢) ١٩٨٧.

للفظة مع صاحبتها تعتبر إذا أنت عزلت دلالتها جانبا، فالألفاظ لاتستحق من حيث هي ألفاظ أنّ تنظم على وجه دون وجه».(١)

وأدرك محمد بركات أبوعلي قيمة رأي عبدالقاهر في النّظم بالمقابلة مع علم الجمال بقوله:« وحديث عبد القاهر في نظريّة النّظم حديث الفاهم لقضاياها وجزئياتها، وهو الذي حدد معالمها، حتى إنّ علماء الجمال من الأجانب مع دراساتهم واجتهاداتهم- مانقضوا قوله في الأسلوب وجماله، وانتهواإلى أنّ جمال الأسلوب (النّظم) يرجع إلى التّآلف والتعانق بين الألفاظ والمعاني وما ينتهي إليه ذلك من صورة فنية رائعة»(٢)

تناول الجرجانيّ ما يطرأ على الجملة من تقديم وتأخير أوحذف أوزيادة ومايتعلق بتركيب الجملة وبينّ أثر هذه العناصر- ويطلق التحويليون على هذه العناصر عناصر التحويل- فهي تدخل لأغراض دلاليّة كشف الجرجانيّ عن أسرارها فهي وجوه التّعبير عن المعنى بطرق مختلفة، وتتفاوت الدّلالات بتفاوت أساليب التّعبير والنظم عند الجرجانيّ جوهر الفصاحة، وبه يقع التفاضل بين الكلام ، يقول:« ومعلوم أنّ المعوّل في دليل الإعجاز على النّظم»(٣)

ونشير هنا إلى أنّ مفهوم النّظم عند الجرجانيّ يظهر على هدي من العقل وما يمليه من ترتيب في ضوء المعنى، وأنّ دراسة المعنى لاتتوقف على معنى

١) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٤١.

٢) محمد بركات أبوعلي- نظرات وآراء ص ٢٣ ، ٢٤، مكتبة الرسالة عمان ١٩٧٦.

٣) عبدالقاهر الجرجاني- الرسالة الشافية- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٠٧.

الكلمة المفردة ولكن تتجاوزه إلى تحليل المعنى على مستوى التّركيب . وتحمل نظريّة النّظم قدرة على التّلاحم الداخليّ في العمل الأدبيّ مما يولّد بنية كليّة متطابقة في تجانس عناصرها وأنساقها، وتؤلف هذه الأنساق بعداً وظيفياً في التّحليل الأدبيّ.

وانطلاقاً من هذا الأساس، نسجل أنّ نظريّة النّظم تدرس الكلمةعلى أنهّا مكون لنظام متماسك في مستوى الأداء اللغويّ وفق سلوك بلاغيّ يصل إلى تجليات الظاهرة اللغويّة. وهكذا لايكون النّظم في اللفظ أو المعنى، بل في تفاعل اللفظ والمعنى في جدليّه متشابكة من العلاقات.ويعدّ النّظم مفتاحا للتعرف على النصّ وليس النّظم مقياسا خارجاً عن العمل الفنيّ بل هو جوهره الذي يوجه النمو الداخليّ في العمل الفني على شكل دوائر متصلة بالدائراة الكليّة.

وبعد، فتلك نظرة تتبعنا فيها تدرج النّظم عند النحاة والأدباء والنقاد والبلاغيين، ووقفنا على مراحل نموه،وتبيّن أنّ الجرجانيّ استطاع أنْ يجمع الآراء المتناثرة في دائرة النّظم ،ويعمقها إلى بعد بيانيّ يجمع بين المستوى السطحيّ والعميق لعلاقة اللفظ بالمعنى بطريقة استدلاليّة جمعت الأصول النحّوية ووسائل النّظم الفنيّة في نقطة تقاطع بنيت على نظام من العلاقات، يقول الجرجانيّ في مدخل كتابه« دلائل الإعجاز »:« وهذا كلام وجيز يطّلع به الناظر على أصول النّحو جملة، وكلّ ما به يكون النظم دفعة،وينظر منه في مرآة تريه الأشياء المتباعدة الأمكنة قد التقت له، حتى رآها في مكان واحد ».(١)

---

١) عبدالقاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز ص (١).

إنّ المستوى النّحويّ عند سيبويه والنحاة من بعده كان مهتما بالتّراكيب بنظرات دلاليّة في بعض الأحيان، ولكن البلاغيين تجاوزا هذا البعد من الصواب وعدمه إلى الاهتمام بالبناء التركيبيّ وأثرالتّغير الدلاليّ فيه مما جعل عبد القاهر يخرج بنظريّة النظّم.وقد برزت رغبة إلى وحدة العمل الفنيّ وتناسب أجزائه في النّقد القديم، وثمّة نظرات إلى ألوان النّظم الذي تدرج مع مراحل الأدب العربيّ وتلوّنٌ بفروع دراساته ذوقا وأسلوباً.

الفصل الثاني

توجيه نظريّة النّظم في سياق التّحويل

١-النّظم التّحويلـــــــــــــــــــي.
٢-النّظم التّوليـــــــــــــــــدي.
٣-طريقة التّحليل في ضوء مبادىء النّظم والتّحويل.
٤-عناصر التّحويل بيْن النّحو والبلاغـــــــــة.

توجيه نظرية النّظم في سياق التّحويل

نظريّة« التّوليد والتّحويل» هي منهج تحليليّ لغويّ حديث، وقد نال اهتمام علماء اللغة في الغرب والشرق، وأحدثت ولادة هذه النّظرية ثورة لغويّة في علم اللغة المعاصر . وكانت بداية هذا المنهج سنة ١٩٥٧ عندما نشر تشومسكي كتابه« البنى التركيبيّة »، فقد حولت هذه النظريّة مسار علم اللغة المعاصر من الخط الوصفيّ إلى خط التّوليد والتّحويل.

«تتلمذ تشومسكي لهاريس وأصبح منذ نشره كتاب « البنى التركيبيّة » حامل لواء علم اللغة الأمريكيّ. من القضايا التي شغلت تفكير تشومسكي فرضية الفطريّة اللغويّة، وتفسير قدرة المتكلم على الانتاج والفهم الفوري لجمل جديدة لاتشبه الجمل التي سمعها سابقاً . ويلح تشومسكي على كون البنى العميقة تعكس شموليّةالعلاقات غير اللغويّة مما يؤدي إلى اعتبار علم المعاني أكثر أجزاء اللغة شمولية، وتناول البنى السطحيّة بالدّرس وهي تخصّ تنظيم الجملة كظاهرة ماديّة، واهتم بالقواعد التّحويليّة، فالبنية العميقة التي تحتوي عددا من الجمل الأساسّية المنظمة حسب بعض العلاقات ، بهدف تحقيق معنى معين، قابلة للتّحويل إلى بنيه سطحيّة من خلال التّحويلات القواعدّية »(١)

ويعّد تشومسكي «اللغة أهم الجوانب الحيويّة في النشاط الانسانيّ، ودراسة اللغة ينبغي أنْ تعيننا على فهم الطبيعة البشرية، ولذلك يتجاوز في نظرته

---

١) جورج مونان– علم اللغة في القرن العشرين ص ١٩٣-٢٠٣ترجمة: نجيب غزاوي، وزارة التعليم العالي- الجمهورية العربية السوريّة د.ت.

الوصف السطحيّ إلى البنية العميقة للوقوف على قوانين الطبيعة البشرية ».(١)

وقد دفع تشومسكي« إلى معارضة الاقتصار على بحث ظاهر اللغة فقط، أنّ ظاهر اللغة يمكن أنْ يكون خدّاعا إذا نظرنا إلى المعنى الذي يؤديه. فمن الممكن جداً أنْ تتشابه جملتان تشابها تامّا من حيث المظهر أو التّركيب الخارجيّ بينما تختلفان جذريّا في المعنى ... لقد وجد تشومسكي أنّ هناك كثيراً من الجمل التي تحتمل معنيين مختلفين لايميّز الشّكل الخارجيّ بينهما، فالجملة التالية مثلاً (كان عقاب علي صارماً) غير واضحة خارج السياق، فلسنا ندري إنْ كان علي هو الذي عاقب إنسانا آخر أم أنّ إنسانا آخر هو الذي عاقب علياً.لقد دعت هذه الجملة وأمثالها تشومسكي لأنْ يقول بأنْ لكل مبنى ظاهريّ(Surface structure)، وهو الذي يقال فعلاً ، مبنى باطنيّا عميقا (Deep structure)، وهو الذي تكون العلاقات المعنويّة فيه واضحة تماما..... أمّا الذي يُنَظّم العلاقة بين المبنى العميق والمبنى الظاهريّ فهو تلك القواعد التي تطبق على الأولى فتحولها إلى الثّانية. وقد أطلق على هذه القواعد اسم القواعد التّحويليّة Transformational (Rules)».(٢)

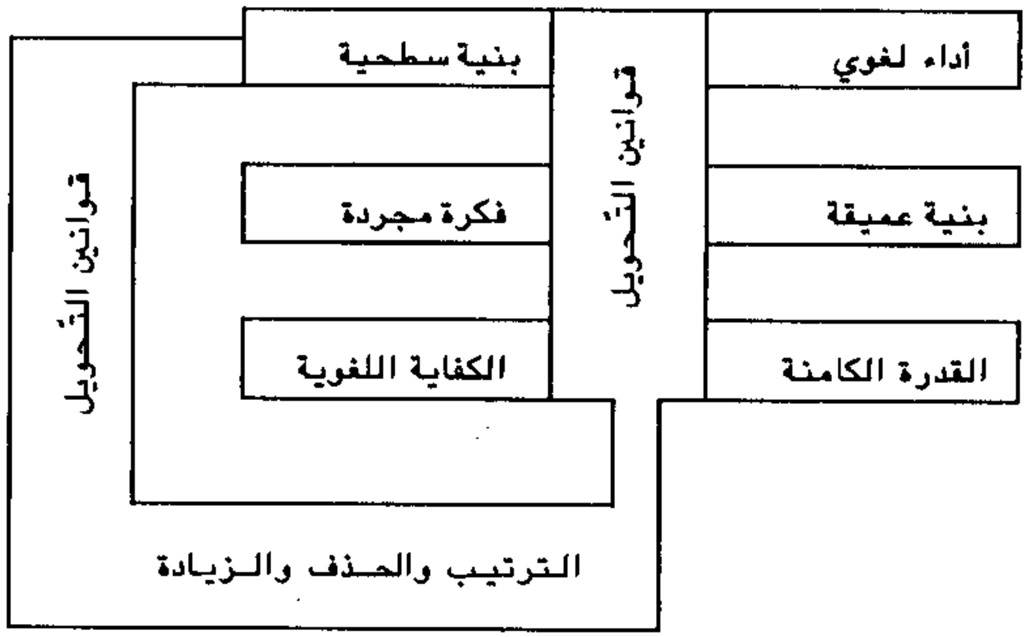
وتظهر نظريّة التّحويل اتفاقاً لافتاً ومنهج النّحو العربيّ في مجمل عناصرها، فقد عُني التّحويليون بكثير من القضايا التي اهتم بها النحاة العرب مثل الأصالة والفرعيّة، والحذف والزيادة، وإعادة الترتيب، والعامل،

١) عبده الراجحي- النّحو العربيّ والدرس الحديث ص ١١٢-١١٣دارالنهضةالعربية- بيروت ١٩٧٩.

٢) نايف خرما- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص ١١٧-١١٨ عالم المعرفة، ط (٢) ايلول، ١٩٧٨م.

وظهرت هذه العناصر ذات أهمية دلاليّة في موافقة الكلام لمقتضى الحال.

ويمكن توضيح أساس النظريّة التّوليديّة التّحويليّة عند تشومسكي عن طريق رصد العلاقة بين البنية السطحيّة والبنية العميقة من زاوية، والعلاقة بين الأداء الكلاميّ والقدرة الكامنة من زاوية ثانية، فالفكرة الرئيسية في نظرية التّحويل عند تشومسكي أنّ قوانين التّحويل تنقل الجملة أو تحوّلها من فكرة مجردة مرتبطة بالبنية العميقة والقدرة الكامنة(الكفاية اللغوية) إلى بنية سطحية تأتي على شكل أداء كلاميّ أو استعمال لغويّ يتخذ شكل أصوات أو كلمات منطوقة.والشكل الآتي يوضح عناصر هذه النّظرية:



هذه نظرة تشومسكي إلى التّراكيب، ولكنْ إذا توخينا ما يناسب النّظم في اللغة العربيّة، فلابد أنْ نَنْظُر إلى فكرة التّحويل نظرة تخالف نظرة تشومسكي إلـى حدّ ما وتتفق مع بعض عناصرها وفق مايناسب تركيب الجملة في اللغة العربية. يقول تشومسكي:«إنّ عملية(فهم الجملة) يمكن تفسيرها جزئيا استناداً إلى فكرة المستوى اللغويّ. فمن أجل أنْ نفهم جملة ما من الضروري أنْ نعرف جمل النواة التي اشتقت منها هذه الجملة....وهكذا تصبح المسألة العامة لتحليل عملية الفهم، في أحد معانيها، مسألة شرح جمل النواة، التي تعتبر (العناصر الأساسيّة للمحتوى)، و تشتق منها جمل أكثر تعقيداً مألوفة في الحياة الحقيقّية، عن طريق التطور التّحويليّ».(١)

ويفترض هذا البحث أنّ الجملة الأصولية أو جملة النواة في اللغة العربيّة هي جملة توليديّة بسيطة لم يدخلها أى عنصر من عناصر التّحويل، فهي الحدّ الأدنى من الكلمات.التي تعطي معنى، ولذلك فهي الأساس في توليد الجمل في اللغة العربيّة، ونأخذ مثالاً على الجملة النّواة«الله واحد» فهذه جملة نواة نستطيع أنْ نولّد منها:١- إنّ الله واحد.٢- إنّ الله لواحد. ٣- واللهِ إنّ الله لواحد. وهذه الجمل الثلاث المحّولة كانت «جملة النّواة »هي الأساس في توليدها عن طريق قوانين التّحويل.

---

١) تشومسكي- البنى النّحويّة ص ١٢٣ ترجمة: يؤيل يوسف ، دائرة الشؤون الثقافية العامة- بغداد ط(١) ١٩٨٧. و N.chomsky,Aspects of the theory of syntax, p,17-18.

ويذهب تشومسكي إلى «أنّ قوانين التّحويل تنقل الجملة من البنية العميقة إلى البنية السطحيّة» (١) في حين نرى قوانين التّحويل تنقل الجملة وهي في البناء السطحيّ الظاهريّ إلى جملة محولة، باستخدام عناصر التّحويل، وأنّ قوانين التّحويل تتعامل والبناء الظاهريّ وتحوله إلى شكل لغويّ جديد ، وفق مبان مختلفة توافق القانون اللغويّ في ضوء عناصر التّحويل.

إنّ لكل جملة بنيتين عند تشومسكي : « بنية عميقة(Deep.S) وأخرى سطحيّة(Surface.S). أمّا البنية العميقة فهي العمليات الكامنة وراء المظهر المحسوس للجملة، وأمّا البنية السطحيّة فهي المظهر المحسوس والأداء الواقعيّ للجملة، ويتمثل ذلك في الصوت والرسم»(٢)

ولانوافق تشومسكي في نظرته إلى البنية العميقة بأنها تقف وراء المظهر المحسوس، وأنها كامنة، بَلْ ننظر إلى البنية العميقة على أنّها ظاهرة مكتوبة أو منطوقة، ولكنّ الذي منحها العمق هو دخول عناصر التّحويل عليها. وأنّ البنية السطحّية- أيضاً- هي البنية الظاهريّة، ولكنْ اكتسبت معنى السطحيّة لانّها خلت من عناصر التّحويل، فإذا دخلها عنصر أو غير عنصر عُدّت عميقة. ولتوضيح ذلك نقف على مثال يعتمده تشومسكي في قواعد «بور رويال»:

١) خلق الله غير المنظور العالم المنظور.

٢) خلق الله العالم.

١) نايف خرما- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص ١١٧-١١٨.

٢) ياسر الملاح- المنهج التّوليديّ والتّحويليّ في دراسة اللغة ص ١١ ط(١) ١٩٨٤.

و داود عبده« التقدير وظاهرة اللفظ» ص٧ مجلة الفكر العربي، عدد ٨ ، ٩ ١٩٧٩.

٣) الله غير المنظور.

٤) العالم منظور.

فيعدّ تشومسكي الجملة «١» تنتمي إلى البنية السطحيّة وتتكون من الجمل الثلاث(«٢»، «٣»، «٤») التي ترتد إلى البنية العميقة»(١) ولكن نختلف وهذه النظرة في تحليل هذه الجمل الأربع: فالجملة رقم«١» ننظر إليها على أساس أنها جملة تحويلية مؤلفة من بنية عميقة، وهي محوّلة باستخدام عنصر الزيادة، وهو النعت« غير المنظور» أو« المنظور» .ولكن الجملة رقم «٢» هي جملة توليديّة سطحيّة ليس فيها عناصر تحويل. والجملتان («٣» و«٤») هما جملتان محولتان عن طريق ظاهرة الحذف، فنقدر فيهما عنصرا محذوفا، مثل «هو» حتى يستقيم المعنى. والحذف ينقل الجملة من البناء السطحي إلى البناء العميق، فالوحدات اللغويّة المنتظمة في إطار من القوانين التّحويليّة هي بنية سطحيّة عند تشومسكي، ولكن ننظر إليها على أنها عميقة عند دخول أيّ عنصر من عناصر التّحويل، ولذلك فإنّ المستوى التّوليديّ هو ما يرتبط بالبناء السطحي المجرد من عناصر التّحويل، بينما المستوى التّحويليّ يتصل بالبناء العميق المقترن بعناصر التّحويل وكلا المستويين بناء ظاهريّ يمكن التعامل معه والحكم عليه.وفي ضوء ماتقدّم من نظريّة التّحويل يمكن توجيه مفهوم النّظم، فقد قسم الجرجانيّ النّظم إلى قسمين:

الأوّل: نوع يدقّ فيه النّظر ويغمض المسلك في توخي معاني النّحو.... وهو ما

---

١) ميشال زكريا – الألسنيّة التوليديّة والتّحويليّة وقواعد اللغة ص ١٦٣، ١٦٤،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر – بيروت ط (١) ١٩٨٢.

تتحد أجزاؤه حتى يوضع وضعا واحداً فاعلم أنّه النّمط العالي والباب الأعظم».(١)

فهذا النّظم الذي يدقّ فيه النظر هو النّظم التّحويليّ، لأنه يرتبط بالخط البنائيّ التّحويليّ والخط الدلالي التّحويليّ، ومما يميز هذا النّظم من غيره دقّه تأكيد معنى بعينه، ومرور هذا النّظم في الخطوط البلاغيّة والأسرار البيانيّة، ويتسم هذا النّظم بالتخصيص في بعض عناصره، وخروج هذه العناصر عن التوزيع المألوف في اللغة، ولكن هذا لا يعني أنْ هذا النّظم غير خاضع لقوانين اللغة ، وإنمّا هو ملتزم بها على الوجه الصحيح،ومشتمل على الجوانب البلاغيّة والإبداع في فنون القول التي وردت عن فصحاء العربيّة، وهذا النّظم التّحويليّ يعتمد على أساسين:

١- نوع عناصر التّحويل(الترتيب والحذف والزيادة).

٢- عدد عناصر التّحويل:(مجموع العناصر التي أسهمت في ايجاد المعنى العميق).

فالنّظم التّحويليّ هو نتاج البنية العميقة، ويُظهر النّظم التّحويليّ القدرة على التحكّم في معاني اللغة، وتقديمها في نماذج تحويليّة متعددة وفق المعاني التي يريد المتكلم ايصالها إلى السّامع، ويمكن ايجاز أبرز عناصر النّظم التّحويليّ:

١- بنية عميقة (بنية تحويليّة) :إنّ الكلمات في البنية التّحويليّة تعني

---

١) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٧٣-٧٥.

شيئا يفوق معناها العاديّ، فالكلمات تأخذ معنى خاصاً إذا وُضِعَتْ في سياق معين من خلال عناصر التحويل، فالرتبة -مثلاً- تُكْثِفُ المعنى في حالة التقديم بسبب البنية التّحويليّة ،فهي لا تُنْظم على الطريقة المعتادة في بناء المعاني، بَلْ تخرج إلى ترتيب جديد.

وجملة القول: أنْ العمل الفني يصاغ وفق النّظم التّحويليّ بطريقة تتضمن تنسيقا فائقا في الخروج عن المألوف، فالأصل بالمعنى التّحويليّ صورة توليديّة انضافت إليها عناصر التّحويل فأخرجت صورة تحويليّة.

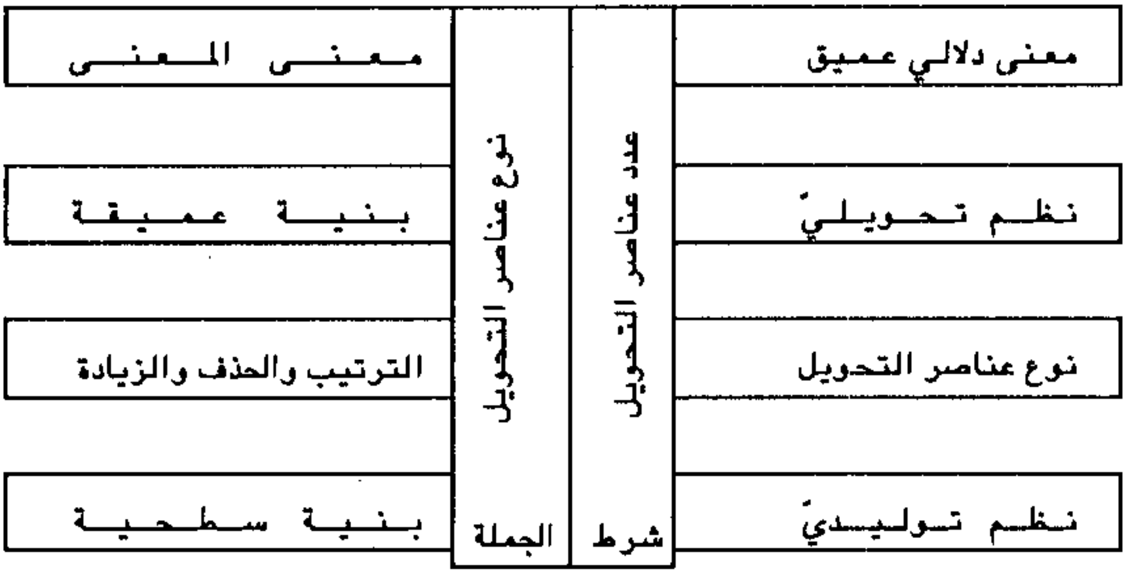
٢- بنية سطحيّة (توليديّة): وهي البنية التركيبيّة البسيطة الأوليّة أو ما تعرف «بالنواة»، ويمكن رصدها بتجريد البنية العميقة من عناصر التّحويل، فهي التّركيب قبل أنْ يدخله عناصر التّحويل.

٣- المعنى الدّلاليّ: وينتج عن العلاقة بين البنية السطحيّة والعميقة، فهو المعنى المستفاد من انتقال الجملة من التّوليد إلى التّحويل.

٤- شرط الجملة:(معنى يحسن السكوت عليه، عنصر مشترك بين جُملتَيْ التّوليد والتّحويل).

٥- عناصر التّحويل: وهي مجموعة القوانين التي تستطيع نقل الجملة من البناء التّوليديّ إلى البناء التّحويليّ مثل: الرتبة والحذف والزيادة.

ويمكن رسم نموذج النّظم التّحويليّ على النّحو التالي:



وهكذا يتضّح أنّ النّظم التّحويليّ تنسيق التّركيب وفق تحول يفضي إلى تنوع في الأساليب، وخروج النّظم من تاليف إلى تاليف مما يفضي إلى تغير بيانيّ في الدّلالة وعدول عن الأصل، فهو اتّساع في التّعبير يتوخى نسقا بيانياً جديداً .

الثّاني:«ونوع لايحتاج إلى فكر وروية بل سبيله في ضم بعضه إلى بعض سبيل من عَمِدَ إلى لآل، فخرطها في سلك لايَبْغي أكثر من أنْ يمنعها التّفرق»(١)

١) عبد القاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٧٦.

وهذا هو النّظم التّوليديّ الذي يسير وفق الخط الأساس في البناء والتعليق، ويمكن أنْ يقال إنّ هذا النّظم يُمثّلُ الأصل، ويندرج في القانون الأصوليّ المألوف الذي جاء عن العرب، فلا يرمي هذا النّظم إلى تأكيد عنصر من عناصر النّظم دون غيره، فلا تركيز على مكونّ من المكونات، وإنما الهدف من النّظم التّوليديّ إيصال المعنى بأبسط صوره المألوفة، وهو النموذج البسيط الأوليّ للتركيب ، ولتوضيح مفهوم هذا النّظم يمكن القول: إنّه التّركيب الذي نصّ النّحويّون على وجوب كونه على نمط معين،ولايجوز التغييرفي هذا النّمط، لأنّ أيّ تغير يترتب عليه حتماً تبديل عناصر البنية والمعنى المراد التعبير عنه.

ويجدر القول إنّ النّظم التّوليديّ هو نتاج البناء السطحيّ بكل ماتحمله هذه الكلمة من بساطة في أداء التعبير، وتقديم المعنى مباشرة دون استخدام التّراكيب البلاغيّة أو التعبيرات التي يَعْمِدُ إليها الأديب خارجا عن المألوف لوجوه البيان، ومجمل القول: أنّ النّظم التّوليديّ بسيط في تركيبه ، لا تركيز فيه على شيء ، ولم يدخله أيّ عنصر من عناصر التّحويل، ولم يدخل في الخط البلاغيّ، ولكنّه حقق مقتضيات المبنى وما يرافقها من معنى.

وأبرز عناصر النّظم التّوليديّ:

١- البنية السطحيّة(عنصر أساس).

٢- لاتركيز على مكوّن تركيبي بعينه (التّعادل).

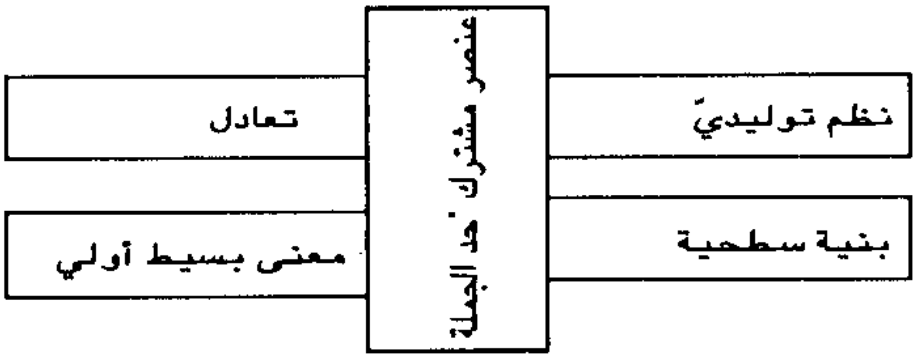
٣- معنى يحسن السّكوت عليه(شرط الجملة وهو عنصر مشترك في النّظم التّوليديّ والتّحويليّ).

٤- أبسط الطرق لتقديم المعنى(اعتماد المألوف من الأصل في الوضع اللغويّ).

٥- عدم وجود عناصر التّحويل فيها من (التّرتيب والحذف والزّيادة)

٦- تحقيق معنى بسيط(سطحي أوليّ).

ويمكن بيان عناصر النّظم التّوليديّ وفق النموذج الآتي:



وتفسير هذه العناصر المكوِّنة للنظم التّوليديّ على النّحو الآتي:

١- البنية السطحيّة: ويختلف مفهومها عما سبق من مذهب تشومسكي في تعريفها،ننظر إليها على أنّها بنية بسيطة في مفهومها، تسير وفق الأنماط الأساسيّة للجملة دون أن يدخلها عنصر من عناصر التّحويل ، ويأتي ترتيب الكلمات فيها في ضوء ما جاء عن النحاة في الخط النّحويّ الأصوليّ، وهو مايعرف بالواجب نحوياً فمثلاً:ترتيب المبتدأ والخبر له نمطان: الواجب والجائز، فالواجب توليديّ، والجائز تحويلي، ومفهوم التّرتيب الواجب هو مانصّ عليه النّحويّون بقولهم:«وجوب تقديم الخبر ومنع تأخيره،وتقديم المبتدأ وجوباً» فكلّ ما نصّ عليه النّحويّون بأنّه واجب التّقديم أو واجب التّأخير يعدّ نمطاً من

الأنماط التّوليديّة التي تلتزم بمعايير خاصة تفرض مجموعة من النماذج للجمل، ولاتتدخل قوانين التّحويل فيها، وإنمّا دلالتها ناتجة عن النموذج البيانيّ البسيط الذي يقدم معنى أولياً، فليس للقواعد البيانيّة أنّ تتدخل لتُحدِثَ في هذه البنية أيّ انحراف عن النمط اللغويّ المألوف والبسيط المتعارف عليه،يقول الجرجانيّ موضحاً أهمية البنيةالسطحيّة في الحكم على النّظم:« وهذا باب ينبغي أنْ تراعيه، وأنْ تُعني به، حتى إذا وازنت بين كلام وكلام دريت كيف تصنع فضممت إلى كلّ شكل شكله، وقابلته بما هو نظير له، وميّزت ما الصّنعة منه في لفظه، مماهي منه في نظمه».(١) وتظهر الفكرة اهتمام الجرجانيّ بالأداء المنطوق المتعلق بالبنية السطحية للكلام، فهي أساس في الحكم على عناصر البنية العميقة، لأنّ المفاضلة تكون في ترتيب الألفاظ على نمط معين.

٢-التّعادل: ويبني التّعادل على منهج متوازن في عدم التركيز على شيء، وهو تنظيم لمكونات الجملة في مسار توليديّ أصوليّ، والتّعادل خاص بالجانب البنائي المألوف في اللغة، وهو صحيح من حيث تحقيق سلامة المبنى وأداء المعنى، ولكن يتساوى في توزيع مكونات النّظم كما ينبغي أنْ يكون، دون محاولة لتقديم أو تأخير أو حذف أوزيادة في أحد عناصر الجملة، لأنّ كلّ عنصر منها يؤدي المعنى كما يجب وفق خط متوازن في جميع مكوناته. فهو أداء متوازن في أركان النّظم، لأنهُ لايميل إلى تخصيص أيّ ركن من أركان التركيب.

٣- عنصر مشترك: وهو حدّ الجملة المتفق عليه لغوياً وهو تحقيق عنصر البنية والمعنى. وهذا عنصر مشترك، لأنّه يشترط وجوده في النّظم التّوليديّ

---

١)عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٧٧.

والنّظم التّحويليّ، فهو لايختص بقانون التّوليد أو التّحويل وإنمّا يأتي في كلّ منهما .

ويتبين لنا أنّ أوّل ماتنظر فيه القواعد التّحويليّة قواعد تركيب الجملة، وبيان القوانين البنيويّة التي تخضع لها في ضوء معيار الدّلالة والمكونات. ويبدو أنّ قوانين التّحويل قوانين دراميّة تؤثر في التّحول الدلاليّ بناءً على مبدأ التنوع المرن في التّحويل،فإذا افترضنا أنّ الجملة معادلة وعناصر التّحويل قيم عددية، فإنّ كل عدد له أثر في إخراج معنى الجملة.والمرونة في تركيب الظاهرة اللغويّة تركيبا يخرج عن المألوف في نظام البنية المعتاد يكّون تحويلا دلاليًا يبنى على الانحراف، فالعلاقة بين التّوليد والتّحويل تؤسس على المرونة في استخدام حريّة الرتبة بين المعيار والاستعمال. وتتوقف دلالة التّحويل على القدرة في اختراق المألوف والخروج عنه.

ولفهم ظاهرة النّظم في التّراكيب لابد من تحليل النظام البنائيّ والوظيفي له، وذلك باستقراء توزيع الكلمات في السّياق واكتشاف العلاقة الإسناديّة التي تربط بين الأبواب النّحويّة، وتصنيف القرائن اللفظيّة والمعنويّة ودورها الدلاليّ والحكم على ظاهرة النّظم التوليديّ أو التحويليّ من حيث البناء ،فإذا كان البناء توليديّاً فإنّ الدلالة المتوقعة تتصل بالبناء السطحي، أما إذا كان البناء تحويلياً فإنّ الدلالة المتوقعة هي مجموع عناصر التّحويل والدّلالة الناتجة عن تفاعل هذه العناصر في أداء المعنى.

ويذهب عبدالقاهر الجرجانيّ إلى أنّ تغيّر النّظم يؤدي إلى تغيّر المعنى يقول : «فأمّا إذا تغير النّظم فلا بد حينئذ من أنْ يتغير المعنى».(١) ويؤكد هذا المعنى في الدّلالة التّحويليّة بقوله:« لاسبيل إلى أنْ تجيء إلى معنى بيت من الشعر فتؤديه بعينه وعلى خاصيته وصنعته حتى يكون المفهوم من هذه هو المفهوم من تلك لايخالفه في صنّعه ولاوجه ولا أمر من الامور،، ولايغرّنّك قول الناس: قد أتى بالمعنى بعينه، وأخذ معنى كلامه فأداه على وجهه، فإنهُ تسامح منهم والمراد أنّه أدى الغرض فأمّا أنْ يؤدي المعنى بعينه على الوجه الذي يكون في الكلام الأوّل ففي غاية الإحالة».(٢)

فنظرة الجرجانيّ إلى أنّ المفارقة في التّركيب تؤدي إلى مفارقة في المعنى الدّلاليّ تتفق ونظرية التّوليد والتّحويل، التي ترى أنَّ انتقال البنية من التّوليد إلى التّحويل يقتضي تغيراً في المعنى، وأنْ أيّ تغير في عناصر البنية يفضي بالضرورة إلى تحول في المعنى. فكل تركيب له معناه، فإذا كان توليدياً ارتبط بالمعنى الأوليّ التّوليديّ الذي تطلبه سياق الحال، وإذا انتظم في الخط التّحويليّ تعلق بمعناه التّحويليّ الذي اقتضاه السياق.

وهذا الذي سبق إليه الجرجانيّ في التّغير الدلاليّ وفق تغير التّركيب هو ما تنبه إليه تشومسكي في فرضيته التّفسيريّة الجديدة، يقول مازن الوعر: «لقد أسقط تشومسكي من منهجه فرضية كاتز وبوستال التي تقول بأنّ القواعد التّحويليّة لاتغير المعنى.أمّا في الفرضية التّفسيريّة الجديدة فإنّ القواعد التّحويلية يمكن لها أن تغيّر المعنى»(٣)

---

١) عبد القاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص٢٠٥.
٢) عبد القاهر الجرجانيّ -دلائل الإعجازص ٢٠١-٢٠٢.
٣) مازن الوعر-نحو نظريّة لسانيّة عربيّة حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربيّة- ص ٦٤ دارطلاس - دمشق ط(١) ١٩٨٧.

إنَّ دراسة القواعد التَّحويليّة في اللغة العربيّة تظهر أنَّ أيَّ عنصر تحويليّ لابد أنْ يُحدث تغيراً في المعنى، وبذلك يتضح بأنَّ القواعد التَّحويليّة هي سر من أسرار تبديل المعنى في التَّركيب، وأنَّ المعنى الذي يحمله التَّركيب التَّحويليّ مغاير للمعنى الذي يحمله التَّركيب التَّوليديّ.

وتلتقي نظريّة التَّحويل في مفارقتها بين المعنى التَّوليديّ والمعنى التَّحويليّ مع نظرة عبدالقاهر حين وقف على المعنى ومعنى المعنى، فالمعنى هو مايرتبط بالبنية السَّطحيّة التَّوليديّة الخالية من عناصر التَّحويل، وهذا المعنى الأوّليّ أو البسيط ضرب ندركه في القسم الأول من أقسام الكلام عند الجرجانيّ: «الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أنْ تُخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت: خرج زيد».(١)

فهذا تركيب توليديّ يتألف من ركني الإسناد ويخلو من عناصر التَّحويل، وقد جاء على هيئة المعنى الأصل الذي لم ينحرف إلى التَّحويل، فلا تركيز على عنصر من عناصر التركيب.

أمّا المعنى الثاني أو معنى المعنى، وهو البعد الدلاليّ المرتبط بعناصر التَّحويل، فإنَّه يتصل بالبنية العميقة والقدرة الداخليّة بما في ذلك عناصر التَّحويل مثل التَّقديم والتَّأخير، والحذف، والزيادة، فهو تجريديّ ينقل الجملة من البنية التَّوليديّة إلى التَّحويليّة. يقول الجرجانيّ :« وضرب لاتصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكنْ يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه

---

١) عبدالقاهر الجرجانيّ– دلائل الإعجاز ص ٢٠٢.

في اللغة ثم تجد لذلك دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض ».(١)

وتَظهر تجليات المفارقة والانحراف عن المألوف بين المعنى التّوليديّ والمعنى التّحويليّ بعبارة عبدالقاهر الجرجانيّ:« وهي أنْ تقول المعنى ومعنى المعنى، تعني بالمعنى المفهوم من ظاهرة اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة، وبمعنى المعنى أنْ تعقل من اللفظ معنى ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر »(٢).ويسوق الجرجانيّ هذه الفكرة بقوله:« فالمعاني الأوّل من أنفس الألفاظ والمعاني الثّواني التي يومأ إليها بتلك المعاني».(٣)ويقول عز الدين اسماعيل : «فكل عمل فني له سطح جمالي هو ما يُسمى بالسطح الجماليّ، وهو المقصود بالصّورة الأولى، ووراء هذا السطح شيء يفهم أو يحس، المقصود بالصّورة الثانية».(٤)

ويلتقي هذا الكلام إلى حدّ بعيد مع مايذهب إليه عبدالقاهر من المعنى ومعنى المعنى، فالمعنى هو الصورة الأولى أوالبعد السطحيّ الذي يتكون من البناء التركيبيّ الظاهر البسيط، ومعنى المعنى هو الصّورة الثانية التي يتقرى الناقد عناصرها من البنية العميقة التي خرجت عن المألوف وكونت الصّورة الأولى مُضافاً إليها عناصر التّحويل.

ونظر الجرجانيّ إلى الصّورة الأولى من التّركيب اللفظيّ على أنهّا رمز أو

---

١) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٢٠٢.

٢) عبدالقاهر الجرجانيّ - دلائذل الإعجاز ص ٢٠٣.

٣) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٢٠٤.

٤) عزالدين اسماعيل- الأسس الجماليّة في النقد العربيّ ص ١٧٣ نشر : دار الفكر العربي ط (٣) ١٩٧٤.

إشارة خفيه إلى معنى دلاليّ عميق لابد من اكتشافه، فهو لم يتوقف عند التّركيب الظاهريّ ويكتفي به، وإنماً أدرك أهمية عناصر التّحويل المتعلقة بالبناء العميق، يقول:« ولم أزل منذ خدمت العلم أنظر فيما قاله العلماء في معنى الفصاحة والبلاغة والبيان والبراعة، وفي بيان المغزى من هذه العبارات وتفسير المراد بها، فأجد ذلك كالرمز والإيماء والإشارة في خفاء، وبعضه كالتنبيه على مكان الخبيءليُطْلَبَ وموضع الدفين ليُبْحَثَ عنه فَيُخرج ».(١)

وأبرز الجرجانيّ أهمية البنية الدّلاليّة العميقة.في الوقوف على المعنى يقول :«وأنْ تنظر أولاً إلى الكناية، وإذا نظرت إليها وجدت حقيقتها ومحصول أمرها أنّها إثبات لمعنى أنت تعرف ذلك المعنى من طريق المعقول دون طريق اللفظ وإذْ قد عرفت هذا في الكناية فالاستعارة موضوعها على أنّك تُثْبِت بها معنى لايعرف السّامع ذلك المعنى من اللفظ، ولكنّه يعرفه من معنى اللفظ».(٢)

وهذه النظرة إلى النّظم تبرز أنّ الدّلالة تتوقف على المعنى الثاني المجرد الكامن وراء البنية السطحيّة، وهي ناتجة من العلاقة بين البنيتيْن السطحيّة والعميقة، فعناصر البنية العميقة قد تمّ اختيارها وتنسيقها في إطار تحويليّ، فهي تولد المعنى المراد في النّفس وتعدل عن الترتيب الأصوليّ إلى ترتيب تحويليّ يناسب الأغراض التي يُصار إليها.

ولا تقّلل نظرة الجرجانيّ من أهمية البنية السطحية، ولكنّها تعدّها دليلا تستطيع من خلاله الوصول إلى المعنى العميق، وتتفق هذه النظرة مع الوجهه

١) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٢٨-٢٩.

٢) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٣٣٠-٣٣١.

التي يرتضيها البحث للتّحويل، فهي تلتقي مع الفكرة التي ترى أنّ البنيةالسطحيّة هي الدليل الذي يوجه التّركيب توليدياً أو تحويلياً من خلاله، فوصف الظاهرة يعتمد على دليل ظاهر من التّركيب نفسه، وليس من عوامل خارجية، فالمعيار الذي نتخذه للاستدلال على البنى من عناصر التّركيب.

ويقرّر السكاكي: « أنّ دلالة الكلمة على المعنى موقوفة على الوضع، وأنّ الوضع تعيين الكلمة بإزاء معنى بنفسها ، وعندك علمٌ أنّ دلالة معنى على معنى غير ممتنعة،، عرفت صحة أنْ تستعمل الكلمة مطلوبا بها نفسها: تارة معناها الذي هي موضوعة له، ومطلوبا بها أخرى: معنى معناها بمعونة قرينة »(١)

وتعدّ هذه القاعدة تأكيداً لما أبداه الجرجانيّ في المعنى ومعنى المعنى ، فالمعنى الذي توضع له الكلمة هو المعنى الأوليّ التّوليديّ المتعارف عليه في أصل الوضع اللغويّ، والمعنى الثّاني معنى المعنى هو المعنى التّحويليّ الذي يشكل اختراقا للمعنى الأوليّ وتجاوزاً له بتوافر قرينة دالة.

طريقة التّحليل في ضوء مبادئ النّظم والتّحويل:

إنّ النّظرة إلى النّص من وجهة التّوليد والتّحويل يّقتضي الوقوف على عناصر النّظام اللغويّ، واستقصاء المكونات التي تحكم الظاهرة اللغويّة في النّص ثم محاكمة العناصر المكونة له من أبعاد دلاليّة ومعانٍ أسلوبيّة ، فمثلاً نقف على التّقديم والتّأخير في النّص أو الحذف أو الزّيادة، والبحث في أحكام هذه العناصروعلاقتها بالدّلالة.

١) السكاكي- مفتاح العلوم ص ٢٨٥ .تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلميّة، بيروت ،ط(١) ١٩٨٣.

ويشكل التمييز بين البنية السّطحية والعميقة مرحلة من مراحل تحليل النّص الأدبيّ، فالتركيب التّوليديّ له دلالته التي تتفق ومقتضى الحال، كما أنّ التّركيب التّحويليّ يناسب المقام الذي ورد فيه، وتحليل أسرار هذين التّركيبيْن وما يقف وراءهما من الأسرار البيانية يُسهم في الكشف عن الرؤية الدّلاليّة التي تحكم النّص.

وتسهم نظريّة التّحويل في الكشف عن المعاني الإضافيه للنصوص، باكتناه العلاقات الداخلية من خلال تتبع درجات المعنى باختلاف ألوان التاكيد، حيث تنكشف الدّلالة بفكرة التّقديم والتّأخير والحذف والزّيادة، وبذلك تتضح الأسرار البلاغيّة التي تساعد في إضاءة النّص من الدّاخل.وتلتقي نظرية التّحويل والبلاغة في مستوى هام من اكتناه المستوى الجماليّ للدلالات البيانيّة، التي تستجلي الصّورة من داخل نظام العلاقات.

وهكذا يبدو أنّ دراسة عناصر البنية التّوليديّة والتّحويليّة تبقى دراسة غير كافية إذا لم تقترن بدراسة العلاقات المتغيّرة، والوقوف مع الثوابت الأصولية والمتغيرات التّحويليّة وأثرها في المستوى الدلاليّ. وتتقاطع عناصر التّوليد والتّحويل عند نقطة أطلقنا عليها «الحدّ المشترك» بين المستويين التّوليديّ والتّحويليّ وهي حد الجملة الذي يحقق التّركيب اللغويّ لقوانين النّحو والمعنى.

تقدّم التّحويليّة كما تظهر في هذا البحث تساؤلات جوهرية أبرزها:

- ما مكونات التّركيب التّوليديّ؟
- مامكونات التّركيب التّحويليّ؟

- مالعلاقة بين التّركيب التّوليديّ والتّحويليّ؟
- كيف يتحول التّركيب من البنية التّوليديّة إلى البنية التّحويليّة؟
- **ولدراسة البنية التّحويليّة يمكن التساؤل:**
- ماذا تضيف البنية التّحويليّة من أبعاد دلاليّة للتّركيبب اللغويّ؟
-ما خصائص البنية التّحويليّة التي تُميّزها من بنية التّوليد؟

إنّ التّركيب التّحويليّ يتميز بقدرته على كسر البنية التّوليديّة وتجاوزها بدرجات توافق عناصر التّحويل، فالتّحويليّة انحراف عن المستوى الأولي من التّوزيع واختراق للعلاقات التّوليديّة. يحمل التّباين الذي يقّدم غايات دلاليّة وجماليّة.فالكشف عن البنية التّحويليّة يعدّ كشفاً عن علاقة لغويّة جديدة.

فكل تركيب لغويّ يُصنّف على أنّه شكل من أشكال التّحويل لابد أنْ يكون له أصل توليديّ ،وقد تمّ تحويله بدخول عناصر التّحويل في ضوء قوانين ارتضتها نظريّة التّحويل، وتخضع البنية التّحويليّة إلى درجات بيانيّة تتفاوت وفق عدد عناصر التّحويل ونوعها، والتّوصل إلى الأصل التّوليديّ يتّم بتجريد بنية التّحويل من عناصر التّحويل مما يعيد البنية إلى صورتها الأصوليّة.

ويستند النّظم إلى مجموعة من القوانين التي تفسر الظاهرة اللغويّة،وطريقة التّحليل التي نقترحها في ضوء اكتناه مجموعة العلاقات التي تنظم التّركيب اللغويّ في سياق من التّوليد والتّحويل تتلخص في عدد من العناصر أبرزها:

أولاً:افتراض أنّ التّركيب يشكل نظاماً مترابطاً من العناصر المبنية على مجموعة من العلاقات التي تحكمها علاقة كليّة.

ثانياً:إنَّ أيَّ تغير على مستوى التّركيب السطحيّ الظاهر يتبعه تغير على مستوى التّركيب العميق يؤثر في توجيه الدّلالة.

ثالثاً:إنَّ نظام الجملة محصور في بنيتين أساسيتين: الأولى توليديّة والثانية تحويليّة.

رابعاً:لابد من التسّاؤل من أجل تصنيف التّركيب والكشف عن القيم الدّلاليّة التي تقف وراءه: أيدخل التّركيب في البناء التّوليديّ أم في البناء التّحويليّ؟ وما العلة في ذلك؟

خامساً: إنَّ التّركيب لايخرج عن كونه معادلة توليديّة أو تحويليّة، وأن البنية السّطحيّة هي المعيار الذي يترتب عليه تصنيف الجملة توليديًا أوتحويلياً.

سادساً: بعد تصنيف التّركيب توليديًا او تحويليًا تحاول النّظرة التحليليّة الكشف عن أسرار العلاقة بين البنية السطحيّة والعميقة،وأثر الدّلالة في توجيه التّركيب.

سابعاً:إذا كان التّركيب توليديًا فما عناصر التّوليد فيه؟ وما الأثر الدّلاليّ الذي ترتب على البناء التّوليديّ؟أما إذا كان التّركيب تحويلياً فما عناصر التّحويل فيه؟ وما الأثر الدّلاليّ الذي تركته عناصر التّحويل؟وما العلاقة بين البنية التّوليديّة والتّحويليّة؟

ثامناً: إنَّ دراسة القوانين التي تحكم النص تظهر أنَّ التّحليل ينصب على لغة النص أولاً وثانيا، لأنهًا الوسيلة الفنيّة التي تمكّن النّاقد من الوقوف على بناء النّص من حيث التّوليد والتّحويل.

ويبدو أثر القواعد التّحويليّة في نظريّة النّظم عند الجرجانيّ يقول:

«قولهم :عبدالله قائم: إخبار عن قيامه، وقولهم: إنّ عبد الله قائم: جواب عن سؤال سائل،وقولهم: إنّ عبد الله لقائم:جواب عن إنكار منكر».(١)

فقولنا:« عبدالله قائم» جملة توليديّة مؤلفة من المسند إليه والمسند، ولاتركيز فيها على ركن من أركان الإسناد، فهي ذات تركيب بسيط يقصد منه الإخبار وقد جاء متعادلاً في توزيع المفردات ،ويتوجه هذا التركيب إلى من يجهل مضمون هذا الحكم ويراد إخباره وتعريفه به، وسيق الحكم على شكل حقيقة خبريّة، وهي «عبدالله قائم» ولكنْ إذا قلنا: «إنّ عبدالله قائم» فإنّ مقتضى الحكم يختلف باختلاف حال السامع، ويدخل الجملة تركيز بعنصر من عناصر التّحويل، وهو : «الزيادة» فالمعنى التّجريديّ المستفاد من تحليل البنية العميقة هو تأكيد « قيام عبدالله» ونفي الشك والالتباس لدى السامع ،لأنّه مُتَردد في حكم الخبر، ومضمونه، فتحولت الجملة التّوليدية إلى التّحويليّة بعنصر واحد وهو دخول «إنّ» عنصر التاكيد التّحويليّ.

وقولنا: « إنّ عبدالله لقائم» جملة تحويليّة بزيادة عنصري توكيد، هما «إنّ» و«اللام »والمعنى التجريدي المستفاد من التّحويل هو شدة التّوكيد في الحكم حسب درجة الإنكار، لذلك دخل الجملة عنصرا توكيد تمكيناً للخبر من نفس السامع وتحقيقاً له.

ويمكن القول:«والله إنّ عبدالله لقائم» فهذه الجملةتحويليّة تضافرت عليها ثلاثة عناصر تحويل: القسم، إنّ، اللام، ويقف القسم على رأسها ليقدّم أقصى

---

١) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجازص ٢٤٢.

درجات التّوكيد، فجملة النّواة التّوليديّة:« عبدالله قائم» ولكنْ دخلها ثلاثة عناصر تحويل فصارت:« والله إنّ عبدالله لقائم» ،ويتجة مضمون الخبر في هذه الجملة إلى شخص ينكر الحكم ويعتقد ما يخالفه، ولذلك تضافرت عناصر التّحويل قطعاً للشك، وتأكيداً للمعنى الدلاليّ المراد، واجتمعت عناصر التّحويل دفعا لارتفاع درجة الإنكار في الحكم، وعندما يسمع هذه الجملة من يدرك أسرار العربيّة ويقف على معانيها، فإنه لايبقى لديه أيّ احتمال للشك ولايتسرب إليه أدنى حدّ من التّردد في قبول الحكم أو مناقشته، لأنّ المتكلم نطق بأقصى حدّ ممكن من ضروب التّوكيد وحشد مجموعة من عناصر التّحويل.

واقتضى دخول عناصر التّحويل على الجمل الثلاث حدوث تغير في الحركة الإعرابيّة، تحقيقاً للقوانين اللغويّة في توفير صحة التّركيب اللغويّ، وتنظيم مقتضيات المعنى ووضع التركيب الموضعَ الذي يرتضيه علم النحو ومن هنا يتّضح دور عناصر التّحويل في إبراز قيمة المعنى .

ويتفق هذا التّحليل في ضوء عناصر التّحويل، وعلم المعاني من علوم البلاغة الذي ذهب إلى تقسيم الخبر ثلاثة أضرب:(١) ابتدائيّ وطلبي وإنكاريّ مما يبرز العلاقة بين نظريّة التّوليد والتّحويل وعلم المعاني ، ويبيّن دورهما في إظهار قيمة المعنى وفق مقتضيات دلاليّة فَتُخْرِجُ عناصر التّحويل (Transformational Rules) الجملة من القانون التّوليديّ إلى القانون التّحويلي تَبَعاً لدرجات الإنكار وشدتها، ومراعاة حال المتلقي للخبر والتركيب الذي يناسب سياق الحال.

---

١)الخطيب القزوينيّ– الايضاح في علوم البلاغة ص ١٤ دار الجيل، بيروت.

عناصر التّحويل بين النّحو والبلاغة

تظهر نظرية التّحويل اتفاقا لافتا والنّحو العربّي في كثير من عناصرها، وقد استطاع نهاد الموسى أنّ يظهر كثيرا من العلاقات التي تصل بين الدّرس اللغويّ الحديث والدّرس اللغويّ عند علماءالعربية، فأظهر السّبق اللغويّ الذي أدركه علماء العربيّة، يقول في توجيه قاعدة: ماينحصر وما لاينحصر التي صدر عنها تشومسكي ومؤداها: - أنّ اللغة تقوم على نظام من الأحكام المحدودة يتعين بها مادة من الجمل وأمثلة من الكلام لاتنحصر- : « وقد وجدت أنّ ابن هشام نفذ إلى مضمون هذه الملاحظة في تقرير غير ملتبس، منذ ستّة قرون ونيّف، في كتابه المغني، فأقام الباب الثّامن على «ذكر أمور كليّة يتخرج عليها مالا ينحصر من الصّور الجزئيّة».(١)

إنّ اكتشاف خصائص التّركيب مشكلة أساسيّة في دراسة قواعد الجملة لحصرها في نموذج توليديّ أو نموذج تحويليّ، ولم يُغْفلْ عبدالقاهر الجرجانيّ في نظريّة النّظم الوقوف على هذه القاعدة يقول:« وإذا قد عرفت أنّ مدار أمر النّظم على معاني النحّو وعلى الوجوه والفروق التي من شأنها أنْ تكون فيه، فاعلم أنّ الفروق والوجوه كثيرة ليس لها غاية تقف عندها، ونهاية لاتجد لها ازديادا بعدها ».(٢)

ويتفق هذا الرأي ونظرية التّحويل التي ترى أنّ « المظهر الأبداعيّ في

---

١) نهاد الموسى- نظرية النّحو العربيّ في ضوء مناهج النّظر اللغوي الحديث ص ٦٠-٦١.

٢) عبد القاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٦٩.

اللغة مرتبط بتنظيم قواعد يتيح لمنْ يُدْركه أنْ ينتج عدداً لامتناهياً من الجمل ينتجها الآخرون، والجدير بالذكر أنّ عدد قوانين تنظيم القواعد هذا محدود. مع هذا، تنتج قوانين هذا التنظيم المحدود عدداً لامتناهيا من الجمل»(١).فالتّحويل ضرب من التصرّف في وجوه العبارة بما يناسب سياق الحال وقوانين النّحو والبلاغة، وأيّ تغير أو تبديل يرجع أساساً إلى المعنى، «ونقف، هنا، على

مظاهر التلاقي في أبرز عناصر التّحويل والنّحو العربيّ:

أولاً: الرّتبة أو الموقعيّة (الإبدال): التّقديم والتأخير: من الأركان الأساسيّة التي تسهم في نقل الجملة من التّوليد إلى التّحويل(٢) ويقوم هذا العنصر بتغيير موقع الوحدات اللغويّة لأغراض دلاليّه تناسب مقتضى الحال. فنظام الجملة في اللغة العربيّة يُبني على أساس تقديم الفعل على فاعله ، والمبتدأ على خبره ثم تأتي الفضلات والتوابع في نهاية الجملة، وأيّ تحول في هذا التّرتيب يدلّ على أسرار بلاغيّة. ولعلّ سيبوية أوّل من وجه الانتباه إلى أهمية التّقديم والتأخير، وَبَيَّنَ غرضه البلاغيّ، فهو يرى أنّ التّقديم ضرب من العناية والاهتمام:« كأنهم إنمّا يقدّمون الذي بيانه أهم لهم، وهم ببيانه أعنى، وإنْ كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم»(٣) ويقول في موضع آخر:« فالتقديّم ههنا والتّأخير في مايكون ظرفا أو يكون اسما في العناية والاهتمام مثله، في ماذكرت لك

---

١) ميشال زكريا- الألسنيّة العقلانيّة وانتقاد علم النفس السلوكيّ، ص ٤٤ الفكر العّربي المعاصر، العدد ٢٣، كانون أول ١٩٨٢، كانون ثاني ١٩٨٣.

٢) انظر ميشال زكريا- الألسنيّة التو ليديّة والتّحويليّة ص ١٥٤ وانظر خليل عمايرة- في نحو اللغة وتراكيبها- ص ٨٨ عالم المعرفة، جدة ١٩٨٤م.

٣) سيبوية- الكتاب جـ (١) ص ٣٤.

في باب الفاعل والمفعول »(١).فالتّقديم عند سيبويه غرضه إبراز الاهتمام يلتقي في هذا الغرض المفعول به مع شبه الجملة.

ويبدو أنّ التّحويل بالرتبة يلفت النّظر إلى أسرار يتوقعها السّامع من مخالفة التركيب للأصل المعتاد، فتتشوق النفس إلى اكتناه الأمر الذي اقتضى هذا التّحويل، فالتّحويل بالرتبة ظاهرة أسلوبيّة تستدعي الانتباه والميل النفسيّ إلى الأمر الذي يريده المتكلم من التّقديم.

وعقد ابن السّراج باباً في الأصول تحدّث فيه عن التّقديم والتأخير ووجوهه »(٢)وظهرت عناية ابن السراج في تناول مايجوز تقديمه وما لايجوز أو ما يُعرف بالرتبة غير المحفوظة والرتبة المحفوظة، أما الرتبة غير المحفوظة فمعناها:« موقع الكلام المتغير في التّركيب الكلامي متقدما أحياناً ومتأخراً أحياناً أخرى، ومن أمثلة هذا النوع من الرّتب: رتبة المبتدأ والخبر، ورتبة الفاعل والمفعول، ورتبة المفعول به والفعل »(٣) أمّا الرّتبة المحفوظة فهي ثبات موقع الكلمة في التّركيب، وهي احتفاظ العنصر اللغويّ بمكانه ممّا يؤدي به إلى الالتزام ببعد وظيفيّ وهي : « موقع الكلمة الثابت متقدما أو متأخراً في التّركيب الكلاميّ بحيث لو اختل هذا الموقع لاختل التّركيب باختلاله »(٤)

---

١) سيبوية- الكتاب جـ(١) ص ٥٦

٢) ابن السراج- الاصول في النّحو جـ(٢) ص ١٣١ وما بعدها.تحقيق: عبد الحسين الفتيليّ، مطبعة سلمان الاعظميّ- بغداد ١٩٧٣م.

٣) فاضل الساقي- أقسام الكلام العربيّ من حيث الشكل والوظيفة ص١٨٨بنشر مكتبة الخانجي، القاهرة ١٩٧٧م.

٤) فاضل الساقي -اقسام الكلام العربي من حيث الشكل والوظيفة ص١٨٦.

وقد حصر ابن السراج الأبواب ذات الرّتبة المحفوظة في ثلاثة عشر فقال: «فالثلاثة عشر التي لايجوز تقديمها، الّصلة على الموصول، والمضاف إليه وما اتّصل به على المضاف، والصّفة على الموصوف... »(١)وقد كانت نظرة ابن السّراج معياريّة في تناوله للرّتبة فلم يقف على أسرار التّقديم البيانيّة.واشترط في التّقديم أنْ يحقق المعنى وفق قاعدة أمن اللّبْس:« وذلك قولك: (ضرب عيسى موسى) إذا كان الفاعل لم يجز أنّ يُقدّم« موسى »عليه، لأنّه مُلبس لايبين فيه إعراب، وكذلك:« كسر العصى الرحى »لايجوز التّقديم والتّأخير، فإنْ قلت: (كسر الرحى العصا) وكانت الرحى هي الفاعلةوقد عُلم أنّ العصا لاتكسر الرحى جاز التّقديم والتّأخير »(٢)

وهذه الرتبة غير محفوظة، ولكنّ مقتضى الحال يدعو إلى حفظها، يُفسّر تّمام حسان المثال السابق بقوله:«إنّ الرّتبة غير المحفوظة قد تدعو الحال إلى حفظها إذا كان أمن اللبْس يتوقف عليها، وذلك نحو (ضرب موسى عيسى) »(٣)والتقديم من سنن العربية إذا تطلبه المقام:« ومن سُنن العرب تقديم الكلام، وهو في المعنى مؤخرّ، وتأخيره وهو في المعنى مقدّم »(٤).

---

١) ابن السراج- الأصول في النّحو جـ(٢)٢٢١.

٢) ابن السراج- الأصول في النّحو جـ(٢) ٢٥٥.

٣) تّمام حسان- اللغة العربيّة معناها ومبناها ص ٢٠٨.

٤) ابن فارس- الصاحبيّ في فقه اللغة العربيّة وسنن العرب في كلامها، ص ٢٤٦، تحقيق: مصطفى الشويميّ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر،بيروت د.ت.

وكان بحث ابن جني لهذا الضرب من التّقديم بحثاً معيارياً يتفق مع النظرة النّحويّة المعياريّة التي تلتزم القياس ولاتخرج عنه ، يقول:« ولايجوز تقديم المستثنى على الفعل الناصب له لوقلت:(إلاّ زيداً قام القوم) لم يجز لمضارعة الاستثناء البدل ».(١)

فقد اعتمد علة القياس في حمل حكم على حكم لجامع المشابهة بينهما، وبذلك لم يخرج في هذا الضّرب من التقدّيم عن أحكام النّحو، وتناول ابن جني التّقديم والتّأخير في (باب شجاعة العربيّة)، وقسّمه إلى ضربين:« أحدهما ما يقبله القياس، والآخر ما يسهله الاضطرار »(٢) ولكنّ ابن جني تجاوز هذه النظرة القياسيّة في تفسيره التّقديم إلى نظرة بلاغيّة مدارها المعنى، يقول:« ينبغي أنْ يُعْلَم ما اذكره هنا، وذلك أنّ أصل وضع المفعول أنْ يكون فَضْلَة وبعد الفاعل (كضرب زيدٌ عمراً)، فاذا عناهم ذكر المفعول قدّموه على الفاعل، فقالوا: (ضَرَبَ عمراً زيدٌ) ، فان تظاهرت العناية به عقدوه على أنّه ربُّ الجملة، وتجاوزوا به حدّ كونه فَضْلَة، فقالوا:(عمروٌ ضرب زيدٌ) فحذفوا ضميره ونَوَوْه، ولم ينصبوه على ظاهر أمره، رغبة به عن صورة الفَضْلَة وتحامياً لنصبه الدالّ على كونه غير صاحب الجملة »(٣)

ومن عجيب التوارد أن يلتقي فندريس وابن جني في المثال السابق نفسه مع فارق الزمن بينهما ، ممّا يدلّ على سبق ابن جني في نظرته إلى مرونة

١) ابن جني-الخصائص جـ(٢) ص ٣٨٢.
٢) ابن جني- الخصائص جـ(٢) ص ٣٨٢.
٣) ابن جني – المحتسب ، جـ(١) ص ٦٥ تحقيق علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي، القاهرة ١٣٨٦.

النظام اللغويّ للغة العربيّة، يقول فندريس:« فترتيب اللغة العربيّة فيه مرونة من حيث الحريّة في ترتيب الكلمات، فتقول العربيّة:(يضربُ زيدٌ عمراً) أو (يضرب عمراً زيدٌ) ، أو(عمراً يضربُ زيد) دون أن يؤدي ذلك إلى تردد في معرفة الفاعل والفعل والمفعول ».(١)

وهكذا يتضح أنّ الأهمية التي ذكرها سيبويه أساس في التقديم عند ابن جني، وهي أصل من الأصول التي يفسر بها التقديم. وقد وقف ابن جني على سبب التّقديم في غير موضع من كتابه «المحتسب»، فهو يفسر صيغة المبني للمجهول تفسيرا تحويليًا يقول:« ومن شدة العناية بالمفعول أنْ جاءوا بأفعال مسنَدَة إلى المفعول، ولم يذكروا الفاعل معها أصلاً، وهي نحو قولهم: امْتُقِعَ لون الرجل، وانُقطِع به، وجُنَّ زيد. ولم يقولوا:امتقعهُ ولا انقطعهُ، ولا جنّه ولهذا نظائر »(٢) ويعد خروج الصيغة من المبني للمعلوم إلى المبني للمجهول خروجاً تحويليًا يُراد منه تاكيد الركن التّحويليّ، وهو المفعول به. وخلاصة الأمر عند ابن جني أنّ التّقديم يفيد ضرباً من التّوكيد،« لأنّ العرب إذا أرادت المعنى مكنته واحتاطت له فمن ذلك التوكيد »(٣)

ويكون «تاكيد التّقديم بإخراج أحد عناصر الجملة من المكان المخصّص له وتثبيته في غير مكانه، إذ مَنْ أراد أنْ يَخُصّ شيئا باهتمام السامع أو القارئ قدّمه وفاجأه به، ليقع ذلك في نفس سامعه أو قارئه موقعاً ثابتاً، فيقدّم الفاعل

---

١) فندريس- اللغة -ص ١٨٧،ترجمة:الدواخلي والقصاص،نشر: مطبعة البيان العربيّ-مكتبة الأنجلو المصريّة،د.ت.

٢) ابن جني- المحتسب جـ (٢) ص ٢٨٤.

٣)ابن جني- الخصائص جـ (٣) ص ١٠١.

على الفعل، والمفعول على الفعل، والفاعل والخبر على المبتدأ ،والحال على صاحبهاوالنّعت على منعوته»(١)

ويقف أبو هلال العسكري على أهمية الرتبة ، يقول :«وينبغي أنْ تُرتّب الألفاظ ترتيبا صحيحاً فتقدّم منها ما كان يحسن تقديمه وتؤخر منها ما يحسن تأخيره، ولا تقدم منها ما يكون التأخير به أحسن ولا تؤخر منها ما يكون التقديم به أليق ».(٢) وبينّ فردينان دي سوسير أسرار التّرتيب بقوله:« وبداية، إنّ حال اللعبة * تقابل حال اللغة تماماً، وقيمة كلّ حجر من الأحجار مرتبطة بموقعه على الرّقعة. والأمر نفسه بالقياس إلى اللغة، إذْ تكتسب كل عبارة قيمتها مع العبارات الأخرى كلها »(٣) وتشبيه اللغة بلعبة الشّطْرنج يبرز أهمية المنظومة اللغويّة ودور كل عنصر من عناصرها في البناء الكليّ، ولذلك فانّ قيمة العنصر تتضح في ضوء موقعه من المجموع الكليّ.

وتمتاز اللغة العربيّة بنظام يتصف بالمرونة في ترتيب أجزاء الكلام غير أن هذه المرونة لا تلغي وجود رُتَبٍ محفوظة في هذا النظام، ويمثل الخروج عنها خروجا من نظام التّوليد إلى نظام التّحويل لأغراض دلاليّة وقف عليها البلاغيون .

ويبين الجرجانيّ طريقة التّحويل بالرتبة مُظْهراً أهمية الاختيار بقوله:« إذا

---

١) ريمون طحان- الألسنية العربيّة، ج(٢) ص٨٦، دار الكتاب اللبناني -بيروت ط(٢) ١٩٨١.
٢) ابو هلال العسكري - الصناعتين ص١٦٩.
٣) فردينان دي سوسير - محاضرات في الألسنية العامة ص١١٠، ترجمة:يوسف غازي ومجيد نصر، دار نعمان للثقافة ١٩٨٤.
* يقصد لعبة الشّطْرنج.

كان بيّنا في (التّركيب) أنّه لا يحتمل إلاّ الوجه الذي هو عليه حتى لا يُشْكِلَ وحتى لا يحتاج في العلم بأنّ ذلك حقّه وأنّه الصواب .... فلا مَزِيَّة، وإنّما تكون المَزِيَّة ويجب الفضل إذا احتمل في ظاهر الحال غير الذي جاء عليه وجهاً آخر ثم رأيت النفس تنبو عن ذلك الوجه الآخر، ورأيت للذي جاء عليه حُسْناً وقَبولاً يعدمهما إذا أنت تركته إلى الثاني ».(١)

فهذه المفارقة التي أقامها الجرجاني بين التركيب الأوليّ الذي يلتزم وجهاً واحداً، وهو التركيب التّوليدي، والتركيب الذي خرج عن البناء الأوّليّ الى وجه آخر وهو التركيب التّحويلي يبرز مَزِيَّة التّحويل باستخدام الرّتبة التي تستند إلى اختيار الرّكن في مكانه المناسب لمقتضى الحال، فالتحّويل بالرتبة ينقل الكلام من مبناه التوليديّ إلى مبنى تحويليّ لغرض دلاليّ يضفي عليه الحسن والجمال.

واستطاع الجرجانيّ أنْ يتجاوز التّعليل القائل: (إنّ التقديم للعناية والاهتمام) وأنّه لابد من الكشف عن أسباب العناية وكانت هذه النّظرة بعداً أسلوبياً يخترق المعنى الظاهريّ للكشف عن البنية العميقة، يقول الجرجانيّ: «وقد وقع في ظنون الناس أنّه يكفي أنْ يقال: إنّه قُدّم للعناية، ولأنّ ذكره أهم من غير أنْ يَذْكُرَ من أين كانت تلك العناية، ولِمَ كانَ أهمّ؟ولتخيلهم ذلك قد صَغُرَ أمر التّقديم والتّأخير في نفوسهم وهّونوا الخطب فيه »(٢)

ويرى داود عبده أنّ« ترتيب الكلمات في الجملة هو الذي يتحكم في المعنى

---

١) عبد القاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٢٢١.
٢) عبد القاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٨٥.

في الغالبية العظمى من الحالات، لا الحركات. فالفرق في المعنى بين (الرجل أعاد الكتاب إلى الولد) و(الولدأعاد الكتاب إلى الرجل)، مثلاً، يقرّره موقع كل من (الرّجل) و(الولد) و (الكتاب)لا الحركات الأخيرة لهذه الكلمات الثلاث»(١) وكان الجرجانيّ معيارياً في حكمه على وظيفه التّقديم، فهو يرى :« أنّ من الخطأ أنْ يُقسم الأمر في تقديم الشيء وتأخيره قسمين فيجعل مفيداً في بعض الكلام وغير مفيد في بعض » .(٢)

وهكذا أشار الجرجانيّ إلى أنَّ الحكم في التّقديم والتّأخير حكم قياسيّ، وأنَّ غرض التّقديم إذا اطّرد في باب فينبغي أنْ يعمم المعنى المستفاد، وعدّ من الخطأ القول بأحكام مختلفة في مواضع متشابهة، وهذه دعوة لوضع قانون عام يخضع له التّقديم والتّأخير،وهي قاعدة معياريّة تحويليّة يبتدعها الجرجانيّ، وهي تناسب نظريّة التّحويل وتشكل قاعدة من قواعدها، فلا يمكن لتقديم أركان النّظم أنْ تحدث إلاّ لغرض دلاليّ وإذا ارتضينا ذلك فإنَّ كل تقديم يتعلق بما هو واجب نحويًا يعّد تحويلا دلاليًا وهذا ماذهب إليه الجرجانيّ.

ويعدّ التّحويل بالتّركيز على أحد العناصر ضرباً من التّنويع الذي يحتفظ بعناصر الوحدة، ولكن لابد من تحقيق مبدأ التناسب في جميع عناصر التّركيب تقول روز غريب:« ومن وجوه التنويع على غير إخلال بالوحدة مبدأ التّقوية وهو إبراز أحد الأجزاء أكثر من الأجزاء الأخرى شرط اتّفاقه أو تلاؤمه مع المجموع».(٣)

---

١) داود عبده- أبحاث في اللغة ص ١٢٣ .مكتبة لبنان ١٩٧٣.
٢) عبد القاهر الجرجانيّ-دلائل الاعجاز ص ٨٦.
٣) روز غريب- النقد الجماليّ وأثره في النّقد العربيّ- ص ٣٠ دار العلم للملايين- بيروت.د.ت

وهكذا فإنَّ التّحويل من وسائل التّنويع الذي يُعدّ من عناصر الجمال الفنيّ.ويطلق عليه بعض الدارسين مركز العمل الفني، تقول روز غريب:« ولكل أثر فني مركز تتجمع فيه القوة ويلفت النّظر ففي البناء وفي التّطريز تتجمع الجاذبية حول المركز وفي الأطراف، وبينهما فراغ يمثل فترة الراحة. وذلك لأنَّ النّظر أوّل مايتجه إلى المركز فيطيل الوقوف عليه ثم يرتاح قليلاً قبل أنْ يتجه إلى الأطراف »(١)

وقد وقف الجرجانيّ طويلاً عند موضوع التّقديم والتّأخير ، ونظر في وجوه التّقديم والتأخير ومحاسنه، ومن طريف ماقاله في هذا الموضوع :« هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التّصرف، بعيد الغاية، لايزال يَفْتَرُّ لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مَسْمَعُه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أنْ راقك ولطف عندك أنْ قدّم شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان ».(٢)

وهذه أمثلة تظهر أهمية الرتبةفي الالتفات إلى المعنى من خلال التّحليل اللغويّ فالجمل الثلاث التالية:

١- في الدار عليّ. ٢-عندك زيد. ٣- قائم خالد.

محوّلة عن الجمل:

١- علي في الدار. ٢- زيد عندك. ٣- خالد قائم

---

١) روز غريب- النّقد الجماليّ واثره في النّقد العربيّ ص ٣٠-٣٢.

٢) عبد القاهر الجرجانيّ- دلائل الاعجاز ص ٨٣.

وأفاد دخول الجمل في القانون التّحويلي معاني دلاليّةانتظمت في سياقين:

الأول: أنّ التّحويل في التّركيبين الأول والثّاني يفيد التّأكيد على المكان الذي يؤلف موضوع الحديث، المراد الإخبار عنه والإهتمام به.

الثاني: التّحويل في التّركيب الثّالث يفيد العناية بحال المخبر عنه وصفته، وتقديم الحال التي تشكل الخبر في الجمّلة على أنّها بؤرة التّركيب وموضوعه الأساس.

ومنْ الأمثلة الموضحّة لأهمية الرتبة قوله تعالى« الله نَزّلَ أحسنَ الحديث»(١) تركيب تحويلي اسمي انتقل من البناء التّوليديّ الفعليّ لأسرار بلاغيّة اقتضتها بلاغة النّظم القرآنيّ، وكشف عنها الزّمخشريّ بقوله :« وايقاع اسم الله مبتدأ وبناء نزّل عليه فيه تفخيم لأحسن الحديث، ورفع منه واستشهاد على حسنه، وتأكيد لاستناده إلى الله وأنّه من عنده، وأنّ مثله لايجوز أنْ يصدر إلاّ عنه، وتنبيه على أنّه وحي مُعجز. مباين لسائر الأحاديث»(٢)

وكشف الجرجانيّ عن دقائق هذا الفن،ووقف على بديع أسراره،فذكر أنّ التّقديم على وجهين فقال:« واعلم أنّ تقديم الشيء على وجهين تقديم يقال إنّه على نية التأخير... وتقديم لاعلى نية التاخير ولكن على أنْ تنقل الشيء عن حُكم إلى حُكم، وتجعله باباً غير بابه»(٣) فالنّوع الّثاني من هذا التّقديم هو مايعرف

---

١) الزمر اية٢٣.

٢) الزمخشريّ- الكشاف جـ٣ ص ٣٩٤ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣) عبد القاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٨٣.

بالجملةالتّحويليّة، إذْ تكتسب الجملة علاقة بالبنية العميقة وتتغير الحركة الإعرابية تحقيقاً لمقتضى المعنى الدّلاليّ الناتج من البنية التّركيبيّة ذات الترتيب البيانيّ، الذي يقصد بلوغ الدّلالة عن طريق فاعلية الوحدات الأساسيّة في صورتها التّحويليّة.ويقدّم الجرجانيّ مثالاً تطبيقياً يظهر أثر التّقديم في المعنى بطريقة أسلوبيّة، يقول:« فإذا قلت(أأنتَ فَعَلْتَ ذاك) أو (أفَعلْتَ ذاك) كان توجه السؤال في الجملة الأولى عما إذا كان هو الفاعل أم لا، والسؤال في الجملة الثانية عن الحدث ».(١) معايبرز أثر عناصر التّحويل في تقديم المعنى، فالرّتبة توقف عليها موافقة المعنى لسياق الحال، والاستفهام نقل الجملة من القانون التّوليديّ إلى القانون التّحويليّ مع فرق دقيق في المعنى التّحويلي الذي نقل السؤال عن الفاعل أو الحدث.وهذا يفضي إلى القول إنّ الجرجانيّ تنبّه إلى أثر النحو في توجيه الطاقات التّعبيريّة نحو المعنى الدلالي الذي يفيده التركيب. ويرى القرطبي أنّ سبب تقديم المفعول به في قوله تعالى: (أيّاك نعْبدُ)(٢) الاهمية يقول : «وقدّم المفعول على الفعل اهتماما، وشأن العرب تقديم الأهم»(٣) ويكشف الزمخشريّ عن سرٍ من أسرار التّقديم بقوله:« ويعود إلى التخصيص فالمعنى نخصك بالعبادة »(٤)

وانتهى أبو حيان إلى أنّ تقديم إيّاك: « التفات لأنّه انتقال من الغيبة إذْ لو

---

١) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٨٨-٨٩.

٢) فاتحة الكتاب الكريم اية ٥.

٣) القرطبيّ- الجامع لأحكام القرآن جـ(١) ص ١٤٥ دار الكتاب العربيّ- مصر ط (٣) ١٩٦٧م.

٤) الزمخشري- الكشاف جـ(١) ص ٦٢ دار الفكر للطباعة والنشر ط (١) ١٩٧٧م.

جرى على نسق واحد لكان(إيّاه) والانتقال من فنون البلاغة، وهو الانتقال من الغيبة إلى الخطاب، وفائدة هذا الالتفات إظهار فائدة تخصّ كل موضع موضع فيكون في هذا الخطاب من التلطف على بلوغ المقصود مالايكون في لفظ(إيّاه)(١)

إنّ التّركيب القرآنيّ(إيّاك نعبد) تركيب تحويليّ فعليّ تغيرّت بنيه التركيب فيه لأغراض دلاليّه منها التّخصيص، والالتفات ،والعناية، ولذلك فإنّ التّحويلّ بالرتبةقد يفيد غير معنى بلاغيّ ولكنهّا تصب في المعنى الدلاليّ الكليّ، معنى النظم.

ويلحظ فندريس أنّ:« المسألة في كل حالة من الحالات مسألة حسّ أكثر منها مسألة مذهب نحويّ إذ إنّ هناك ترتيبا معتاداً مبتذلا يطرق الذهن لأول وهلة.

وهذا التّرتيب يمكن مخالفته، ولكن مجرد المخالفة تبني، عن غرض ما، ذلك الغرض هو إبراز كلمة من الكلمات لتوجيه التفات السامع إليها. وتلك مسألة أسلوبيّة يمكن تتبعها إلى أقصى وقائعها، ومن ثم كانت دراسة التنّظيم كثيرا ماتجورعلى دراسة الأسلوب».(٢)

ولانتفق مع فندريس في أنّ (دراسة التنظيم تجور على دراسة الأسلوب)، بَلْ نرى أنّ دراسة التنظيم وسيلة تسهم في الكشف عن الخصائص الأسلوبية ويظهر دورها الدلاليّ في البناء الكليّ.وهكذا أظهرت النّظرات البلاغيّة والنحّوية مفهوم التّقديم والتّأخير وأغراضه والمعاني المترتبة عليه، وقد

---

١) أبو حيان الأندلسي- البحر المحيط جـ(١) ص ٢٤ ط(١) ١٣٢٨ هـ

٢) فندريس- اللغة ص ١٨٨

برز في هذا العرض أهمية الدلالات المعنويّة العميقة وتجاوز البنية التّوليدّية إلى التّحويليّة لرصد الأسرار اللغويّة، وتقصي المرامي البيانيّة.

ثانياً: الحــــذف

الحذف مكون من مكونات النظريّة التّحويليّة، فقد يتم التحوّيل عن طريق الحذف الذي يؤلف وجهاً من وجوه اللغة،ويؤكد ميشال زكريا أنّ التّحويل: «يقوم على حذف عنصر من عناصر المشير الركنيّ * الذي يدخل ضمن أجزائه، فتحول الجملة من التوليديّة إلى التحويليّة»(١) ويستخدم الحذف وفق نظام لغويّ خاص عندما تدلُ عليه قرينة سياقيّة أو يكون الحذف سائغا لايودي الى مخالفة القوانين اللغويّة، فالحذف لون جماليّ، وسر من أسرار اللغة وبديع أساليبها.

ذكر سيبوية الحذف في غير موضع من كتابه(٢) وتنبّه إليه بقوله:« إنهّم مما يحذفون الكلم، وإنْ كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامهم أنْ يُستعمل حتى يصير ساقطا »(٣) وذكر حذف المبتدأ بقوله:« وذلك أنّك رأيت صورة شخص فصار لك آية على معرفة الشخص فقلت عبدالله وربي ،كأنّك قلت: ذاك عبدالله.., أو هذا عبدالله، أو سمعت صوتا فعرفت صاحب الصوت فصار آية لك على معرفته فقلت :زيد وربي»(٤).

١) ميشال زكريا- الالسنية التوليديّة والتحويليّة وقواعد اللغة العربيةّ ص ١٥٦وانظر خليل عمايرة- في نحو اللغة وتراكيبهاص ١٣٤.

٢) سيبوية الكتاب ص ١٢٩ جـ٣ ص ٢٦٩، ٤٩٩.

٣) سيبوية- الكتاب جـ(١) ص ٢٤-٢٥.

٤) سيبوية- الكتاب جـ(٢) ص ١٣٠.

* يفهم من حديثه أنّ المشير الركني هو مكونات الجملةوعناصرها ، انظر ميشال زكريا- الألسنية التّوليديّة والتّحويليّة وقواعد اللغة العربية ص ١٥٦.

فهذا ضرب من الحذف ناتج عن دليل مقاميّ سد مسد المحذوف وأغنى عنه، فاتّضح الركن المحذوف من وجوه الارتباط السياقيّ بين الدال والمدلول ،وخَلُصَ سيبويةإلى أنّ الحذف قد يحصل لكثرة الاستعمال الذي يؤدي إلى الاستغناء عن أجزاء الكلام لأنّها تفهم دلالالتها، يقول:« وما حُذف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير، ومن ذلك: هل من طعام؟ أي هل من طعام في زمان ومكان، وإنّما يريد : هل طعام ؟ »«فمن طعام » في موضع «طعام»،كما كان « ما أتاني من رجل» في موضع « ما أتاني رجل» مثله، جوابه: ما من طعام».(١)

ويعدّ الحذف ضرباً من الإيجاز وتبدو بلاغته إذا كان موافقا لمقتضى الحال، يقول ابن قتيبة في حديثه عن الإيجاز:« وهذا ليس بمحمود في كلّ موضع ولابمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال، ولو كان الإيجاز محموداً في كلّ الأحوال لجرّده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكنّه أطال تارةً للتوكيد، وحذف تارةً للايجاز، وكرّر تارةً للإفهام». (٢)

وقد وقف المبرد على المسوغ الذي يُجوّزُ الحذف في غير موضع فقرّرَ أنّ قرينة الحال تجّوز الاستغناء عن بعض أركان الكلام يقول:« ولولا دلالة الحال لم يجز الإضمار »(٣) وبينّ المبرد أنّه لايصح الحذف إلاّ بدليل عليه يقول:« فالعرب

---

١) سيبويةج(٢) ص ١٣٠.

٢) ابن قتيبة- أدب الكاتب ص١٩ دار صادر - بيروت طبع ليدن ١٩٦٧م.

٣) المبرد- المقتضب جـ٣ ص ٢٨٨.

تحذف إذا كان فيما أبقوا دليل على ما ألقوا »(١) وهذا يبدي أنّ البنيّة الدّلاليّة تكشف عن وجود عنصر محذوف ،فإذا قلنا: من السائل؟ كان الجواب:(عليّ) فإنّ كلمة (عليّ) لفظة لايستقيم معناها ولايتمُ دون الاعتماد على تقدير محذوف دلت عليه قرينة السياق، فالمعنى المستفاد من الجواب دلّ على تقدير عنصر محذوف وهو السائل : (عليّ) فالبنية الدلاليّة إذا كانت غير حاملة لمعنى يحسن السكوت عليه دلت على استغناء المتكلم عن ركن من أركان الكلام لدليل تجيزه اللغه.

« فالمفردات في أيّة لغة لاتعرض مطلقا وجوه التّفكير كامله. بل يوجد دائما من الكلمات أقل مما يوجد من الأفكار، والاستعمال الجاري يكتفي دائما بالعبارات التّقريبية، لأنّ لديه من الوسائل مايُجنّبَه الوقوع في اللبس.إذ إنّ السياق يوضح كلّ معنى كلمة وإذا لم يكف السّياق، لم تعدم اللغةأنْ تجد وسيلة لتجنب هذا النّقص».(٢)

أمّا تعليل الحذف عند الرمانيّ فقد جاء بدليل من السّياق يقول:« فالحذف اسقاط كلمة للاجتزاء عنها، بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام، ومنه قوله تعالى:(واسأل القرية)(٣) أي أهل القرية »(٤)فالحذف إسقاط ركنٍ من أركان الكلام بدليل من المقام، لغرض دلاليّ يريده المتكلم وتقتضيه حال السامع.

وذكر الرماني الأثر النفسي البليغ للحذف في تعليقه على حذف الجواب في

---

١) المبرد- المقتضب جـ٢ ص ١١٢.
٢) فندريس- اللغة ص ٢٠١.
٣) سورة يوسف اية ٨٢.
٤) الرماني- النكت في اعجاز القران ص ٧٠.

كثير من الآيات القرآنيّة، كما في قوله تعالى : (ولو أنّ قرْآناً سُيِّرت به الجبال أو قُطِّعَتْ به الأرضُ أو كُلِّمَ به الموتى)(١) فقال:« وإنمّا صار الحذف في هذا أبلغ من الذّكر لأنّ النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذُكِرَ الجواب لَقُصِرَ على الوجه الذي تضمنه البيان، فحذفُ الجواب أبلغ من الذكر لما بيناه »(٢)

وقرّرَ ابن فارس أنّ الحذف من سنن اللغة العربية، يقول:« ومن سنن العرب الحذف والاختصار »(٣) وبين هذه القاعدة السيوطي بقوله:« الاختصار هو جلّ مقصود العرب وعليه مبني أكثر كلامهم »(٤)

وعدّ ابن جني الحذف مظهراً من مظاهر شجاعة العربيّة وأبان عن مواطن الحذف بقوله « وقد حذفت العرب الجملة، والمفرد، والحرف، وليس شيء من ذلك إلاّ عن دليل عليه. وإلاّ كان فيه ضرب من تكلُّف علم الغيب في معرفته » (٥)

ويكشف الخطابيّ عن أسرار الحذف بقوله:« فإنّ الإيجار في موضعه وحذف مايستغني عنه الكلام نوع من أنواع البلاغة، وإنمّا جاز الحذف وحسن لأن المذكور منه يدلّ على المحذوف، ولأنّ المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به »(٦)ويذهب الباقلانيّ إلى انّ « الحذف أبلغ من الذكر، لأنّ النّفس تذهب كلّ

١) سورة الرعد- اية ٣١.
٢) الرماني- النكت في اعجاز القرآن ص ٧٠.
٣) ابن فارس - الصاحبي في فقه اللغة ص ٢٠٥.
٤) السيوطي- الأشباه والنظائرجـ (١) ص ٢٩ تحقيق: عبدالرؤوف سعد نشر : مكتبة الكيات الأزهرية ١٩٧٥م.
٥) ابن جني- الخصائص جـ(٢) ص ٣٦٠.
٦) الخطابيّ- بيان إعجاز القرآن ص ٤٧.

مذهب في القصد من الجواب»(١)

وقد أصاب الجرجانيّ حين ذكر أنّ الحذف«باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر ، أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة، أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبِن»(٢) وتاكيدا لهذه النظرة يبين الجرجانيّ أسرار حذف المفعول به وقيمته التّعبيرية، يقول « فإنّ الحاجة إليه أمسّ ، وهو مما نحن بصدده أخصّ، واللطائف كأنها فيه أكثر، وما يظهر بسببه من الحسن والرونق أعجب وأظهر»(٣) فالمتأمل للحذف يجد أسراراً في مراعاة مقتضى الحال مما يولد جمالاً في الموقع ودقة في المبنى وسحراً في المعنى وروعة تتجلى في أساليب البيان فالحذف يرتبط بالنظم ومعنى الجملة.

ويوجه الجرجانيّ ظاهرة الحذف في قوله تعالى(واسأل القرية)(٤) توجيها يشبه إلى حدّ بعيد النّظرة التّحويليّة، يقول:« والأصل واسأل أهل القرية، فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجر والنصب فيها مجاز».(٥)

إنّ قول الجرجانيّ« في الأصل وعلى الحقيقة »يقابل الجملة التّوليديّة، فالجملة التّوليديّة هي جملة الأصل قبل دخول عناصر التحويل عليها، وعنصر التحويل هو الحذف. وقد نقلها الحذف من بنية الأصل التوليديّ إلى جملة

---

١) الباقلاني- اعجاز لقران ص ٢٩٧.

٢) عبد القاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ١١٢.

٣) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ١١٨.

٤) سورة يوسف — آية ٨٢.

٥) عبد لقاهر الجرجانيّ- أسرار البلاغة ص ٣٦٢ نشر: محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.

تحويلية، وتغيرت الحركة الإعرابية نتيجة التغيّر في البنية والمعنى الدلاليّ، فالتحويل لم يكن على مستوى الدلالة وحسب، بل تجاوزه إلى الحركة التي اقتضاها التّركيب المحول موافقةللموقف والسّياق.

ويشير ابن يعيش إلى« أنَّ قرائن الأحوال قد تغني عن اللفظ وذلك أنَّالمراد من اللفظ الدّلالة على المعنى، فإذا ظهر المعنى بقرينة حالية أوغيرها لم يحتج إلى اللفظ المطابق، فإنْ أتى باللفظ المطابق جاز وكان كالتأكيد وإنْ لم يوت به فللاستغناء عنه»(١) أماَّ ابن هشام فقد أطال الحديث عن موضوع الحذف، فذكرشروطه وبين مواقعه ووقف على بديع محاسنه، وحصر أقسامه وعدّ البحث فيه من المهمات، يقول:« وإذا قد انجر بنا القول إليه، فإنّه من المهمات»(٢)

ويستخلص ابن وهب الكاتب الغرض من الحذف الذي يتضح في قوله: «وأمّا الحذف فإنّ العرب تستعمله للإيجاز والاختصار والاكتفاء بيسيرالقول، إذا كان المخاطب عالماً بمرادها فيه»(٣)

وبذلك يتّضح أنّ الحذف قريب الصلة من جوهر اللغة، وهو جائز الاستخدام عندما توجه إليه قرينة حال أو استعمال فهما قرينتان تسهمان في تسويغ أمر الحذف، فكثرة الاستعمال لتركيب معين تجعله نمطاً مألوفاً ومعروفاً لأنّ السامع يدرك ذلك بالقدرة اللغويّة الكامنة أمّا قرينة الحال فإنّها دليل سياقي اقتضاه

---

١) ابن يعيش- شرح المفصل-ج(١) ص ١٢٥، عالم الكتب -بيروت، ومكتبه المتنبي- القاهرة.
٢) ابن هشام مغني اللبيب-ص ٨٧٦ تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمدالله دار الفكر ط (٥) ١٩٧٩.
٣) ابن وهب الكاتب- البرهان في وجوه البيان ص ١٥٠تحقيق: أحمد مطلوب وخديجه الحديثي م: بغداد ط(١) ١٩٦٧.

الموقف وسوغ معناه في نفس السامع. وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الحذف لايكون سائغاً إلاّ إذا سار في خط القوانين اللغويّة، وقد بيّن السيوطي ذلك قائلاً: «العمدة عبارة عمّا لايسوغ حذفه من أجزاء الكلام إلاّ بدليل يقوم مقام اللفظ به»(١) فالحذف في مكانه لطيف المأخذ يدلّ على بلاغة الكلم لما يبعث في النّفس من التساؤل عن العنصر المحذوف ممّا يحقق إحكام التّرتيب وحسن النّظم.

ونصّ النحويون على جواز حذف المبتدأ إن دلّ عليه دليل من السياق ومن أمثلة حذف المبتدأ:

١- «صمّ بكمٌ عميٌ فهم لايرجعون»(البقرة ١٨).

٢-«الله لاإله إلاّ هو الحيُّ القيّوم»(البقرة ٢٥٥).

٣-« متاع قليل ولهم عذاب أليم» (النحل١١٧).

ويلحظ المتامل لهذه الآيات أنها تسير في خط القوانين التّحويليّة وقد دخلها الحذف ويقدّر المحذوف بضمير أو ما يسد مسده لما له من أهمية في أداء المعنى، فالمبتدأ والخبر مبنيان على ظاهرة التلازم التي تحقق الفائدة بوجود هذين الركنين،ولكن يمكن للتلازم أنْ يبقى قائماً وإنْ زال أحد ركني الجملة، بشرط أنْ يدلّ على المحذوف دليل لفظيّ أو معنوي وفق قوانين ترضاها اللغة، وقد أعطى الحذف النصّ القرآنيّ قوة في التركيب، وجودة في النّظم باستخدام وجوه البلاغة وضروب البيان. وهكذا يتضح أنّ اكتناه دلالات الحذف وصورته

---

١) السيوطي- همع الهوامع- ج(٢) ص ٣ تحقيق: عبدالسلام هارون وعبدالعال مكرم ،دارالبحوث العلميّة- الكويت ١٩٧٥.

البلاغية وما يّقدم من المعاني يبين أثره التّحويليّ في نقل التركيب من البناء التّوليديّ إلى البناء التّحويلي، وهو أصل من الأصول النحّويّة والبلاغيّة والتّحويليّة.

ثالثاً:« الزيادة »:

هي توسيع في بنية الجملة بإضافة عنصر تركيبيّ أو أكثر لوظيفة دلاليّة يقتضيها السّياق، وهذا التوسيع ضرب من التّحويل الذي ينقل الجملة من البناء التّوليديّ إلى البناء التحويليّ.ويسمى هذا العنصر في التّحويليّة(الجمع) وهو : « الجمع وعكسه الحذف، يحدث الجمع في إدخال مقاطع جمليّة يتصدرها الأسم الموصول في ضمّها إلى الجمل الرئيسيّة»(١)

ويرى خليل عمايرة أنّ الزيادة:« عنصر من عناصر التّحويل، مايضاف إلى الجملة النواة من كلمات يعبر عنها النحاة بالفضلات أو التتمات أوغير ذلك، ويعبر عنها البلاغيون بالقيد يضاف إلى جملة الأصل لتحقيق زيادة في المعنى»(٢)

ونرى أنّ مفهوم الزّيادة في اللغة العربيّة يتسع ليشمل كلّ زيادة على جملة التّوليد تنقل الجملة إلى جملة تحويليّة، وهذا يفسر كثيرا من الأبواب النّحويّة مثل : دخول نواسخ الابتداء، وأسلوب المدح والذم، وتعدد الخبر، وحصر المبتدأ في الخبر.وتنقل :كان واخواتها" الجمل من التّوليد إلى التّحويل بقانون الزيادة التحويليّة، وتتغير الحركة الإعرابيّة في جملة التحويل وذلك اقتضاء

---

١) ريمون طحان– الألسنيّة العربية جـ٢ ص ١١٠، ١١١.
٢) خليل عمايرة– في نحو اللغة وتراكيبها ص ٩٦.

للمعنى التحويليّ الذي يتطلبه دخول كان أو إحدى أخواتها . وتتضح الزيادة التحويليّة نحو« أليْسَ اللهُ بكافٍ عَبْدَهُ»(١) فجملة النّواة التوليديّة (الله كاف عبده)،جملة توليديّة بُنيت على الإسناد(مسند إليه ومسند وضمير رابط عائد على المسند إليه).أماجملة التّحويل فهي محولة عن البناء السطحّي إلى العميق بدخول ثلاثة عناصر (الاستفهام) و(ليس) و(الباء)، والمعنى الدّلاليّ الناتج عن التّحويل يتوقف على نوع عناصر التّحويل وعددها، فهو تقرير أنّ الله كاف عبده وتوكيد المعنى باستخدام ثلاثة عناصر.

وتدخل« إنّ واخواتها » على التّركيب فيقصد من دخولها معان تحويليّة كالتشبيه والاستدراك والتمني والترجي، فقد تدخل «إنّ» فتفيد التّوكيد ثم تدخل« اللام » على خبر إنّ، فتقدّم درجة أعلى من التّوكيد، مثل قوله تعالى«إنّ ابراهيم لحليمٌ أوّاهٌ منيبٌ»(٢) والعلة في قوة التاكيد زيادة عناصر التحويل التي تنقل الجملة من البنية السطحيّة إلى العميقة لأغراض دلالية.ومن البنى التّحويليّةالتي تنقل الجملة من القانون التّوليديّ إلى التحويليّ« لا » النافية للجنس فتسهم بنقل الجملة من الإثبات إلى النفي ومثالها(لاغلامَ رجلٍ حاضٌر)فجملة النواة التّوليديّة هي(غلام رجل حاضر) وهي مبنية على الإسناد والتلازم بين المضاف والمضاف إليه، وعنصر التحويل هو« لا » التي استطاعت

---

١) سورة الزمر آية ٣٦.

٢) سورة هود آية ٧٥.

استغراق نفي الجنس، ونقلت الجملة من الإثبات إلى النفي واقتضى ذلك تغير الحركة الإعرابية تحقيقاً لمطالب النحّو.

وقد تنبه أبوعبيدة إلى أنّ الزيادة لمعنى التوكيد والتقوية بتعليقه على قوله تعالى: «ألا إنما طائرهم عند الله ». (١) يقول:« مجازه إنّما طائرهم، وتُزاد (ألا) للتنبيه والتوكيد »(٢) فالتركيب التّوليدي(طائرهم عند الله) دخل هذا التركيب عُنصرا تحويل، الأول زيادة إنّما، التي أفادت التوكيد والركن الثاني من أركان التّحويل «ألا» التي منحت التركيب القوة في التأكيد والتنبيه، وهكذا تّتضح قدرة عناصرالتّحويل على نقل التّركيب من البناء التّوليديّ إلى البناء التحّويليّ لأغراض دلاليّة.

وتناول النحويون موضوع الزيادة وما يترتب عليه من معان، يقول ابن جني: «فإذا كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمةله زيادة المعنى به. وكذلك إنْ انحرف به عن سمته كان ذلك دليلاً على حادث متجدد له »(٣) وقّرر ابن جني قاعدة الحذف والزيادة بقوله:« هذا هو القياس: ألاّيجوز حذف الحروف ولازيادتها، ومع ذلك فقد حذفت الحروف تارة وزيدت أخرى»(٤)

---

١) الأعراف اية ١٣١.

٢) ابوعبيدة- مجاز القران جـ(١) ص ٢٢٦.

٣) ابن جني- الخصائص جـ(٢) ص ٢٦٨.

٤) ابن جني - الخصائص جـ (٢) ص ٢٨٠.

فالأصل ترتيب بنية الكلمات وتقديم المعنى دون حذف أوزيادة، ولكن إذا حصلت زيادة فلا بد أنّ يكون أساسها المعنى،فالزيادة في المبنى مؤثرة في المعنى ولذلك نخالف مايذهب إليه عبده الراجحي يقول:« وقد عرض نحاة العربيّة لظاهرة الزيادة في الجملة، وأشاروا إلى أنّ مايزاد في الكلام لايضيف معنى»(١)ونورد في هذا الموقف تعليل ابن جني الذي يضيء هذا الجانب بقوله: « وأمّا زيادتها فلإرادة التوكيد بها، وذلك أنّه قد سبق أنّ الغرض في استعمالها إنمّا هو الإيجاز والاختصار والاكتفاء من الأفعال وفاعليها، فإذا زيد ماهذا سبيله فهو تناه في التوكيد به، وذلك كابتذالك في ضيافة ضيفك أعز ماتقدر عليه، وتصونه من أسبابك، فذاك غاية في إكرامك له وتناهيك في الحَفْل به» (٢) فقد عقد ابن جني موازنة بين أغراض الحذف والزيادة وَبَيّنَ أنّ الغاية المستفادة من الزيادة في المبنى أمر مؤكد تمليه أسرار النظم.

وفي بيان الوجه في زيادة الباء في خبر (ليس) يُقرّر ابن يعيش:«أنّ الباء قد زيدت في خبر ليس لتأكيد النّفي، ومعنى قولنا زيدت: أنّها لم تحدث معنى لم يكن قبل دخولها وذلك قوله تعالى :(أليس الله بكاف عبده) (٣) وتقديره: كافياً عبده، وقال تعالى: (ألست بربكم)(٤) أي: ألستّ ربّكم ».(٥)

ونوافق ابن يعيش في مايذهب إليه في معنى زيادة الباء في قوله: «ومعنى قولنا: زيدت أنهّا لم تحُدثْ معنى لم يكن قبل دخولها، فالمعنى الناتج عن

---

١) عبده الراجحي- النحو العربيّ والدرس الحديث ص ١٥٣ دار النهضة العربية للطباعة والنتشر ١٩٧٩.
٢) ابن جني- الخصائص جـ(٢) ص ٢٨٤
٣) سورة الزمر اية ٣٦
٤) الأعراف آية ١٧٢
٥) ابن يعيش- شرح المفصل جـ(٢) ص ١١٤ , ١١٥

زيادة الباء تحويليٌ جديد، ولكنهٌ لايختلف عن المعنى الذي تعطيه الجملة قبل دخول الباء، فمثلا قولنا: (ليس زيدٌ خارجا) فيه نفي لخروج زيد، ودخول الباء في قولنا:(ليس زيد بخارج) فيه تأكيد لمعنى النفي، وهو نفي خروج زيد. وبذلك يكون ابن يعيش قد وقف على المعنىٰ التّحويليّ الذي أضافته الباء، ولكنّه لايراه يختلف اختلاف تناقض عن المعنى المستفاد من الجملة قبل دخول الباء عليها، بل تأكيداً لذلك المعنى، أفاده دخول الباءعلى الجملة.

وينظر عبدالقاهر الجرجانيّ إلى الزّيادة نظرة تشبه ماتراه النّظرية التحويليّة من أنّ الزيادة عنصرتحويليّ لغرض دلالي فليس ثَمَّة زيادة في المبنى إلاّ ولها أثر في المعنى،. يقول فيما يسمى بالباء الزائدة:« ومتى ادعينا لها شيئا من المعنى، فإنّنا نجعلها من تلك الجهة غير مزيدة ».(١)

وهكذا نقف مع الجرجانيّ الذي يرى أنّه لايجوز الادعاء، بأنّها زائدة لأنّنا قلنا: إنّها تفيد تأكيد النفي، ومتى كان لها معنى فهي ليست بزيادة، ولكن نرى أنها عنصر من عناصر الزيادة ذات المعنى، فهي زيادة مكون تركيبي اقتضاه المعنى.

وبيّن الشيخ خالدالأزهريّ موقف البصريين والكوفيين من زيادة الباء بقوله:« وتزاد الباء بكثرة في خبر ليس غير الاستثنائية، وفي خبر ما، نحو(أليس الله بكاف عبده)(٢)، (ومارٌبك بغافل)(٣) وذلك عند البصريين لرفع

---

١) عبد القاهر الجرجانيّ- أسرار البلاغة ص ٣٦٤.
٢) سورة الزمر اية ٣٦.
٣) سورة الأنعام اية ١٣٢.

توهم الإثبات، فإنّ السامع قد لايسمع أوّل الكلام ، وعند الكوفيين لتأكيد النفي»(١).وقد أحسّ الزمخشريّ بالأسرار الجماليّة لظاهرة الزّيادة، يقول: «ليس بواجب أنْ يجيء بالآكد في كل موضع، ولكن يجيء بالوكيد تارة وبالآكد أخرى، كما يجيء بالحسن في موضع وبالأحسن في غيره ليفتن الكلام افتنانا »(٢) وذلك« لأنّ الزّيادة في البناء لزيادة المعنى. (٣)

ويتضح أنّ عنصر الزّيادة يتسع ليشمل الزّيادة البنائية على المستوى الصرفيّ للكلمة الواحدة فكل زيادة في بنية الكلمةتنقلها من المبنى التوليديّ إلى المبنى التّحويليّ لغرض دلاليّ يقول الزركشيّ« إنّ اللفظ إذا كان على وزن من الأوزان ثم نقل إلى وزن آخر أعلى منه، فلابد أنْ يتضمن من المعنى اكثر مما تضمنه أولاً *،لأنّ الألفاظ أدلة على المعاني، فإذا زيد في الألفاظ وجب زيادة–المعاني ضرورة » (٤) وفي هذا ملمح لدلالة الألفاظ على المعاني، ولكن لانوافق الزركشيّ على أنّ زيادة المبنى تقتضي زيادة المعنى بالضرورة بل نرى أنّ الزيادة في المبنى تستدعي تغيراً في المعنى، وهذا التّغير هو مايعرف بالدلالة التّحويليّة الناتجة من انتقال البنية من التوّليديّة إلى التّحويلية.

---

١) خالد الأزهري – شرح التصريح على التوضيح جـ(١) ص ٢٠ دار احياء الكتب العربية.د.ت.

٢) الزمخشري– الكشاف جـ(٢) ص ٥٦٢ دار المعرفة للطباعة والنشر.د.ت.

٣) الزمخشري– الكشاف جـ(١) ص ٥ تحقيق: مصطفى حسين أحمد، مطبعة الاستقامة– القاهرة١٩٥٢.

٤) الزّركشي– البرهان في علوم القرآن، الجزء الثالث ص ٣٨تحقيق: مصطفى عبدالقادر، دار الكتب العلميّة، بيروت ط(١) ١٩٨٨.

* العلاقة ليست علاقة زيادة في المعنى–كما يراها الزركشي–بَلْ علاقة اختلاف أو تغييّر، ولعلّه تبيّن أنّ المعاني التابعة لاختلاف صيَغ البنى الصرفيّة تتفاوت وَفْقَ نوع الحروف وعددها،ثم مكان دخولها.

وقد كان للنحويين موقف واضح في الزّيادة التي تتصل بالمباني الصرفيّة ومايترتب عليها من تغيّر في المعنى عندما حصروا حروف الزيادة بكلمة(سألتمونيها)، ووضحوا المعاني التابعة لاختلاف صيغ المباني الصّرفية، وتتفاوت المعاني الدلاليّة تَبَعاً لتنوع حروف الزّيادة وعدد هذه الحروف، ثم مكان دخولها . وبلاغة الكلم تختلف تَبَعاً لبسط الألفاظ أو إيجازها وموافقتها مقتضى الحال، فإيراد الكلام يتوقف على الغرض الذي يبني عليه، واختيار بديع التركيب في ضوء السياق وما يناسبه من الأساليب.

ولعلّه من المناسب هنا أنْ نشير إلى أنّ السيوطي انتهى إلى أهمية الزيادة بقوله:« وأمّا تقيد الفعل بقيد من مفعول مطلق أوبه أو له أوفيه أو معه أو حال أو تمييز أو استثناء، وذلك لزيادة الفائدة، فإنّ بالتقيدات يزداد الحكم غرابة وكلما ازداد غرابةً ازداد فائدةً» (١)

ويوجه عبدالقاهر الجرجانيّ هذه القاعدة توجياً لطيفاً يبدو في ظاهره الأمر أنّه مخالف لما يذهب إليه النّحاة ولكنه في الحقيقة يتفق معهم يقول: «وهكذا يكون الأمر أبداً كلما زدت شيئاً وجدت المعنى قد صار غير الذي كان» (٢)

فالمعنى التّحويليّ الجديد المستفاد من الزّيادة هو معنى غير الذي كان،لأنّه إنّ كان مؤكداً فإنّ المعنى التّحويليّ آكد منه.وإذا عرفنا معنى الزيادة بين النحو والبلاغة فلا بد من الإشارة إلى أنّها تؤلف قانوناً تحويليّا يغيّر الجملة من

---

١) جلال الدين السيوطي- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان ص ٣٣ مطبعة : دار احياء الكتب العربية -مصر.

٢) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الاعجاز ص ٤١١.

البنية التّوليديّة الأصوليّة إلى البنية العميقة التّحويليّة التي تحمل معنى إضافيا ينضاف إ لى المعنى الأوّل أو يغيّره تَبَعاً لنوع عناصر الزيادةوعددها والموقع الذي تنضاف إليه. وتؤثر الزيادة على العلاقة القائمة بين عناصر النّظم مع الاحتفاظ بالقياس اللغوي، وبلوغِ الجملةِ البنيةَ الدلاليّةَ العميقةَ التي تحقق المعنى التّحويليّ المناسب لسياق الحال والاستعمال.

وهكذا وقفنا على العناصر الأساسيّة في نظريّة التّحويل بين النّحو والبلاغة مما أظهر القيم النّحويّة والبلاغيّة المرادة منها، واتضح أنّها أصول نحَوية بلاغيّة كما أنّها عناصر تحَويليّة ، وهذا يفضي إلى الاستفادة من نظريّة التّوليد والتّحويل في دراسة التراكيب اللغويّة والمعاني الدلاليّة التي يخرج إليها التركيب بدخول عناصر التحويل، ويوظف المعاني النّحوية على أساس دراسة ائتلاف عناصر التركيب في نظام من العلاقات بغية الوصول إلى دراسة كليّة لنّظريّة النحو العربيّ.

الفصل الثالث

تفاعل النّحو والدّلالة

١-معنى النّحـــــــــــو.
٢-معنى الدّلالـــــــــــة.
٣-تفاعل النّحو والدّلالـــــــــة.
٤-النّظم تجاوز ثنائية اللفظ والمعنى.

تفاعل النحو والدلالة

تكشف النّظرة البلاغيّة أهمية ترابط أجزاء النّص وتعلقها في نظام يجمع عناصرها، وهذا يفضي إلى عقد الصّلة بين النّحو والدّلالة .ولم يتوقف بيان الأبعاد الدلالية للتّقديم والتّأخير والحذف والزّيادة على البلاغيين بَلْ سبقهم في الإشارة إلى دلالتها النّحاة، وتبين أنّ تّرتيب الألفاظ على غير ما وُضِعَت في التّركيب الأصل نابع من أغراض بلاغيّة تؤسس على مجموعة من العلاقات التي تصل بين مكونات النّص.

ولم يَغْفَلْ النّحاة، وخاصّة الأوائل منهم عن أهمية ارتباط النحّو بالمعنى ويدلّ على عنايتهم بهذه العلاقة أنهّم يربطون الخطوة الأولى في وضع النّحو العربيّ بخطأ في الإعراب :« إذْ يُحكى أنّ ابنة أبي الأسود الدؤليّ (٦٩ هـ) قالت له ذات يوم : ما أشدُّ الحرِّ، فقال لها : الرمضاءُ في الهاجرة يا بنيّة ،فقالت له: لَمْ أسألك، عن هذا، إنّما تعجبت من شدة الحَر، فقال لها : فقولي إذاً ما أشدّ الحرَّ ثم قال : إنّا للّه، فسدت السنة أولادنا، وهمّ أن يضع كتاباً يجمع فيه أصول العربيّة».(١)

إنّ تّركيب« ما أشدّ الحرّ» يفيد التّعجب مرّة، والاستفهام أخرى واختلاف المعنى يعود الى الحركة الإعرابيّة.وهكذا كانت الحركة الإعرابيّة مدار اهتمام النّحو العربيّ، مع أنّه لم يُغْفِلْ العناية بالمعنى، يقول سيبوية:« هذا باب مجاري أواخر الكلم في العربيّة، وهي تجري على ثمانية مجار: على النّصب والجر

---

١) الزجاجي- الإيضاح في علل النحو ص ٨٩ تحقيق: مازن المبارك دار النفائس- بيروت ط(٣) ١٩٧٩.

والكسر والوقف»(١)

ويمكن أن يتناول الباحث في نظريّة النحّو العربي طريقة الإعراب التقليديّة على أنّها خطوة في التّحليل إلى المكونات المباشرة، ولكن لا بد من توسيع هذه الخطوة وتتبع العلاقة بين مستويات التّركيب لحصر مجموعة الأنساق التي تتجاوز البعد الوصفي إلى المقياس الداخليّ للتّركيب، وذلك باكتناه العلاقة بين التّركيب ودلالته.إنّ الأساس في تصور التّركيب الدّلاليّ لا بد أن يستند إلى نّظرة تأخذ بالمبنى والمعنى، وأنّ الفصل بينهما يقود إلى فناء محتوم بين الشّكل والمضمون ممّا يؤدي إلى هدر ظاهرة النظم.

اتخذ النّحو مساراً جديداً على يد الجرجانيّ الذي أبرز الأبعاد الدّلاليّة بقوله:« واعلم أنّ غرضي في هذا الكلام الذي ابتدأته والأساس الذي وضعته أنْ أتوصل إلى بيان أمر المعاني، وكيف تتفق وتختلف، ومن أين تجتمع وتفترق، وأفُصّل أجناسها وأنواعها، وأتتبع خاصّها ومشاعها، وأبُيّن أحوالها في كَرَم منّصبها من العقل ».(٢)وبذلك احتكم النحّو إلى زاوية منهجية استطاعت توظيف البحث للكشف عن العلاقة بين التّركيب ودلالته والوقوف على عناصر الاتّصال العضويّ بين النحّو والمعنى، يقول الجرجانيّ:« واعلم أن ليس النّظم إلاّ أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها » (٣)

---

١) سيبوية- الكتاب ج(١) ص ٢٠.

٢) عبد القاهر الجرجانّي- أسرار البلاغة ص ١٩.

٣) عبد القاهر الجرجانّي- دلائل الإعجاز ص ٦٤.

فهذا النحّو البلاغيّ الذي أراده الجرجانيّ يكشف عن المعاني في ضوء العلاقات، وتبدو نظرة الجرجاني قادرة على تحقيق سلامة التّركيب وأداء المعنى . كلّ ذلك يتم من خلال علاقة الكلمة بالتي تليها على أساس النظم، فالأساس الذي يكفل المعنى هو النحو الذي يؤسس على علم المعاني.وفي هذا ملمح لحقيقة يلتقي عندها المستوى النحويّ والصّوتيّ والدّلاليّ، وتؤلف هذه المستويات منظومة يتحد فيها الشكل والمضمون.ويأخذ التّركيب تّرتيبا معينا، فإذا تغيّر هذا التّركيب تغيّر المعنى وقد يتغير التّركيب لأمر تحويليّ يقصد إلى إظهار عنّصر أوضح ومن غيره حتى يتركز عليه الانتباه.

ويكوّن البحث النّحويّ رافداً أصيلا في نظريّة النّظم عند الجرجانيّ ،وقد أعطى فهم الجرجانيّ للنحو بهذه الطريقه لوناً جديداً من الحياة التي تكشف عن أسرار النّص وتهدي إلى ألوانه النّفسيّة. فلا يتوقف النحو عند وضع القواعد التي تسهم في صّياغة الكلام الصحيح، ولكنّه يقوم باكتناه العلاقات القائمة بين أجزاء الكلام ويبين دور هذه الأجزاء من حيث الفاعليّة والمفعوليّة والابتداء والخبر، ويُعني بمتابعة الحركات الإعرابيّة التي يقتضيها النظام النحويّ، وبيان أثر القرائن اللفظية والمعنوية في المعنى، ويصف صّياغة عناصر الجملة من حيث أصولها وقواعدها.

تبدأ فكرة النظم باختيار المعنى المراد التعبير عنه والدلالة التي تناسبه ثم تناول المبدع هذا المعنى بطريقة مناسبة من حيث اختيار التّركيب النحويّ ثم إخراجها في نظام من العلاقات المبنية على الوحدات الصّرفية والألفاظ التي

تؤلف البناء السطحيّ ممّا يؤدي إلى تّقديم المعنى المراد التعبير عنه . وتدرس الجملة في سياق المستوى النحويّ في مظاهر أبرزها:

الأول : بنية الجملة وتوزيعها التّوليديّ أو التّحويليّ.

الثاني: الكشف عن الدّلالة التي تقدمها البنية التوليديّة أو التحويلية.

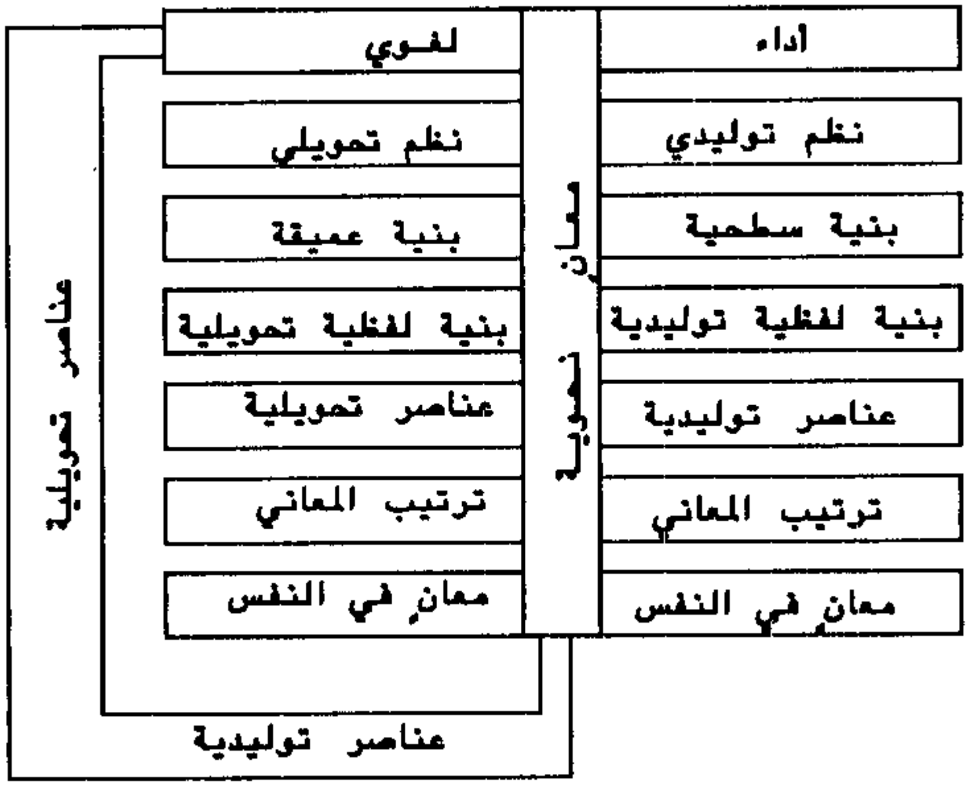
الثالث: المعاني النحوّية مثل الابتداء والخبر والفاعلية وتأليف الكلمات في جمل.

الرابع: القرائن التي تسهم في توضيح المعنى النحويّ مثل العلامة الإعرابيّة والتّلازم والموقعيّة والصيغة.

وبذلك يتضح أنّ المستوى النحوي يعنى بتّرتيب الوحدات اللغويّة داخل الجملة وائتلاف الدوال التّركيبيّة وتوزيعها في أسلوب مناسب.

وتؤسس المعاني النّحوية على تفاعل قوانين النّحو والبلاغة، فهي القانون الأساسيّ الذي ينبغي أنّ يتحقق في كلّ نظم وتؤلف قاعدة كليّة تصدر عنها فكرة النظم الجرجانية. ويبدأ النّظم بالمعنى الدّلالي المراد التّعبير عنه، وهذا المعنى أحد قسمين: توليديّ أو تحويليّ، والسياق يتطلب القسم الذي يناسبه، فالمعنى يتصل بالبنية السطحية إذا كان توليديا، و يقتضي البنية العميقة اذ كان تحويليا، فترتيب الفكرة بالنّفس يأتي من القدرة الداخلية على صّورة مَعَانٍ في النّفس ،ويُحّول المبدع هذه المعاني الى بنية منطوقة أو مكتوبة باختيار اللفظ المناسب لهذه المعاني وفق طريقة النظم المخصوصة، ويكون الأداء هو الصّورة النهائية للنظم. وتبدو هذه الفكرة جلية في اكتناه ما يقوله الجرجاني :

«وأمر النظم في أنّه ليس شيئا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم وأنك تُرتِبُ المعاني أولاً في نَفسك، ثم تحذو على تَرتيبها الألفاظ في نطقك»(١) ومما يؤكد أنّ قوانين النحو هي تفاعل لقوانين النحو والبلاغة قول الجرجاني:« ليس الفضل للعلم بأنّ الواو للجمع ، والفاء للتعقيب بغير تراخ...ولكنْ أنْ تحُسِنَ التخيّر، وأن تعرف لكلّ من ذلك موضعه»(٢) والشكل التالي يوضح فكرة المعاني النحوية عند الجرجاني في ضوءالتوليد والتحويل :



---

١)عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز ٣٤٩.

٢) عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز ١٩٣.

هذه النّظرة تفضي الى دراسة المعنى من حيث علاقته بالمعاني النّحويّة في ضوء ما يحدث على الجملة من تغيّرات، وهكذا تستطيع الدراسة اللغويّة توسيع قاعدة المعاني النحوية بتوجيه تقسيمات النّحاة في سياق المعنى وما تقدّمه الدراسة البلاغية من امتحان دلاليّ للتّركيب، فالعلاقات التي تربط بين الكلمات متعادلة في نظمها الذي يحقق المعنى ،وتّرتيب الكلمات يبني على نسب يتحكم بها أسلوب التعبير المتبع ، وتتفاعل قوانين النّحو والدّلالة وفق مبدأ الاختيار وتوزيع المفردات في ضوء فاعلية السّياق، هكذا إذن يؤسس التّركيب على شبكة من العلاقات المتفاعلة في تأصيل البنية الأساسية ويقوم النّظم بتوجيه الكلمات في ضوء معناها الدّلاليّ.

معنى النّحو:

عرّف ابن جني النّحو بقوله:«هو انتحاء سَمْت كلام العرب ، في تصرّفه من إعراب وغيره، كالتثنية ، و الجمع ، والتّحقير، والتّكسير والإضافة ، والنّسب والتّركيب ، وغير ذلك، لِيلْحَقَ من ليس من أهل اللغة العربيّة بأهلها في الفصاحة، فينطق بها ، وإنْ لم يكن منهم، وإنْ شذّ بعضهم عنها رُدّ به إليها »(١) ولعلّ تعريف ابن جني للنّحو يعدّ شاملا ومناسبا لأصول النّحو في علم اللغة الحديث ، فهو يوضح قوانين التّركيب في ضوء العلاقات الجمليّة مما يظهر إحساسا بوظائف النحو العربيّ.

---

١) ابن جني- الخصائص ج(١)ص٣٤

وتنبه ابن جني الى المقاييس النّحويّة: «وهي ضربان أحدهما معنويّ والآخر لفظيّ. وهذان الضربان وإنْ عمّا وفَشَوَا في هذه اللغة فإنّ أقواهما وأوسعهما هو القياس المعنويّ»(١)

وتتسع دائرة النّحو عند السكاكي لتشمل العلاقة بين النّحو والمعنى، يقول:«اعلم أنّ النّحو هو أنْ تنحو معرفة كيفية التّركيب في ما بين الكلم لتأدية أصل المعنى مطلقا، بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب وقوانين مبنية عليها، من حيث تلك الكيفية»(٢)فالأصل في التّركيب أن يكون على كيفية ونظام معين، يستطيع أنْ يؤدي المعنى ومدار أمر التّركيب هو حقيقة المعنى.

وهكذا يتّضح أنّ النّحو عناية بالجانب التّركيبيّ الذي يفضي إلى أداء المعنى المراد، وهنا ملحظ ينبغي الإشارة إليه«أنّ اهتمام البحث النّحوي بالجانب الإعرابيّ أكثر من الاهتمام بمكونات المعنى النّحويّ الأخرى التي تشارك الإعراب في بيان المعنى وإزالة الغموض، ولم يكن اهتمام النّحاة بالإعراب أكثر من غيره من القرائن الأخرى المشاركة في المعنى النحويّ من جهة فكرة العامل وحركة أواخر الكلمات، وعلى الرغم من دراسة العوامل الأخرى المشاركة في المعنى النحويّ مثل موقع الكلمة من التّركيب(الرتبة) ومطابقة الضمائر بعضها لبعض (التّطابق) إلاّ أنهّا لم تُدرس جميعها داخل إطار نظريّة متكاملة تبحث في إيضاح

---

١) ابن جني- الخصائص جـ(١)ص١٠٩.

٢) أبو يعقوب السكاكيّ- مفتاح العلوم ص ٣٧.

المعنى، ولكنّها دُرِسَت متفرقة داخل المباحث النحويّة المختلفة مما لم يُعْطها الأهمية التي يجب أنْ تأخذها »(١) ومن هنا نرى أنّ الدّراسة النحويّة لا بدّ أنْ تتسع لتشمل دراسة التّركيب على مستوى المعاني النّحويّة وكلّ ما له صلة بالهيئات التّركيبيّة في سياق فكرة العلاقات، وما يطرأ على التّركيب من تحولات ترتبط بالمعنى.

فالنحو حكم يستخرج من مقاييس كلام العرب ويتصف باطّراد القياس الذي أسلم النّحو العربيّ الى المبادئ التنظيميّة التي كانت موضوع جدل،ولهذاقيل في حدّ النحو:« علم بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب، فَمَنْ أنكر القياس فقد أنكر النّحو ولا نعلم أحداً من العلماء أنكره لثبوته بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة».(٢)

ومما يؤكد هذه القاعدة نظرة ابن عصفور للنحو يقول:«النّحو علم مستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب ، الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي يأتلف منها فيحتاج من أجل ذلك الى تبيين حقيقة الكلام، وتبيين أجزائه التي يأتلف منها وتبيين أحكامها».(٣)

---

١)محمد صلاح الدين مصطفى-النّحو الوصفيّ من خلال القرآن الكريم جـ(١)ص ٧٠ مؤسسة علي جراح الصباح- الكويت.د.ت

٢)ابن الأنباريّ-الإعراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة ص٩٥ تحقيق: سعيد الأفغاني، بيروت ط (٢) ١٩٧١

٣)ابن عصفور- المقرّب جـ(١) ص ٤٥ مطبعة العاني، بغداد . تحقيق أحمد عبد الستار الجواري وعبدالله الجبوري ١٩٧١.

فهذه النّظرات تشير الى أنّ النّحو العربيّ الذي سار معياريًا كان يحمل في داخله البعد الوصفيّ للظاهرة اللغويّة، ولعلّ هذه النّظرات تلتقي مع أحدث ما بلغ إليه النّحو الوصفيّ ،يقول مهدي المخزوميّ:« ليس من وظيفة النحويّ الذي يريد أن يعالج نحواً للغة من اللغات أنْ يَفْرِضَ على المتكلمين قاعدة، ووظيفة النحويّ أن يسجل لنا ملاحظاته، ونتائج اختباراته في صّورة أُصول وقواعد تمليها عليه طبيعة هذه اللغة ،واستعمالات أصحابها، وأنْ يصف لنا- مثلا- ما يطرأ على الكلمة ، أو الجملة وأوضاعها المختلفة »(١)

وهكذا احتكمت المدرسة الوصفيّة إلى وصف الظاهرة اللغويّة كما هي مستغنية عن المعنى، وأفضى الاكتفاء بالعناصر الشكليّة إلى فقدانها القدرة على توجيه الظاهرة اللغويّة من الداخل وفق امتحان دلاليّ يجلو أبعادها، ولكنّ المعياريّة لم تُغْفِلْ فكرة المعنى بإعادة التّركيب إلى المقاييس التنظيميّة وكانت فكرة المعنى نقطة التقاء بين المعياريّة والتّحويليّة.

ويقف ابن خلدون على تأسيس القاعدة النحويّة وعلاقتها بالدلالة بقوله:«فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطّردة، شبه الكليات والقواعد ، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشباه... ثم رأوا تغيّر الدّلالة بتغيرحركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعرابا ».(٢)

---

١) مهدي المخزوميّ- في النحو العربيّ نقد وتوجيه، ص ١٩ نشر: المكتبة العصريّة ط(١) ١٩٦٤.

٢) ابن خلدون- مقدمة ابن خلدون جـ(١)ص ٥٤٦ دار إحياء التراث -بيروت ط(٤).د.ت

ويتضح من نّظرة ابن خلدون أهمية وصف اللغة واستقراء قوانينها وتّحليل الكلام العربيّ وإبراز قواعده الكلية وعلاقتها بالدلالة.

أمّا الدراسات اللغويّة الحديثة «فإنّها تفهم مهمة النحو على أنّه البحث في خواص الجملة، ووظائف المفردات من خلالها، فالبحث في الجمل من حيث تاليفها، وعلاقات كلماتها ، ثم وسائل التعبير عن هذه العلاقات من أهم مباحث النحو في العصر الحديث».(١)ويرى إبراهيم مصطفى «أنّ النحو هو قانون تاليف الكلام، وبيان لكل ما يجب أنْ تكون عليه الكلمة في الجملة، والجملة مع الجمل، حتى تتسق العبارة ويمكن أن تؤدي معناها »(٢) ومن الواضح أنّ المستوى النحويّ :«يبحث في تشبيد النّص وبناء الجمل ، وكذلك صيغة الأفعال وزمنها، الأصوات، النبرات، وظائف اللغة في النّص ... كلّ ذلك موجه نحو تّركيبة النّص الموحدة »(٣) ويعرف فردينان دي سوسير النّحو بقوله :« إنّ النحو وبحسب التعريف الأكثر شيوعا- أي نظريّة تجمعات الكلمات ، يدخل في التّركيبيّة ، لأنّ هذه التجمعات تفترض دائما- وحدتين على الأقل موزعتين، إنّ كلّ وقائع التّركيبية لا تصنّف في النحو في حين تنتمي كل وقائع النّحو إلى التّركيبيّة»(٤)

---

١)ياسر الملاح- النّظام النّحوي في اللغة العربيّة ص ٣٢ نشر: جامعة القدس ط(١) ١٩٨٣.

٢)ابراهيم مصطفى- إحياء النّحو ص (١) مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٣٧.

٣)عزة اغا مالك – الأسلوبيّة من خلال اللسانيّة ص ٩٣ الفكر العربي المعاصر العدد ٣٨ اذار ١٩٨٦.

٤)فردينان دي سوسير- محاضرات في الألسنية العامة ص١٦٥.

إنّ مفهوم النحو عند الجرجانيّ أوسع من المفهوم الذي قدّمته هذه النظرات الحديثة التي قصرت مفهومه على عدد قليل من المستويات، ولكنّ النحو الجرجاني شامل لجميع الوظائف التّركيبيّة التي جاءت في النظرات السابقة، ينضاف إليها إدراك لعلاقة المبدع بالنّص والنّحو الجمالي وكشف المعاني الإضافيّة وتّحليل ما توحي به الألفاظ من خلال العلاقات، وما يقدّمه السّياق، ويتضمن عناصر الاختيار والموقعية والتوزيع والمطابقة.

فقد أراد الجرجانيّ توسيع قاعدة النّحو على أساس من النّظم الذي يشتمل على مستويات متعددة من نحو المعاني ، فرأى أنّ النّحو قام على أساس من نظريّة العامل فتهدي إلى توجيه النّحو توجيهاً دلالياً ، فقال:« إنّ الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها، وإنّ الأغراض كامنة فيها، حتى يكون هو المستخرج لها ، وأنّه المعيار الذي لا يُتَبينّ نقصان كلام ورجحانه حتى يُعرض عليه، والمقياس الذي لا يُعرف صحيح من سقيم حتى يرُجع إليه، ولا يُنْكِرُ ذلك إلاّ من يُنْكِر حسه، وإلاّ من غالط في الحقائق نَفسه».(١)فالنّحو عند الجرجانيّ قادر على الكشف عن أسرار التراكيب وبيان معانيها والعلاقة بينها، وهذا لا يعني أنّ النّحو قبل الجرجانيّ كان قاصراً عن إدراك المعنى، ولعلّ في مباحث التّقديم والتّأخير والحذف ما يدلّ على أنّ النّحو قد تلمس المعاني التي تحكم ظاهرة التّركيب ، ولكن دور الجرجانيّ برز في توسيع قاعدة المعنى الدلاليّ وإرساء النّظم وجعله الأساس في الحكم على النّصوص.

---

١) عبد القاهر الجرجاني– دلائل الإعجاز ص ٢٣–٢٤

ومن المحقق أنّ:« النّحاة حين قصروا النّحو على أواخر الكلمات وعلى تعرف أحكامها قد ضيقوا من حدوده الواسعه، وسلكوا به طريقا منحرفة، إلى غاية قاصرة، وضيقوا كثيراً من أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارة، فَطُرُقُ الإثبات، والنفي، والتأكيد والتّقديم، والتأخير ، وغيرها من صور الكلام قد مروا بها من غير درس ، إلاّ ما كان منها ماساً بالإعراب، ومتّصلا بأحكامه ، وفاتهم لذلك كثيرٌ من فقه العربيّة ، وتقدير أساليبها ».(١)

أمّا عبد القاهر الجرجانيّ فقد « اهتم بالنّحو لا لذاته ولا لإعرابه، ولا لتحديد أنواعه وكلماته، بل لوضعه وتّرتيبه من تّقديم وتأخير، وتمييز وتّوكيد، ومن هنا تنقلب هذه العلل نُكتاً بلاغيّة تستحق أن تدرس على أنها بلاغة، وتتخذ لها مكانا خاصّاً بها لتُحتَسَبَ في باب العِلْميّة ، وتدون تحت أسم علم المعاني».(٢)

وفكرة النّحو عند الجرجانيّ نابعة من تصور النّحو على أنّه نظام باطني عميق يصدر عنه مجموعة من التّحولات التّركيبيّة، فقد تجاوز النحو الجرجانيّ معيار الصواب و الخطأ ليكشف علاقة العناصر الدّلاليّة وقدرتها على التأثير الدّلاليّ مما يسهم في معرفة الفروق بين التّراكيب، يقول الجرجانيّ :«وذلك أنّ العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلّهم وليس هو مما يستنبط بالفكر ويستعان عليه بالرّوية، فليس أحدهم بأنّ إعراب الفاعل الرفع أو المفعول النّصب،والمضاف

١) ابراهيم مصطفى- إحياء النحو ص ٢-٣

٢)ابراهيم سلامة- بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ٣٦٥ نشر: مكتبة الأنجلو المصريّة ط(٢) ١٩٥٢.

إليه الجر بأعلم من غيره ».(١)

وقد تنبه يوسف بكار إلى سبق النّقد القديم في إدراك جمال اللغة وصحة استخدامها ، يقول:« حرص النّقاد القدماء على أن تستعمل اللغة استعمال صحة واستعمال جمال فكان نقدهم لغة الشّعر نقد صحة ونقد جمال أيضا »(٢).

وهكذا يتّضح أنّ :«النّحو عند عبد القاهر لا يقصد الإعراب ولا اللغة، وإنّما يقصد (النّحو الجمالي) - إن صحّ هذا التّعبير - وهذا النّحو لا يهدف الى موضع الفاعليّة أو المفعوليّة مثلاً ، إنّما يهدف إلى موجبهما، وبعيد عن ذهن (عبد القاهر) أنْ يبدّد كلّ جمال في سبيل هذا النّظم المبني على مقتضيات علم النّحو، كالجمال اللغويّ، والجمال المعنويّ، والجمال التّصويريّ المبني على الاستعارة والتشبيه، إنّما يريد منك مع إقراره بهذا الجمال الراجع الى عدة نواح في البلاغة، أنْ تراعي معه النظم وأنْ تجعل الفضل له في النهاية، لأنّ مزية النظم تفوق كلّ المزايا الجماليّة»(٣) .

وقد تجاوز النّحو عند الجرجانيّ القاعدة النحويّة إلى معناها الجماليّ، وأصبحت القاعدة دلالة تفضي الى المعنى المستفاد من النّظم مما يمّيز مستويات الكلام في صحة نظمها وما يتوافر لها من ملامح بيانيّة.وتشبه وظيفة النّحو في علم اللسان الحديث وظيفته عند الجرجانيّ فالنّحوهو دراسة الظاهرة اللغويّة دراسة شاملة تستغرق الأبعاد الشكلّية والدّلاليّة : «ويجب أنْ لا ننظر الى

١) عبد القاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٣٠٢

٢) يوسف بكار- الوجه الآخر دراسات نقديّة ص ٢١ دار الثقافة- الدوحة ط(١) ١٩٨٥.

٣) ابراهيم سلامة - بلاغة ارسطو بين العرب واليونان ص ٣٦٢.

النّحو على أنّه مجرد طريقة لإعراب الكلمات... لتفتيت الجمل إلى أجزاء ثم إعادة تصنيفها وإنّما لا بد أنْ يُنْظَرَ إليه باعتباره وسيلة نحو التّفسير النهائيّ لتعقيدات التّركيب اللغويّ، فإذا نظرنا إليه تلك النّظرة الخلاقة .فسيصبح أكثر معنى وقيمة».(١)

«وإذا كان عِلْمُ الأصوات يكشف عن وظيفة الصّوت، وكان عِلْمُ التّشكيل الصّوتي يكشف عن وظيفة الحرف، والموقع، والمقطع، وكان الصّرف يكشف عن وظيفة الصّيغة واشتقاقها وتصريفها، فإنّ النّحو يكشف عن وظيفة الباب * ، فتجده يُعنى بدراسة الأبواب النّحويّة، وبيان الوظائف المنوطة بكلّ باب منها في السياق»(٢) فالنّحو يهتم« ببيان مهمة الصيّغ في التّركيب فهو يدرس الأبواب النّحويّة في التّراكيب ، ووظيفة كلّ باب، إنّه يحدد إذا ما كانت هذه الجملة اسميّة أو فعليّة»(٣)

وسر الإعجاز عند عبد القاهر الجرجانيّ يعود إلى معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، ويأتي النّحو عنده معنى واسعا يشتمل التّعريف والتّنكير،والتّقديم والتّأخير، والفصل والوصل، يقول:« إنّ طالب دليل الإعجاز من نظم القرآن إذا هو لم يطلبه في معاني النّحو وأحكامه ووجوهه وفروقه، ولم

---

١) دافيد كريستل- التعريف بعلم اللغة ص ١٢٠-١٢١ ترجمة: حلمي خليل ،الهيئة المصريّة العامة للكتاب ط(١) ١٩٧٩.

٢)تمام حسان- اللغة بين المعياريّة والوصفيّة ص ١٢١-١٢٢دار الثقافة- الدار البيضاء،د.ت.

٣) محمد صلاح الدين مصطفى- النحو الوصفيّ من خلال القرآن الكريم، جـ(١)ص (٢٩)

* يقصد باب الفاعلية أو المفعوليّة أو الإضافة (انظر : تمام حسان- اللغة العربيّة معناها ومبناها ص ٧٨).

يَعْلَمْ أنّها معدنه وموضعه ومكانه، وأنّه لا مستنبط له سواها، والأوجه لطلبه فيما عداها- غارّ نفسه بالكاذب من الطمَع، ومُسلِّم لها إلى الخدع ».(١)يظهر الجرجانيّ في هذه الفكرة أهمية المعاني النحويّة في الإعجاز، فمرد المزية واستحسان النّظم في الأسرار الجماليّة التي تقدّمها المعاني النحويّة.

وتؤلف المعاني النّحويّة المنطلق الأساسيّ في النّظم فهي أساس التّرابط الذي يضع الألفاظ في مواضعها حيث تتحد عناصر التركيب في تناسق يتوخى جمال التعبير البيانيّ ،يقول الجرجانيّ:« واعلم أني لست أقول : إن ألفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة أصلاً ولكني أقول: إنّه لا يتعلق بها مجردة من معاني النّحو، ومنطوقا بها على وجه لا يتأتى معه تقدير معاني النّحو وتوخيها فيها ».(٢)

ويعدّ النّحو عند الجرجانيّ حجر الزاوية في تنظيم البنية الأسلوبيّة وفق مقياس الحسن البيانيّ وما يعتري التّركيب من خطأ، فإنّ مرّد المعالم البيانية يناط بأحكام النّحو لما لها من أثر في قاعدة النّظم عند الجرجانيّ، يقول:«وإذا ثبت أنّ الفساد والاختلال ناجمان عن مخالفة قواعد النّحو وأحكامه ثبت كذلك أنّ الالتزام بتلك القواعد في الكلام، وتّرتيب الألفاظ وفقا لها هو مناط المزية والفضل »(٣)

---

١) عبد القاهر الجرجانيّ – دلائل الإعجاز ص ٤٠٤.

٢) عبد القاهر الجرجانيّ– دلائل الإعجاز ص ٣١٤.

٣) عبد القاهر الجرجانيّ– دلائل الإعجاز ص ٨١–٨٤.

ويقرر سمير ستيتية أنّ المعاني النّحويّة عند الجرجانيّ تؤلف وسيلة قادرة على تّحليل النّص واكتناه أبعاده، يقول:« والحق أنّ الجرجانيّ تجاوز مرحلة النّظر في أحكام النّحو باعتبارها قوانين مجردة، إلى مرحلة النظر في هذه الأحكام باعتبارها أدوات لتّحليل النّص الأدبيّ . وفهم الأسلوب، ومع ذلك فهو لم يرفض المصطلحات والمفاهيم النحويّة ، بَلْ اعتبرها جميعا أدوات ووسائل لتّحليل الكلام وفهمه بصّورة أفضل وأعمق »(١)

وقد وقف علماء اللغة المعاصرون على معاني النّحو فاظهروا أهمية المميّز النّحوي في إزالة اللّبْس:« فالمميّز النّحويّ رمز في غاية الإيجاز يحول دون اختلاط المعاني ويمنع الالتباس ويُصنّفُ المفردة المضبوطة بالحركة في باب من أبواب النّحو».(٢)

وهكذا يبدو أنّ النظرة إلى المميّز النحويّ وقفت عند تصنيف المفردة في باب نحويّ كالفاعلية أو المفعولية وبينت قيمة الحركة الإعرابية في إزالة اللّبْس ولكنها وقفت عند المستوى الأوليّ للنحو وهو البعد الوصفي الذي لابد من اختراقه لتّحليل مستويات النظام اللغوي.

وبيّن نايف خرما أهمية المعاني النّحويّة في إبراز معنى الجملة:« وتعتبر الجملة في نظر أنصار المدرسة السلوكيّة علاقات أفقية، تتآلف من شريط أو

---

١) سمير ستيتية- منهج التّحليل اللغويّ في النّقد الأدبيّ، ص ٢٤٨مجلة اداب المستنصريّة، العدد السادس عشر ١٩٨٨.

٢) ريمون طحان- الألسنيّة العربيّة ج(٢) ص ١٣.

مسلسل من الكلمات المصفوفة بعضها بجانب بعض ،وأنّ معنى تلك الجملة يتألف من معاني المفردات بالإضافة إلى العلاقات الأفقيّة الظاهرة.بينها والتي تنظمها قواعد اللغة ».(١)

ويوضح نهاد الموسى معنى النّحو عند التّحويليين بقوله:«يراوح التحويليّون ، في تعريف النحو ، بين مترادفين : أولهما أنّ النّحو نظام من الأحكام قائم في عقل أهل اللغة، يُكتَسبُ في الطفولة المبكرة عادة، ويُسخّر لوضع أمثلة الكلام المنطوق وفهمه، والثاني: أنّ النّحو نظريّة يقيمها اللغويّ مقترحا بها وصفا لسليقة (Competence)المتكلم».(٢)

فهذه اللفته اللطيفة في اكتناه أسرار النّحو عند التّحويليين، تفضي بنا الى القول إنّ معاني النّحو عند الجرجانيّ لا تبتعد عن نظرة التّحويليين، فقد نظر الجرجانيّ إلى المعاني النحويّة على أنّها أساس في توليد الدّلالات، فهي تؤثر في صّياغة التّراكيب وتتفاعل مع المعنى ومعنى المعنى وتقف على المعاني النفسيّة ومطابقتها لمقتضى الحال.وبهذا الإدراك لمفهوم النّحو عند الجرجانيّ والتّحويليين نستطيع القول: إنّ النّحو الوصفي مرحلة من التّحليل النحويّ لا بد من تجاوزها لأنّها تقف عند البعد الشكليّ للظاهرة اللغويّة.

يقول محمود السعران :« يري أغلب اللغويين أنّ التّحليل النّحويّ

---

١) نايف خرما- أضواء على الدراسات اللغويّة المعاصرة ص ١٣٩.

٢) نهاد الموسى- نظريّة النّحو العربيّ في ضوء مناهج النّظر اللغويّ الحديث ص ٥٢.

(Grammatical Analysis) ينبغي أنْ يكون شكليّاً (Formal) إذا أُريد أنْ يكون جزءاً صالحاً من الدّراسة اللغويّة الوصفيّة(Descriptive Linguistics)» (١) .

فالنّحو الوصفيّ الذي يهتم بالبناء السطحيّ للظاهرة اللغويّة لا يكفي لرصد المستويات الدلاليّة للتّركيب،ولذلك لا بد من اختراق هذا المستوى إلى القدرة العميقة المتعلقة بالبنية التّقديريّة والأبعاد الداخليّة للظاهرة اللغويّة.

ويّتضح من هذا أنّ النحو:« مجموعة القوانين الكلّيّة التي تَنْتَظِمُ تركيب الكلام، وتكفل التّمييز بين الخطأ والصواب في الاستعمال اللغويّ، ولا يقتصر النّحو في العُرْف الحديث على البحث في وسائل الإعراب ومشكلاته، وإنّما عليه أنْ يأخذ في الحسبان أشياء مهمة كالموقعيّة والارتباط الداخليّ بين الوحدات المكوّنة للجملة أو العبارة، وما إلى ذلك من وسائل لها علاقة بنظم الكلام وتأليفه».(٢)

ويتوقف فَهم المعاني النحويّة عند الجرجانيّ على نظام العلاقات البنائيّ الذي يتّصل بالتّرتيب والاختيار والتوزيع والإسناد ومجموع هذه العناصر مُتحصّل في نظريّة النظم.وأنّ النحو عند الجرجانيّ يتصل بالنّظم من حيث الشّكلّ والمضمون وهو ميدان دراسة النّص دراسة أسلوبيّة جماليّة، ويأتي تّحليلاًللنظام اللغويّ بالكشف عن أبعاد النّص، وتبيان وظيفة الحركة الإعرابيّة من خلال العلاقة بين المبنى والمعنى، وأثر عناصر البلاغة في إدراك الجوانب

---

١) محمود السعران- علم اللغة مقدمة للقارئ العربيّ ص ٢٢٩ دار النهضة العربيّة للطباعة والنشر- بيروت.

٢)هادي نهر- الدراسات اللغوية عند العرب المعطيات والمآخذ - ص١٣٨-١٣٩ مجلة آداب المستنصرية العدد(٣) مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٨م.

الدّلاليّة المرتبطة بمعنى المعنى.

ويقتضي توجيه النّص وفق ظاهرة الإعراب النّظر إلى الإعراب على أنّه مفتاح لتّفسير النّص والكشف عن معناه، وأنّه قرينة تتضافر مع مجموعة القرائن الدلاليّة، وتتفاعل معها في تكوين العمل الفنيّ، وبهذا يكون النّحو عند عبد القاهر أوســع من المفهوم المتعارف عليه عند النحاة، فهو يشمل مراعاة أواخر الكلمات من حيث الإعراب والبناء وتركيب الجملة وفق مقتضيات المعنى، ويكشف الخواص التّركيبيّة للعبارة، ويشتمل قوانين علم المعاني من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير، وذكر وحذف، وفصل ووصل الى غير ذلك من القوانين البلاغيّة، ويسهم النظم في إدراك القيم الجماليّة لكلّ ضرب من هذه الأصناف التي تؤلف طريقة بناء التّركيب اللغويّ وفق المعنى الذي أريد له ، ويتضمن تنظيم موقع الكلمة في الجملة، فالصّياغة الأدبيّة لها أثر في توجيه علاقة المعنى بالعمل الأدبيّ.

معنى الدّلالـــــــــة :

عرّف الشريف الجرجانيّ الدّلالة بقوله:« الدلالة هي كون الشئ بحالة يلزم من العلم به العلمُ بشئ آخر والشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول، وكيفيّة دلالة اللفظ على المعنى، باصطلاح علماء الأصول محصّورة في عبارة النّص وإشارة النّص واقتضاء النّص».(١)والتفسير الدّلالي يتعلق بدراسة العلاقات

---

١) الشريف الجرجانيّ (علي بن محمد)، التعريفات ص ١٠٤،مكتبة لبنان- بيروت ط (١) ١٩٨٣.

النحويّة بين المفردات اللغويّة، يقول عدنان بن ذريل:« والتفسير الدلاليّ ينصب على العلاقات النحويّة، المحددة في البنية العميقة،ولكنه يمكن الإفادة فيه من بعض الخصائص على بنية السطح».(١)

ونرى أنّ التفسير الدلاليّ يتناول البنية بنوعيها ، وأنّ البنية السطحية هي تمثيل وظيفيّ يقدّم رمزاً عن المعاني المجردة الذهنيّة،ويؤدي إلى توضيح البنية العميقة، وقد أشار عادل فاخوري الى أنّ المعاني تسبق التّركيب النحويّ، فقال:« لما كان تركيب المعنى يسبق التّركيب النحويّ أو البنيويّ، نَجَمَ عن ذلك مَطْلَبٌ أوليّ، وهو أنّ الجمل المتلازمة يجب أنْ تتساوى في التمثيل الدلاليّ النّحويّ».(٢)ومع أنّنا لا نوافق على النتيجة التي توصل إليها فإنّنا نوافق الافتراض الذي ذهب إليه ، وهو أنّ تركيب المعاني يسبق التّركيب النّحويّ، وقد سبق الجرجاني إلى هذا عندما قال :« وأمّا تنظيم الكلم فليس الأمر فيه كذلك ، لأنّك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها حسب تّرتيب المعاني في النّفس».(٣) فالأصل في النّظم والتركيب النّحويّ المعنى، ثم تأتي التّراكيب لتأدية المعنى، ولا يعني هذا الفصل بين الفكر واللغة ولكنّه رصد لعلاقة التّلازم بينها.

---

١) عدنان بن ذريل- اللغة والدّلالة ص ٧٥ م: دمشق، ١٩٨١.

٢) عادل فاخوري- اللسانيّة التوليديّة والتّحويليّة ص ٦٤ منشورات: لبنان الجديد، بيروت ط (١) ١٩٨٠.

٣)عبد القاهرالجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٤٠.

ويُعرّف ليونز الدّلالة « بأنّها دراسة المعنى »(١) والتعريف الذي نرتضيه للدّلالة هو أنّها دراسة المعنى العميق المرتبط بالبنية التّحويليّة المجردة، والمعنى كما يُعرّفه ستيفن أولمان هو :« علاقة متبادلة بين اللفظ والمدلول، علاقة تُمكّن كلّ واحد منهما من استدعاء الآخر »(٢)وعلى هذا تكون علاقة ارتباطيّة بين اللفظ والمدلول، فكلّ منهما يذكر بالآخر بسبب هذه الصّلة بينهما.

ونفذ ثعلب إلى ملحظ دلاليّ يتعلق بالأنماط الأسلوبية للشعر، فقرّر أنّ «قواعد الشّعر أربعة : أمر ونهي وخبر واستخبار »(٣) وكان هذا الملحظ الذي فطن إليه من الملاحظ الأساسيّة التي أقام البلاغيون عليها تفسيرهم البلاغيّ.

وخصص ابن فارس فصلاً في كتابة« الصاحبي » سماه« باب معاني الكلام » يقول فيه :« وهي عند أهل العلم عشرة: خبر واستخبار، وأمر ونهي، ودعاء وطلب، وعرض وتحضيض، وتمنّ وتعجُّب »(٤)ومن الواضح أنّ نظرة ابن فارس تدرج في النّظرة الدّلالية التي أشار إليها ثعلب في تأسيس قواعد الشّعر في ضوء المعنى.

ولنا بعد هذا أن نعود إلى الجاحظ الذي تنبّه إلى الفروق الدّلاليّة في استخدام بعض الألفاظ، يقول:« وقد يستخف النّاس ألفاظاً ويستعملونها

---

١) عدنان بن ذريل- اللغة والدّلالة ص ٥١ وينظر : أحمد مختار عمر - علم الدّلالة ص ١١ مكتبة دار العروبة- الكويت ١٩٨١م.

٢)ستيفن أولمان- دور الكلمة في اللغة ص ٩٤ ترجمة: كمال بشر، القاهرة ١٩٧٥م.

٣) أبو العباس ثعلب- قواعد الشعر، ص ٢٥ تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي،نشر: مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر ط (١) ١٩٤٨م.

٤) ابن فارس- الصاحبي في فقه اللغة ص ١٧٩.

وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أنّ الله تبارك وتعالى- لم يذكر في القرآن الجوع إلاّ في موضع العقاب أوفي موضع الفقْر المدقع والعجز الظاهر والنّاس لا يذكرون السّغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة »(١) وبهذا تتّضح أهمية الإستخدام الدقيق للمعنى في مكانه اللائق به تحقيقاً للنّظم على هيئة تأخذ بمعيار الدلالة على أنّه تحكم بفكرة النظم على وجه مخصوص.

وعقد ابن جني فصلا خاصًا في (الخصائص) يبين العلاقة بين الألفاظ ودلالاتها سماه (باب تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني).(٢)يقول: « فإنْ أمكنَكَ أنْ يكون تقدير الإعراب على سَمْت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه، وإنْ كان تقدير الإعراب مخالفاً لتفسير المعنى تَقبلْت تفسير المعنى على ما هو عليه، وصَحّحت طريق تقدير الإعراب، حتى لا يَشُذّ شيء منها عليك»(٣) بهذا يُفسر ابن جني العلاقة بين النّحو والدّلالة فكلاهما يقتضي الآخر اقتضاء تلازم فلا بد من التناسب بين النّحو والدّلالة وفق المقام وما يقتضيه التّركيب من إحكام النّظم وإنْ انحرف أحدهما عن التلازم رُدّ بلُطْف الصّنعة.

وأبان الجرجانيّ عن الغرض الذي يتوخاه متكلم اللغة فرأى أنّه التّعبير عن الغرض وما تؤديه الألفاظ من معنى، يقول:« إنّ الناس إنّما يُكلم بعضهم بعضاليعرف السامع غرض المتكلم ومقصوده».(٤)ومردُّ المَزيّة في النّظم عند

---

١)الجاحظ- البيان والتبيين جـ(١) ص ٢٠.

٢)ابن جني- الخصائص جـ ٢ ص ١٥٢.

٣)ابن جني الخصائص جـ(١)ص ٢٨٣-٢٨٤.

٤)عبد القاهرالجرجاني-دلائل الإعجاز ص ٤٠٨ .

الجرجانيّ «تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام ثم بحسب موقع بعضها من بعض واستعمال بعضها مع بعض».(١)

ويخلص درويش الجندي إلى أنّ:« المعنى الذي جعله عبد القاهر محوراً للنّظم ، هو المعنى الصّوريّ أو المعنى المصوّر، فالمعنى الذي هو جوهر الكلام عنده، والذي تُنْسَبُ إليه مَزِيّةُ النّظم ليس هو المعنى الغُفْل الخام، وإنّما هو المعنى الذي تَشَكلّ في النّفس بشكلّ خاصّ، ونُظِمَ فيها نَظْماً خاصاً، هو صورة المعنى، لا المعنى مجرداً من الصّورة».(٢)

وظهر اهتمام البلاغيين بالدّلالة فبيّن الرازيّ أنّ الدّلالة قسمان فقال : «وهي إمّا أنْ تكون وضعيّة أو عقليّة. فالوضعيّة كدلالات الألفاظ على المعاني التي هي موضوعة بإزائها كدلالة الحجر والجدار والسماء والأرض على مسمياتها وأمّا العقليّة فإمّا على ما يكون داخلاً في مفهوم اللفظ كدلالة لفظ البيت على السقف الذي هو جزء مفهوم البيت وإمّا على ما يكون خارجاً عنه كدلالة لفظ السقف على الحائط».(٣)ويطلق البلاغيون مصطلح « علم المعاني» للدّلالة على ما يتّصل بالجملة من تحويلات كالتقديم والتأخير، أو الذكر والحذف، أو التّعريف والتنكير، أو القصر، أو الفصل والوصل، أو الإيجاز والإطناب والمساواة.

ويناقش السّكاكي وظيفة علم المعاني بقوله:« علم المعاني هو تتّبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليُحْتَرَزَ

---

١) عبد القاهرالجرجاني– دلائل الإعجاز ص ٦٩.

٢) درويش الجندي–نظريّة عبد القاهر في النّظم ص ٧٤ نشر: مكتبة نهضة مصر، بالفجالة، ١٩٦٠.

٣) فخر الدين الرازي– نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ص ٣٩.تحقيق: ابراهيم السامرائيّ ومحمد بركات أبوعلي، عمان– الأردن ١٩٨٥.

بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره».(١)بهذا استطاع السّكاكي إدراك العلاقة بين النحو والمعنى وتفاعلهما في أداء الغرض.وتنبه السّكاكي إلى أهمية المعرفة بدلالات الكلم يقول :«إنّ صاحب علم البيان له فضل إحتياج الى التّعرض لأنواع دلالات الكلم».(٢)

ويؤكد الخطيب القزوينيّ ما ذهب اليه السّكاكي في فهمه لعلم المعاني بقوله:« وهو علم يعرف به أحوال اللفظ العربيّ التي يطابق مقتضى الحال»(٣)وبهذا يتضح أنّ النّحو والدّلالة يلتقيان في نقطة تقاطع تجمع بينهما، وهي القدرة على أداء التّركيب الذي تتوافر فيه القيم الدلاليّة والمعاني النحويّة موافقة لمقتضى الحال.

ويقف الزّمخشريّ عند الآية«لها ما كَسَبَت وعليها ما اكتسبت»(٤)موضحا الفروق الدّلاليّة بين الكلمات، فيقول :«فإنْ قلت لِمَ خصّ الخير بالكسب والشّر بالاكتساب قلت: في الاكتساب اعتمالِ فلما كان الشر مما تشتهيه النّفس، وهي منجذبة إليه وأمّارة به كانت في تحصيله أعمل وأجدّ، فجُعِلت لذلك مكتسبة فيه ولمّا لم تكن كذلك في باب الخير وُصفتْ بما لا دلالة فيه على الاعتمال»(٥).

---

١)السكاكيّ- مفتاح العلوم ص ١٦١

٢)السكاكيّ- مفتاح العلوم ص ٣٢٩.

٣)الخطيب القزوينيّ- التلخيص في علوم البلاغة ص ٣٧،دار الكتاب العربي - بيروت .

٤) البقرة آية ٢٨٦.

٥) الزمخشري- الكشاف، جـ(١) ص ١٥٩، تحقيق محمد مرسي عامر.

وقد تنبّه تّمام حسان الى أهمية علم المعاني في النّحو ،وعدّ علم المعاني قمة الدراسة النّحوية، يقول:«إنّ النّحو العربيّ أحوج ما يكون إلى أنْ يدّعي لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة، الذي يُسمى علم المعاني حتى إنّه لَيحْسُن أنْ يكون علم المعاني قمة الدراسة النّحويّة أو فلسفتها إنْ صَحّ هذا التّعبير».(١)

ومن خلال هذا العرض لمعنى النّحو ومعنى الدلالة يتجلى للقارئ تفاعل العلاقات النحويّة والقيم الدلاليّة التي نقف على أبعادها.

تفاعل النّحو والدلالـــــة:

يقرر تشومسكي:«أنّ البحث في الوظيفة الدلاليّة لبنية المستوى قد يكون خطوة معقولة في اتجاه وضع نظريّة للتلاقي بين النّحو والدّلالة. .بعبارة أخرى نريد من الإطار النّحويّ للغة الذي يُفرِزُه ويوضحه نظام القواعد أنْ يكونَ قادراً على دعم الوصف الدّلاليّ».(٢)

وتتلاقى نظرة تشومسكي مع نظرة الجرجانيّ للتّركيب على أنّه نسق من العلاقات المتفاعلة في سياق وحدة كلّيّة تحقق قوانين النّحو والبلاغة في ضوء العناصر الدلاليّة، وينبغي ألاّ يتوقف التّحليل عند ظاهر النّص وانّما يخترق البنية السطحيّة إلى العميقة، يقول الجرجانيّ:« وليست المزية بواجبة لمعاني النّحو في أنفسها ومن حيث هي على الإطلاق ولكنْ تعرض بسبب المعاني والأغراض التي يوضع لها الكلام.ثم بحسب موقع بعضهامن بعض واستـعمال

---

١)تمام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٨.

٢)تشومسكي-البنى النّحويّة-ص ١٣٢.

بعضها مع بعض ».(١)ويوضح تشومسكي أنّ« الجمل القواعديّة هي الجمل التي لها فحوى دلاليّ».(٢)ومن البيّن أنّ هذا الذي يذهب إليه تشومسكي في تفاعل القاعدة النّحوية مع الدّلالة يشبه إلى حدّ بعيد ما يقرّره الجرجانيّ من أهمية القاعدة النحويّة في القيمة الدلاليّة، يقول:« إنّ الكلام لا يستقيم ولا تحصل منافعة التي هي الدلالات على المقاصد إلاّ بمراعاة أحكام النّحو فيه من الإعراب والتّرتيب الخاص».(٣)وتظهر«المزيّة بوصف الكلام بحسن الدّلالة، وبتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تبرجها في صورة هي أبهى وأزين، وأحق بأنْ تستولي على هوى النّفس، وذلك أنْ يُؤدي المعنى من الجهة التي هي أصحُّ لتأديته، ويختار له اللفظ الذي هو أخصّ به».(٤)

وهكذا « يؤدي نظام الإعراب إلى تحديد المعنى في الكلمة، فإذا كُنّا نستطيع تقسيم الكلمات التي تشير إلى المعنى إلى قسمين: وحدات مكونة من مفردات ذات دلالات معجميّة، ووحدات غير مكونة من دلالات، فإنّ الإعراب يقع في الجزء الثاني، اذْ إنّه يعمل على بيان ما للكلمة في الجملة من وظيفة»(٥)

ويجْمُل ألاّ نغفل قول تمّام حسان:« إنّما يدلّ كلّ اسم في الجملة بحركته الإعرابيّة على باب من أبواب النّحو. والمُبررُ الوحيد لوجود حركة ما هي هذه

---

١)عبد القاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٦٩.

٢)تشومسكي- البنى النحوية ص ١٢٥.

٣) عبد القاهر الجرجاني- أسرار البلاغة ص ٥٥.

٤)عبد القاهر الجرجاني- دلائل الإعجاز ص ٣٥.

٥)قسطندي شوملي- مدخل إلى علم اللغة الحديث ص ١٥٠ القدس ط(٢) ١٩٨٦.

الدلالة.لا العمل كما يقول النّحاة. وإنّ الدّلالة على باب من أبواب النّحو هي جزء مما اصطلحنا على تسميته بالمعنى الوظيفيّ لأية كلمة ».(١)

ويفسر الزمخشري قوله تعالى:(غافر الذّنب وقابل التّوب شديد العقاب)(٢)بقوله:« فإنْ قُلْتَ: كيف اختلفت هذه الصفات تعريفاً وتنكيراً، والموصوف معرفة يقتضي أنْ يكون مثله معارف؟ قلت: أمّا غافر الذنب وقابل التوب فمعرفتان؛ لأنّه لم يُرد بهما حدوث فعلين، وأنّه يغفر الذنب ويقبل التوب الآن، أو غداً وإنّما أُريد ثبوت ذلك ودوامه، فكان حُكْمُهما حُكْمَ إله الخلق وربّ العرش. فإنْ قُلْتَ: ما بال « الواو » في قوله(وقابل التوب) قلت: فيها نُكْتَةٌ جليلة، وهي إفادة الجمع للمذنب التائب. بين رحمتين بين أنْ يقبل توبته فَيكتُبها له طاعة من الطاعات. وأنْ يجعلها محاءة للذنوب، كأنْ لم يُذْنبْ، كأنّه قال: جامع المغفرة والقبول ».(٣)

ويفهم من ذلك تفسير الزّمخشريّ للعلاقات الدّلاليّة على أساس نحويّ يتقرى الأبعاد التي تفيدها معاني النّحو في أداء المعنى.وهذا يّبدي أهمية التلازم بين القيم النحوية والقيم الدلاليّة مما يفضي إلى اتحاد هذه القيم في نظريّة النّظم الجرجانيّة التي تقوم على أساس من تفاعل اللفظ والمعنى

---

١) تمام حسان- اللغة بين المعياريّة والوصفيّة ص٤٣.

٢)سورة غافر اية ٣.

٣) الزمخشري- الكشاف جـ(٤) ص ١١٥-١١٦ تحقيق: مصطفى حسين أحمد، مطبعة الاستقامة- القاهرة ط (٢) ١٩٥٣م.

والقيم الدلاليّة في صورة كليّة:« وإنّا إنْ بقينا الدّهر نُجهد أفكارنا حتى نَعْلَمَ للكلم المفردة سِلْكاً يَنْظِمُها وجامعاً يجمع شملها ويؤلفها ،ويجعل بعضها بسبب من بعض غير توخي معاني النّحو وأحكامه فيها طلبنا ما كلُّ مُحال دونه».(١)

وقياساً على هذا السبق الذي توصل إليه الجرجانيّ في إدراك العلاقة بين النّحو والدّلالة تأتي نظرة ابن خلدون في بيانه أنّ علم النّحو لا ينفصل عن البحث في معنى التّراكيب، وقد بيّن المباحث التي يتناولها علم النّحو بقوله : «وذلك أنّ الامور التي يَقْصِدُ المتكلم بها إفادة السّامع مِنْ كلامه هي : إمّا تصوُّر مفردات تُسنَد ويُسنَد إليها، ويُفضي بعضها إلى بعض، والدّالة على هذه هي المفردات من الأسماء والأفعال والحروف، وإمّا تمييز المسندات من المسند إليها والأزمنة، ويدلّ عليها بتغيُّر الحركات من الإعراب وأبنية الكلمات وهذه كلُّها صناعة النّحو».(٢)وغني عن البيان أنّ هذا يشير الى قوة الصّلة بين النّحو والدّلالة، وإدراك العلماء له وسبق الجرجانيّ وابن خلدون إلى وعي هذه العلاقة.

النّظم تجاوز ثنائية اللفظ والمعنى:

قضت نظريّة النّظم على الخلاف بشأن تقديم اللفظ أو المعنى في العمل الأدبيّ. ولم تَترُك مُبرراً للتعامل معهما بانفصال بَلْ ربطت الصّياغة الشكليّة والمضمون في أبعاد دلاليّه أسهمت في وحدة العمل الأدبيّ.

---

١) عبد القاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٣٠٠.

٢) ابن خلدون- المقدمة- جـ(١) ص ٥٥٠، بيروت د.ت.

وكانت الآراء قد انقسمت في موضوع اللفظ والمعنى إلى ثلاثة أقسام:

الأول: يقدّم اللفظ على المعنى.

الثاني: يقدّم المعنى على اللفظ.

الثالث: يساوي بين اللفظ والمعنى.

وهكذا نجد بعض النقاد يُرجعون المزية في العمل الأدبيّ إلى الشكل ويُسندون له الفضيلة ويعلّقون عليه الأهمية حتى يقللّوا من أهمية المعاني، ويُقدّم فريق ثان المعنى إلى درجة إغفال الشكل ويعطون المعنى السبق، ولكنْ لم يغب عن النّقد وجود فريق معتدل نظر للفظ والمعنى نظرة اعتدال لا تهدر قيمة أيّ عنصر منهما، بل تنظر للعمل الأدبيّ على أنّه اتحاد المبنى والمعنى بنسب متعادلة في التوزيع.

ونقف على أبعاد نظرة الفريق الثالث من النّقاد الذين استطاعوا أنْ يجاوزوا الثنائية إلى اتحاد العنصرين في قاعدة واحدة هي العمل الفنيّ، يقول بشر بن المعتمر :« ومن أراد معنى كريماً فَلْيلْتمِسْ له لفظاً كريماً، فإنّ حقّ المعنى الشّريف اللفظ الشّريف، ومن حقّهما أنْ تصونهما عمّا يَفسدهما ويُهّجنهما».(١)

ويوضح الجاحظ هذه الفكرة بقوله :« فإذا كان المعنى شريفاً واللفظ بليغاً، وكان صحيح الطبع، بعيداً من الاستكراه، ومُنزهاً عن الاختلال مصوناً عن التّكلف، صنع في القلوب صنيع الغيث في التّربة الكريمة».(٢)

---

١) الجاحظ- البيان والتبيين ج(١) ص ١٣٦.

٢) الجاحظ- المصدر السابق ج(١)ص ٨٣.

والّذي يبدو واضحاً في نظرة الجاحظ للفظ والمعنى اتحاد العنصريْن تحقيقاً للحسن البلاغي،ولكن تصريح الجاحظ في بعض العبارات المتعلقة بمناسبات مختلفة لا يبدي انتظام رأيه، وربما أفضى ذلك إلى إحساس بعض الدارسين لآراء الجاحظ بأنّه قدّم اللفظ على المعنى، يقول كامل السّوافيري:« ويرى الجاحظ أنّ للألفاظ، والتأنق في صياغتها المقام الأول في تقدير القيمة الفنية للعمل الأدبي»(١)وذهب محمد العزب هذا المذهب بقوله:« وقد تحدث الجاحظ عن قضية اللفظ والمعنى في مواطن متفرقة من كتبه، وانتصر للفظ انتصاراً واضحا وهكذا يلوح أنّ الجاحظ منحاز تماماً إلى جانب اللفظ».(٢)

ولا نوافق رأي الباحثيْن السابقيْن في تفسير رأي الجاحظ ونوجه رأيّه وفق ما يمليه نصه ، فقد ذهب إلى توضيح المعنى توضيحا يرتبط بالسّياق اللغويّ الذي يوزع الألفاظ وفق معانيها بتقابل الحالات وتلاقي الأسباب، يقول:« وربّ كلمة لا توضع إلاّ على معناها الذي جعلت حظّة، وصارت هي حقّه والدالة عليه دون غيره، وربّ كلمة تدور مع خُلّتها وتتقلب مع جاراتها، وإزاء صاحبتها، وعلى قدر ما تقابل من الحالات، وتلاقي من الأسباب».(٣)

وتنبه محمد غنيمي هلال إلى ما يُريده الجاحظ من اللفظ والمعنى فقال : «وقد عزا الجاحظ الحُسنَ للألفاظ، ولكن يُفهم من كلامه في مواضـــع مختلفه أنّه

١)كامل السوافيري- دراسات في النّقد الأدبيّ ص ٣٥ مكتبة الوعي العربيّ- القاهرة ١٩٧٩.

٢) محمد أحمد العزب- عن اللغة الأدب والنّقد (رؤية تاريخيّة- ورؤية فنيّة) ص ٢٥٩. نشر: المركز العربي للثقافة والعلوم - بيروت د.ت.

٣)الجاحظ- رسائل الجاحظ- الجّد والهزل جـ(١)ص ٢٤٣- تحقيق:عبد السلام هارون.نشر: مكتبة الخانجي- القاهرة د.ت.

يَقصدُ الصّياغة، وملاءَمة الألفاظ لتصوير المعنى، وهذا قريب كلّ القرب ممّا أراده عبد القاهر في نظريّة النظم ».(١)

وقد يبدو «غريباً أو مثيراً للضحك- كما يقول كروتشه- أنْ نبحث عن الغاية من الفن، أي إلزام الفنان بموضوعات ، بذاتها بحيث يكون اختياره في دائرة محددة، وعلى هذا فليس هناك محتوى ذو قيمة أو محتوي لا قيمة له، أو ليس هناك محتوى جميل أو قبيح ، وإنّما القيمة للتعبير »(٢)وهذا يشبه ما يذهب اليه الجاحظ أنّ «المعاني مطروحة في الطّريق»(٣)

وهذا يبين أنّ « الكاتب أو الشاعر لا يقف أمام المعاني وحدها يتخذ منها ما يشاء ثم ينتقل إلى الألفاظ ينتقي منها الألفاظ الملائمة لهذه المعاني، بل إنّه يفكر في اللفظ والمعنى تفكيراً جملياً ، فاللفظ والمعنى متلازمان، والعملية الفكريّة واحدة تُسفر عنها الصّورة الأدبية ».(٤)

ومهما يكن من أمر فإنّ الكلام يبنى على ائتلاف اللفظ والمعنى، وليس من المجدي النّظر إليهما في طرفين إذا نظرنا إليهما نظرة تعتمد النّظم ولعل تفسير قدامة بن جعفر لمعنى الائتلاف يَحمل أصلاً من أصول فكرة النّظم ، ويقوم هذا الأصل على المساواة بَينَ اللفظ ومعناه، يُقرّر هذا الأصل بقوله:

---

١) محمد غنيمي هلال - النقد الأدبي الحديث ص ٢٨٧

٢) عز الدين اسماعيل- الأسس الجماليّة في النقد العربيّ ص ٨٨-٨٩

٣) الجاحظ- الحيوان جـ٣ ص ١٣١-١٣٢.

٤) أحمد الصاوي - النقد التحليليّ عند عبد القاهر الجرجانيّ ١٠٧-١٠٨الهيئة المصريّة العامة للكتاب - فرع الاسكندرية ١٩٧٩.

« من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى:المساواة وهي أنْ يكون اللفظ مساوياً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه » .(١)

وهذا يبدي :« أنَّ العناصر الجزئيّة لم تكتسب دلالتها التعبيريّة إلا باندماجها في صميم الوحدة الفنية المميزة للعمل ككل ،...وهكذا ننتهي إلى القول بأنَّ بناء (العمل الفنيّ) إنمّا هو ثمرة امتزاج الصورة بالمادة واتحاد المبنى بالمعنى ، وتكافؤ الشكل مع الموضوع ، بشرط أن تتوافر للعمل(وحدة فنيّة) تجعل منه موضوعاً جمالياً يتمتع بشبه ذاتية ».(٢) وأدرك ابن جني العلاقة بين اللفظ والمعنى فذهب إلى وجود تناسب بين الألفاظ ومعانيها يقول :« الألفاظ للمعاني أزمّة ، وعليها أدلّة ، وإليها موصّلة ، وعلى المراد منها محصلة »(٣).

ويرى ابن جني أنَّ عناية العرب بالألفاظ مرتبطة بتقديرهم للمعنى، يقول:« فإذا رأيت العرب قد أصلحوا ألفاظها وحسنوها، وَحَموا حواشيها وهذبوها ... فلا تَرَيَنَّ أنَّ العناية إذْ ذاك إنما هي بالألفاظ، بل هي عندنا خدمة منهم للمعاني، ونظيرذلك إصلاح الوعاء ... وإنّما المبغيُّ بذلك منه الاحتياط للموعى عليه ».(٤).ولقوة العلاقة بين اللفظ ومعناه ذهب السيوطي إلى القول بالتوافق بينهما: «فانظر إلى بديع مناسبة الألفاظ لمعانيها، وكيف فاوتت العرب في هذه الألفاظ المقترنة المتقاربة في المعاني ، فجعلت الحرف الأضعف

---

١) قدامة بن جعفر–نقد الشعر –ص ١٥٣ تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلميّة ، بيروت د.ت.

٢) زكريا ابراهيم– مشكلة الفن ص ٤٧–٥٠ نشر مكتبة مصـــر د.ت.

٣)ابن جني– الخصائص جـ (١) ص ٣١٢.

٤)ابن جني– الخصائص جـ (١) ص ٢١٧.

فيها والألين والأخفى والأسهل والأهمس لما هو أدنى وأقل وأخف عملاً أو صوتاً، وجعلت الحرف الأقوى والأشدّ والأظهر والأجهر لما هو أقوى عملاً وأعظم حسّاً »(١)

ومن الواضح أنّ « نظرة معظم نقاد العرب إلى اللفظ والمعنى أنّهم يعّدونهما ركنين أساسين للعمل الأدبي ، ويعنون بأن يظهر المعنى مصوغا صياغة قوية مؤثرة، ولا يكونَ المعنى القويّ أو العميق ، أو المخترع بليغاً، حتى يُعرضَ عرضاً رائعا في ألفاظه المختارة، وأسلوبه الجميل»(٢).

وتتمّ الفصاحة عند الباقلانيّ إذا أحسن المبدع اختيار الألفاظ لما يناسب معناها ونظمها بطريقة أسلوبية بارعة تتسق مع الاختيار والتوزيع ، يقول:« إنّ تخيّر الألفاظ للمعاني المتداولة المألوفة أسهل وأقرب من تخير الألفاظ لمعان مبتكرة ، فإذا برع اللفظ في المعنى البارع ، كان ألطف وأعجب من أنْ يوجد اللفظ البارع في المعنى المتداول المتكرّر، ثم يُضاف إلى ذلك التّصرف البديع وإذا وجدت الألفاظ وفق المعنى والمعاني وفقها، لا يُفْصَلُ أحدهما عن الآخر، فالبراعة أظهر والفصاحة أتمّ »(٣).

ويرى بدوي طبانة أنّ العمل الأدبيّ وحدةٌ مؤلفه من الشعور والتّعبير ، يقول :« إنّ هناك صعوبة ماديّة في تقسيم العمل الأدبيّ إلى عناصر : لفظ ومعنى ، أو شعور وتعبير ، فالقيم الشعوريّة والقيم التعبيريّة كلتاهما وحدة

١) السيوطي– المزهر في علوم اللغة وأنواعها جـ(١) ص ٥٣، تحقيق: محمد أحمد رجا، وعلى البجاويّ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم نشر: عيسى البابي وشركاه – دار إحياء الكتب العربيّة.

٢) أحمد أحمد بدوي – أسس النقد الأدبيّ عند العرب ص ٣٦٧.

٣) الباقلانيّ– إعجاز القرآن ص ٦٣.

لا انفصام لها في العمل الأدبيّ وليست الصورة التعبيريّة إلاّ ثمرة للانفعال بالتجربة الشعوريّة. وليست القيمة الشعوريّة إلاّ ما استطاعت الألفاظ أنْ تُصوّره، وأنْ تنقله إلى مشاعر الآخرين »(١).

ويقدّم محمود شاكر في- مقدمة دلائل الإعجاز - ملحظاً يظهر :« أنّ عبد القاهر منذ بدأ في شقّ طريقة إلى هذا العلم الجديد الذي أسّسه، كان كلّ همّه أنْ ينقض كلام القاضي عبد الجبار في الفصاحة».(٢)

ولا نوافق هذا الملحظ لأنّ كلام عبد القاهر في فصاحة الكلم يوافي المنحى الذي ذهب إليه القاضي عبد الجبار في تقرير صورة الفصاحة بالضّم على طريقة مخصوصة، فقد قرّر أبو هاشم الجبائي أنّ فصاحة الكلام للفظه ومعناه وبذلك يَعُدّ اللفظ والمعنى من أسرار الفصاحة ويوحد بينهما ، يقول :« إنّما يكون الكلام فصيحا لجزالة لفظه، وحسن معناه، ولا بد من اعتبار الأمرين »(٣).

ويخترق هذه الفكرة تلميذه القاضي عبد الجبار الذي يرى :« أنّ الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنّما تظهر على طريقة مخصوصة »(٤).فمردّ الفصاحة إلى النّظم الذي جمع بَيْنَ اللفظ والمعنى بطريقة متقدمة اتخذت « البنائية » في توزيع المفردات وفق الرُتَب التي تقتضيها.وهذا سبق في وحدة الشكل

---

١) بدوي طبانة- التيارات المعاصرة في النقد الأدبيّ ص ٢٠٠.دار الثقافة، بيروت- لبنان ١٩٨٥.

٢) عبد القاهر الجرجاني-دلائل الإعجاز -مقدمة المحقق- ص(هـ) تحقيق محمود شاكر.نشر مكتبة الخانجي-القاهرة.

٣) عبد الجبار - المغني في أبواب التوحيد جـ١٦ ص ١٩٧

٤) عبد الجبار -المغني في أبواب التوحيد جـ١٦ ص ١٩٩.

والمضمون تؤيده الانظار الحديثة فقد رفض كروتشه الفصل بين الشكل والمضمون بقوله :« ذلك أنَّ الحقيقة هي : أنّ المضمون والصّورة يجب أنْ يُميّزا في الفن، لكن لا يمكن أنْ يوصف كلّ منهما على انفراد بأنّه فنيّ ، لأنَّ النسبة القائمة بينهما هي وحدها فنيّة، أعني الوحدة، لا الوحدة المجردة الميتة، بل الوحدة العيانيّة الحية»(١).

ورفض كروتشه تقسيم التعبير إلى زمرتين : التّعبيرات العاديّة والتّعبيرات المزخرفة ، وعلّل ذلك بقوله :« فإنَّ التعبير المناسب، إذا كان مناسباً، كان جميلاً كذلك ، لأنَّ الجمال ليس إلاّ القيمة المحددة للتعبير وبالتالي للصورة ... وليس التعّبير والجمال مفهومين اثنين، فما هما إلاّ مفهوم واحد يمكن أنْ تدعوه بأحد اللفظين على السواء ».(٢).

ويؤكد ابن رشيق القيروانيّ اتحاد اللفظ والمعنى بقوله :«اللفظ جسم ، وروحه المعنى ، وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم : يضعف بضعفه ويقوى بقوته ، فإذا سلِمَ المعنى واختلَّ بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهُجنَةً عليه ، كما يعرض لبعض الأجسام من العَرَج والشّلل والعَوَر وما أشبه ذلك ، من غير أنْ تذهب الروح »(٣)وتشبه الانظار النقدية الحديثه النّظرة النقديّة عند ابن رشيق فهي « تنظر إلى العمل الأدبيّ نظرة عضويّة نامية أساسها البنيان المتماسك الذي يرتبط فيه الجزء بالكل ارتباط الفرع بالشجرة، ويؤثر في هذا الارتباط كل

١) بندتو كروتشه ، المجمل في فلسفة الفن، ص ٦٣-٦٤. ترجمة وتقديم : سامي الدروبي، دمشق ط (٢) ١٩٦٤.
٢) بندتو كروتشه- المجمل في فلسفة الفن ص ٧٣-٧٥.
٣) ابن رشيق القيرواني- العمدة جـ(١) ص ١٢٤.

منهما بالآخر أو يتبادلان التأثير . ولذلك صار تقييم العمل الأدبيّ على أساس تجربة شعورية واحدة وأصبحت الصورة تظهر على أنّها لبنة في بناء أو وحدة في كلّ مترابط ومتكامل »(١)«والحقيقة أنّه لا انفصام بين الإطار والمضمون ، بل هما مترابطان أشد الترابط، وممتزجان في كل تعبير مقصود أقوى ما يكون »(٢)

وقد أوضح محمد هدارة تفاعل الشكل والمضمون في أداء الشعر يقول :

« الشعر فن يؤثر في نفس الإنسان بما فيه من جمال ومتعة وإثارة فنية للأحاسيس والمشاعر، لا يمكن أنْ يُنظر إليه من ناحية محتواه فحسب ، أو مِنْ ناحية شكله بصورة عامة.فالإنسان لا يتلقى تأثير الشئ الجميل مُجزأ على دفعات، ولكنّ الإحساس ينتقل إليه مباشرة وتنفعل نفسه بالتأثير دُفعةً واحدة. فالشعر إذن ليس (موضوعاً) فحسب وليس (شكلاً)فقط، إنّما هو صورة عامة يتلبس فيها الشكل بالموضوع ويلتحمان في إطار هو الشعر نفسه بحيث لايمكننا إدراك ما فيه من جمال إلاّ وهو على تلك الحالة »(٣)

« فسيان إذن- أنْ نَعُدّ الفن مضمونا أو صورة ، شريطة أنْ يكون من المفهوم دائماً أنّ المضمون قد برز في صورة ، وأنّ الصّورة ممتلئة بالمضمون ، أي أنّ الشعور هو الشعور المصّور، وأنّ الصّورة هي الصّورة المشعور بها »(٤).

---

١)نعيم اليافي – تطور الصورة الفنيّة في الشعر العربيّ الحديث ص ١٤١- ١٤٢. منشورات اتحاد الكتاب العرب د.ت .

٢) بدوي طبانة – قضايا النقد الأدبيّ – ص ١٧٢ مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرةد.ت.

٣) محمد مصطفى هدارة- اتجاهات الشعر العربيّ في القرن الثاني الهجري ص ٥٢٣-٥٢٤. ط(٢) دار المعارف ، بمصر، د.ت.

٤) كروتشه- المجمل في فلسفة الفن ص ٦٤.

وقد سبق الجرجانيّ الى فهم اتحاد اللفظ والمعنى عندما تجاوز هذه الثنائية من خلال منطلق المعاني النحويّة ، التي كانت خطوة واسعة في اتحاد المبنى والمعنى بطريقة بيانيّة أسلوبيّة اتخذت من الدّلالة قاعدة أساسيّة مزجت المستوى السطحيّ والعميق للوصول إلى المعاني الكليّة في النص.

فالفرضية التي صدر منها في نظريّة النظم تنظر إلى النّص على أنّه وحدة كليّة مترابطة الأجزاء يتحد فيها الشكل والمضمون في نظام من العلاقات .

اجتاز الجرجانيّ ثنائية اللفظ والمعنى عندما فسّر فهم الجاحظ وغيره من المعاصرين له بأنّهم يقولون :(اللفظ) ويريدون (الصّورة) فقال :« إنّهم لم يوجبوا للفظ ما أوجبوه من الفضيلة وهم يعنون نطق اللسان وأجراس الحروف ، ولكنْ جعلوا كالمواضعة فيما بينهم أنْ يقولوا (اللفظ) وهم يريدون (الصّورة) التي تَحْدُثُ في المعنى والخاصة التي حَدَثَتْ فيه ، ويَعنونَ الذي عناه الجاحظ حين قال :« والمعاني مطروحة في الطريق ... وإنّما الشعر صياغة وضرب من التصوير »(١) .فالجرجانيّ يوضح أنّ الجاحظ لا يفصل اللفظ عن المعنى ولا المعنى عن اللفظ والفضل عنده في النظم الذي اتحد فيه اللفظ والمعنى ويتفق معه الجرجانيّ في أنّ المَزيّة في « جودة السبك وصياغته »(٢) وتؤكد الأنظار النقدية الحديثة ما ذهب إليه الجاحظ والجرجانيّ من أهمية الصّورة ، يقول محمود

---

١) عبد القاهر الجرجانيّ - دلائل الإعجاز ص٣٦٨-٣٦٩ والجاحظ الحيوان جـ(٣) ص ١٣١ - ١٣٢

٢) عبد القاهر الجرجانيّ - دلائل الإعجاز ص ٣٦٨ - ٣٦٩

السمرة نقلاً عن ماتيس :« التعبير لا يكون بالعاطفة الباديّة في وجه الصّورة المرسومة ، بل في الصورة ككل ، فكل ما في الصورة يقوم بدور مستقل ، وكلّها معاً تكون ما يسمى بالتّعبير ، وأحسن أنواع التعبير ما كانت فيه أجزاء الصورة - سواء أكانت أساسيّة أم ثانونية- موضوعةً في أماكنها اللائقة بها ، والجزء الذي يكون في غير مكانه يُسيءُ إلى المجموع ، لأنّ الفن يتطلب انسجاما بين جميع الأجزاء »(١) .والحقّ أنّ « فهم عبد القاهر لقضية اللفظ والمعنى لايكاد يختلف عن فهم النقد الحديث في شيء ، ولقد قاد البحث في إعجاز القرآن الكريم الجرجانيّ إلى هذا ، فكان انتباهه إلى أهميه البناء والتركيب الذي لا يكون في المعنى وحده أو في اللفظ وحده ، بل فيهما معا »(٢)

ومعلوم أنّ المعنى قد تتحول صورته ، وتفسد معالمه ، إذا لم يحصل توازن بينه وبين اللفظ الذي يليق به ، حيث يستطيع أنْ يحمل ما فيه من الألوان والأسراروتحصل المفاضله حسب الموافقه للمعنى ، يقول عبد القاهر :« اعلم أنّ لكل نوع من المعنى نوعاً من اللفظ هو به أخصّ وأولى ، وضروباً من العبارة هو بتأديته أقوم ، وهو فيه أجلى ، ومأخذاً إذا أُخذ منه كان إلى الفهم أقرب ، وبالقبول أخلق ، وكان السمع له أوعى ، والنفس إليه أميل ». (٣)

لقد نظر عبد القاهر إلى اللفظ والمعنى نظرة كليّة تحمل الإمكانات الصوتيه والدلالية النابعة من تفاعل الإحساس والمعنى ، فالمعنى هو ما يولّده

---

١) محمود السمرة -مقالات في النقد الادبي ص٧٣ دار الثقافة - بيروت د.ت.

٢) يوسف بكار - بناء القصيدة العربية ص١١٨دار الاندلس ، بيروت ط(٢) ١٩٨٢.

٣) عبدالقاهر الجرجانيّ - الرسالة الشافية ص١٠٧.

السياق من فكر وإحساس وصورة .وهكذا نجد « عبد القاهر قد فَطِنَ إلى أنّ اللفظ في خدمة الموقف الذي يُثار فنحن حين نكتب لا نجمع ألفاظا ونضعها الواحدة بجوار الأخرى ، وإنّما نعبر عن معان ، ومن ثم كانت الألفاظ وسيلة رمزية لإثارة المواقف وليست هدفا في ذاتها ، ونجاح الألفاظ ليس في شكلها الخارجي وإنّما جمالها ونجاحها في قدرتها على توليد المواقف المطلوبة أو في الإفصاح عن المعنى المراد أداؤه »(١)

وقد بنى عبد القاهر نظرية النظم على أساس من تفاعل الشكل والمضمون في سياق من العلاقات المتجلية في اتحاد الأبعاد الفنية ، ويشبه هذا ما ذهب إليه كروتشه :« و أهمية المضمون في رأي كروتشه – تنحصر في التعبير عنه ، أي في وضعه في شكله الجمالي ، ولا قيمة له فيما وراء ذلك »(٢)وقد جاءت فكرة اللفظ والمعنى في اتحاد مؤتلف من خلال نظرة الجرجانيّ إلى النظم يقول : « واعلم أن مِثْلَ واضع الكلام ، مثل مَنْ يأخذ قِطَعاً من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة » (٣)

ويفسر العشماوي نظرة الجرجانيّ بقوله :« وعلى ضوء التحليل الذي بسطه لنا عبد القاهر ، وعلى ضوء فكرة النظم عنده ننتهي إلى حقيقة لا سبيل إلى الشك فيها ، وهي أنّ الفن ليس في الفكرة ولا في المعنى الأخلاقي الفلسفي ،

---

١) أحمد دهمان–الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجانيّ منهجاً وتطبيقاً ، جـ(١) ص٢١٦ دار طلاس– دمشق ط(١) ١٩٨٦ .

٢) محمد غنيمي هلال – النقد الادبي الحديث ص٢٨٩ .

٣) عبد القاهر الجرجانيّ – دلائل الإعجاز ص٢١٦.

ولا في المضمون بعامة مهما تكن قيمة هذا المضمون ، وإنّما الفن في تطويع الشكل للمضمون والمضمون للشكل ، وفي اخضاع التجربة للصورة اللفظية »(١)

قد نوافق على تطويع الشكل للمضمون والمضمون للشكل واتحادهما في وحدة متفاعلة ، ولكن النظرة إلى النظم لا تقتصر على الصور اللفظية وإنّما تتجاوزها إلى شبكة العلاقات المؤلفة للنظام الكلي في ضوء تعليق معاني الألفاظ واستخدام الكلمة في سياق تحقيقاً لمعاني النحو وأحكامه .

وتنبه إحسان عباس إلى قدرة النظم على تجاوز الثنائية ، بقوله : « كانت نظرية النظم أو التأليف عند عبد القاهر إنكاراً لتلك الثنائية المضللّه وعودة إلى الوَحْدَة ، أي أنْ يُعني الناقد برؤية الصّورة مجتمعة من الطرفين معاً دون فصل بينهما ، وتلك هي فيما يبدو نظرية الجاحظ ... غير أنّ مصطلح (المعنى) لدى الجرجانيّ لم يبق كما كان عند الجاحظ بل أصبح يعنى (الدلالة) الكلية المستمدة من الوحدة ، لا (المادة الأوليّة) أو الحقائق الخارجية التي تَحدّثَ الجاحظ عنها »(٢)اعتنى عبد القاهر باللفظ والمعنى في نظرة متماسكة اعتمدت النّظم يقول : « واعلم أنّ الداء الدوي ، والذي أعيا أمره في هذا الباب غلط من قدم الشعر بمعناه ، وأقلّ الاحتفال باللفظ : (٣) وتلتقي النظرات الحديثة مع سبق

---

١) محمد زكي العشماوي – قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث ص٢٩٩ دار النهضة العربية – بيروت سنة ١٩٧٩ .

٢) إحسان عباس – تاريخ النقد الأدبي عند العرب– ص ٤٢٧.

٣) عبد القاهر الجرجانيّ – دلائل الاعجاز ص١٩٤.

الجرجانيّ فقد « تخلصت السيمائية* في ممارستها من ثنائية الشّكل والمضمون، لأنّه لا يوجد تركيب اعتباطي مستقل بذاته بلْ إنّ كل تصور وكل قاعدة هي في نفس الوقت تركيب ودلالة ».(١)ويقول إليوت : « إنّي لاشك في أنْ يكون أيّ لفظ بمفرده ، بمجرد صوته ، أكثر أو أقل جمالاً من أيّ لفظ آخر ، فاللفظ القبيح هو اللفظ الذي لا يلائم السياق الذي جاء فيه »(٢) وفضلاً عن ذلك يرى الجرجانيّ أنّه: « لا سبيل إلى الحكم بأنّ ههنا مجازاً وحقيقة من طريق العقل إلاّ في جملة من الكلام ،فكما يستحيل وصف الكلم المفردة بالصدق والكذب ، وأنْ يجري ذلك في معانيها مفرقه غير مؤلفة كذلك يستحيل أنْ يكون ههنا حكم بالمجاز أو الحقيقة وأنت تنحو نحو العقل إلاّ في الجملة المفيدة فاعرفه أصلا كبيراً »(٣)

ومن المؤكد أن عبد القاهر « استطاع أن يقضي على الثنائية التي ميّزت بين التعبير المزخرف والتعبير العادي ، فأعلن أنّ القيمة في التشبيه والاستعارة والمجاز والكناية ليست لها من حيث هي تشبيه أو استعارة أو كناية، بل هي لها من حيث قدرة الاستعارة أو التشبيه على الامتزاج والانصهار بغيرها

---

* نظرية في العلامات أو الرموز اللغوية وموضوعها دراسة الأنظمة السيميّة منَ النواحي اللغويّة والفلسفيّة ولا سيما النظام السيميّ المستخدم بين البشر ، أي اللغة ويقسم علم السيما ثلاثة اقسام هي: علم الدلالة ، وعلم الرموز التواصليّ ، وعلم الرموز العلاقيّ (رمزي بعلبكي- معجم المصطلحات اللغوية ص٤٤٧ ، دار العلم للملايين ، بيروت – لبنان حزيران / يونيو ١٩٩٠)

١) عبد الرحمن بدوي – اللغة والمنطق في الدراسات العالية ، ص١٩٥ عالم الفكر المجلد الثاني ، العدد الاول ، مايو يونيه ١٩٧١ .

٢) محمد النويهي – قضية الشعر الجديد ص٢٢ مكتبة الخانجي ، دار الفكر ط(٢) ١٩٧١ .

٣) عبد القاهر الجرجانيّ – أسرار البلاغة ص ٣٦١ – ٣٦٢

من عناصر العمل الأدبيّ ، ومن حيث قدرتها على اكتساب خصائص يمنحها السياق نفسه »(١)وتظهر الفصاحة عند الجرجانيّ في اتحاد اللفظ ومعناه ، يقول: «إنّ الفصاحة وصف يجب للكلام من أجل مَزيّة تكون في معناه ، وأنّها لا تكون وصفا له من حيث اللفظ مجردا عن المعنى »(٢) فمدار الفصاحة عند الجرجانيّ يعود إلى النظم الذي لا يفصل اللفظ عن معناه ، وإنّما يرى الفصاحة في اتحاد اللفظ ومعناه في تماسك التعبير وقدرته على أداء المعنى المراد .ويؤيد هذه النظرة مفهوم (البنية الجمالية) في النقد الحديث فهي : «مجموع مركب من مكونات مترابطة ومتحققة بصورة عملية وجمالية في سلسلة متصاعدة ومعقدة ، يربط بينها على التوالي العنصر المهيمن على هذه المكونات ، فهي نسق قائم على الوحدة الداخلية للكل من خلال العلاقات المتبادلة بين أجزائه ، ولا يقوم هذا النسق على العلاقات المتوافقة فحسب ، بَلْ يقوم بالمثل على التناقضات والتوتر والصراع »(٣) وتلمس الجرجانيّ مفهوم الوحدة من خلال المتناقضات التي تبنى على اتحاد الأجزاء بقوله :« وإنّها لصَنعة تستدعي جودة القريحة والحذق ، الذي يلطف ويدق ، في أنْ يجمع أعناق المتنافرات المتباينات في ربْقَة ، ويعقد بين الأجنبيات معاقد نسب وشُبكة »(٤) وهذا يوضح أنّ المعنى الكلي « ليس مجموعا لجزيئات متناثرة في العمل الأدبيّ وإنما هو الأفق الأخير الذي تنتهي

---

١) محمد زكي العشماوي – قضايا النقد الادبي بين القديم والحديث ص٢٤٢ .

٢) عبد القاهر الجرجانيّ – دلائل الإعجاز ص ٣٣٩.

٣) يان موكاروفسكي – اللغة بين المعياريّة واللغة الشعرية ، ص٢٨ ترجمة : ألفت كمال الروبي ، مجلة فصول ، المجلد الخامس ، العدد الأول ، ديسمبر ١٩٨٤.

٤) عبد القاهر الجرجانيّ – أسرار البلاغة ص١٢٧.

إليه الدلالات اللغويّة في السياق »(١)فالعمل الفني « بوصفه موضوعاً جمالياً يتميّز بأنّ له وحدة جماليّة تجعل منه موضوعا حِسياً يتصف بالتماسك والانسجام »(٢) والفكرة الأساسيّةعند الناقد الأمريكي رونالد استوفر في كتابه عن « طبيعة الشعر » :« أنّ القصيدة تشبه الشخص أو الشخصية تماماً ، فكما أن للشخص صفات متعددة يتكون هو من مجموعها ، فكذلك القصيدة »(٣)

ويذهب كروتشه إلى تأكيد هذه الفكرة بقوله :«إنّ ما نسميه صورة هو دائماً مجموعة من الصّور ، فليس هناك صور ذرات ، كما ليس هنالك أفكار ذرات ، أعني الحدس الحقيقيّ الذي يؤلف جسماً حياً ، وينطوي لذلك على مبدأ حيويّ هو الجسم الحي نفسه ... وحسبُنا أنْ نقول إنّ الفن حدس حتى نُعرّف الفن أكمل تعريف »(٤)

وهكذا يكون الجرجانيّ قد اجتاز ثنائية اللفظ والمعنى إذْ استطاع أن يُكوّن من الشكل والمضمون والصّياغة فكرة اتحدت فيها ظاهرة النظم ، التي جمعت عناصر العمل الفني ، فلا يغلب أحد العنصرين على الآخر ، وإنّما يوحد بينهما ، وتجاوز الجرجانيّ ما كان معروفاً من فصل أفضى إلى تجريد البنى البلاغية من روحها حتى كادت تصبح أشكالاً منطقية وأعاد لها الحياة بنظرة جادّة تُفسِرَ النّص تفسيرا كلياً يأخذ بمبدأ التوازن في اكتمال عناصر العمل الفني .

١) لطفي عبد البديع – التركيب اللغوي للأدب – ص١٤٤ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠ .
٢) محمد سالم – علم الجمال ص ٥٥ دار الفكر الجامعي ، الاسكندريّة .
٣) عز الدين اسماعيل – الأسس الجمالية في النقد العربي ص ٣٤٨ .
٤) بندتو كروتشه – المجمل في فلسفة الفن ص٥٧ – ٥٧ .

الفصل الرابع

أثر النّظم في مستويات التّحليل اللغويّ

١-النّظام اللغوي ومستوياتـــــــه.
٢-معنى الأسلوبيّـــــــة.
٣-النّظم والأسلوبيّـــــــة.
٤-الأسلوبية والنّحو التّوليدي التّحويليّ.
٥-معنى البنيويّـــــــة.
٦-النّظم علاقة بنيويّـــــــة.

النظام اللغويّ ومستوياته

تحظى الدّراسات اللغويّة بعناية كبيرة من الدّارسين في الغرب والشرق، ذلك أنّ دراسة الظاهرة اللغويّة تحتاج إلى الاهتمام بتصوراتها الذهنيّة، فاللغة نظام بنائيّ ومعرفة هذا النّظام ضرورة يحتمّها البحث العلميّ لمواكبة المعطيات الفكريّة واستخلاص المميزات الأساسيّة لأنظمة اللغة، ويقوم النّظام اللغوي على مجموعة علاقات ترتبط في تطابق يؤلف شبكة متداخلة في نسيجها، وتتجلى مهمة الباحث في استجلاء عناصر هذه الشّبكة والبحث عن القوانين التي تحكمها في سياق متكامل الأبعاد.

والتحليل اللغويّ يتنبه إلى المستويات النّحويّة والصرفيّة والصوتيّة والدلاليّة والأسلوبية وسياق الحال، ومن خلال ارتباط هذه الأبعاد تتضح الظاهرة اللغويّة جلية في مجموعة الأسس النّظريّة التي تؤلفها. وهذا يوضح أنّ تحليل العلاقات يقتضي الوقوف على مجموعة من مستويات النّظام اللغويّ وصياغتها وفق منظومة من البنى التي تظهر أثرها في تأليف النّص الأدبيّ .

وأظهر المسّدي مهمة اللسانيّ بقوله:« فاللسانيّ يهتم بكل تجليات الظاهرة اللغويّة مهما تنوعت صيغ الإفضاء وهيآت التشكل وصور الوظيفة، وليس النّص الأدبيّ في منطوقه ودلالته إلاّ مرتبة من مراتب التّجليّ اللغويّ عموما »(١)

---

١) عبد السلام المسّديّ- اللسانيات بين لغة الخطاب وخطاب الأدب ص ٦٤ الأقلام، العدد التاسع، أيلول ١٩٨٣.

ويتخذ النّظم عند الجرجانيّ اتجاهين:

الأول: نحويّ يؤكد أهمية النّحو والمعاني النحويّة في الأداء .

الثاني: بلاغيّ يظهر الدّلالات والقدرة الإيحائيّة في إبداع المواقف الأدبيّة في إطار النّقد الجماليّ، ولاينسى الجرجانيّ أهمية المبدع للنّص الأدبيّ فهو يقف وراء الاختيار الأسلوبيّ وتوظيف التّراكيب بناء على مقتضى الحال، فتحليل العبارة في ضوء ظاهرة النّظم كشف عن القيم الدّلاليّة.

وقد بيّن اللسانيون أهم مستويات التحليل اللسانيّ للنّص الأدبيّ في أربعة قطاعات:«

١-المستوى الصّوتيّ: ويبرز اللساني في هذا المستوى الوظيفة الصوتيّة في التمييز بين الوحدات الصوتيّة،حيث يترتب على تغيرها في النظام تغير في الدلالة.

٢- المستوى الصّرفي: ويهتم بالوحدات الصرفيّة وما لها من دلالة داخل النّظام اللغويّ ،ويقف على أبنية الأفعال والأسماء من حيث دلالتها الصرفيّة.

٣- المستوى النّحويّ أوالتركيبيّ: ويدرس الوحدات الدّلاليّة النحّويّة، والجمل وأنواعها والتناسق بين أجزاء الكلام والجملة مع الجمل لتكوين الخطاب.

٤-المستوى الدّلاليّ: ويبرز الوحدات الدّلاليّة المميّزة، والكلمات من خلال السّياق وهو متولد عن العناصر السالفة الذكر، وتتكامل هذه المسّتويات وظيفياً ودلالياً»(١)

---

١) شريبط أحمد شريبط- واقع الدراسة اللسانيّة وآفاقها في العالم العربيّ، ص ٢٦٧- ٢٦٨ مجلة فصول- المجلد الخامس العدد الرابع- يوليو ١٩٨٥.

إن اهم معيار يقدّمه النّظم هو إسهام العناصر مجتمعة في النص بالتفاعل العضويّ الذي يبنى على الروابط الدّلاليّة القائمة على اكتساب الموقعيّة، فالكلمات أساس التفاعل الدّلاليّ في النص ويكوّن النّظم ترتيباً داخليا يُسهم في استمرار نشاط عناصر البناء الفني في انسجام كامل. ويؤلف الكشف عن تجليات المعنى الأساس في التّحليل اللسانيّ للنّص، يقول العشماوي: « ولما كان الأدب أولاً وقبل كلّ شيء فناً لغوياً... فإنّ وسيلتنا إلى فهمه ونقده ليست إلاّ في الرجوع، وفي الوقوف على معاني الكلام والفطْنة إلى مظانها المختلفة »(١)

معنى الأسلوبيّة:

الأسلوبيّة« علم لغويّ حديث يبحث في الوسائل اللغويّة التي تُكسِبُ الخطاب العاديّ، أو الأدبيّ خصائصه التعبيريّة والشعريّة، فتميزه عن غيره... إنّها تتقرى(الظاهرة الأسلوبيّة) بالمنهجيّة العلمية، اللغويّة، وتعدّ(الأسلوب) ظاهرة، هي في الأساس لغويّة، تدرسها في نصوصها، وسياقاتها »(٢) «إنّ الأسلوب يشتمل البناء العام للنص الأدبي، وإنّ دراسته تقتضي الوقوف على ترابط الجمل وترابط الفقَر والفكر منذ البداية حتى النهاية »(٣)

١) محمد زكي العشماوي- قضايا النّقد الادبي بين القديم والحديث ص ٢١١.

٢) عدنان بن ذريل- اللغة والأسلوب ص ١٤٠ نشر: اتحادالكتاب العرب، دمشق ،١٩٨٠.

٣) علي جواد طاهر- مقدمة في النقد الأدبي ص ٣٢٢ط(١)المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩.

ومن ذلك يتضح أنّ الأسلوب« طريقة الكتابة أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتاليفها للتّعبير بها عن المعاني قصد الإيضاح والتاثير،أو الضّرب من النّظم والطريقة فيه ».(١)فليس « الأسلوب الفرديّ مجرد عنصر يلون التّعبير الفنيّ، إنّه يتغلغل في القيمة الإستاطيقيّة للإبداع الفنيّ، ومن ثم في معناه الأساسيّ أيضاً(٢) «بَيْدَ أنّ حقيقة أيّ عمل فني لاتكمن فيما يروي لنا من وقائع، وإنّما هي تكمن بالأحرى في الطريقة التي يروي لنا بها تلك الوقائع »(٣) فقصارى ما يُقال في الأسلوبيّة:« أنّها جملة الصيّغ اللغويّة التي تعمل عملها في إثراء القول وتكثيف الخطاب وما يستتبع ذلك من بسط لذات المتكلم وكشف عن سرائره وبيان لتاثيره في السامع »(٤)وتعرّف الأسلوبيّة بأنّها:« علم لسانيّ يُعني بدراسة مجال التّصرف في حدود القواعد البنيويّة لانتظام جهاز اللغة ».(٥) أما الأسلوبية الجديدة:« فإنّها على الجملة لاتكتفي بتعيين ما هنالك من خصوصيات للكلام ولاتقتصر على تعميم الأحكام، بل تبحث عن العلل وتقيم من التّحليل الذريّ الذيّ تعتمده البلاغة، مبدأ موحداً جامعاً لها

---

١) أحمد الشايب- الأسلوب ص ٤٤ ط (٤) مكتبة النهضة المصرية د.ت.

٢) شكري عياد- اتجاهات البحث الأسلوبي ص ١٩٦ نشر : دار العلوم- الرياض- السعودية ط(١) ١٩٨٥.

٣) زكريا ابراهيم- مشكلة الفن ص ٤٨ مكتبة مصر.

٤) لطفي عبد البديع- التركيب اللغوي للادب ص ٥٤.

٥) عبد السلام المسدي- الأسلوبية والأسلوب ص ٥٢ الدار العربية للكتاب ليبيا- تونس، ١٩٧٧م.

ثم تجريها على غاية استاطيقيّة *عامة تداخل العمل الأدبيّ كله وتُجلّى روح الإنسان فيه».(١)

هذه الوقفة مع النظرات الحديثة تسوق إلى الكشف عن الأنظار النّقديّة عند علماء العرب وأثرها في معنى الأسلوب، يقول ابن قتيبة:« وإنّما يعرف (فضل القرآن) من كَثُرَ نظره ،واتسع عِلْمُه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب، وما خصّ الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنّه ليس في جميع الأمم أمّةٌ أوتِيَتْ من العارضة والبيان، واتساع المجال، ما أوتِيَتْه العرب». (٢)وهذا يبرز أهمية الأسلوبيّة في إدراك فضل القرآن ويذهب الخطابي إلى القول: «هاهنا وجه آخر يدخل في هذا الباب وليس بمحض المعارضة، ولكنّه نوع من الموازنة بين المعارضة والمقابلة، وهو أنْ يجري أحد الشاعرين في أسلوب من أساليب الكلام وواد من أوديته، فيكون أحدهما أبلغ في وصف ما كان بباله من الآخر في نعت ما هو بإزائه، وذلك مثل أنْ يتأمل شعر الأعشى والأخطل في نعت الخمر، وشعر الشماخ في وصف الخمر، وشعر ذي الرمّة في صفة الأطلال والدمن. فيقال: فلان أشعر في بابه ومذهبه من فلان في طريقته التي يدخلها في شعره»(٣)وهذا فهم للأسلوب على أنّه طريقة ينهجها الشّاعر في شعره تميّزه من

---

١) لطفي عبدالبديع- التركيب اللغوي للأدب ص ٨٩.

٢) ابن قتيبة- تاويل مشكل القران ص ص١٢.

*الإستاطيقي، لفظة حديثة تَعْني علم الوجدان أو الشعور وهي قسم من الفلسفة قوامه دراسة الجمال وتدلّ على دراسة الإدراك من طريق المشاعر والأحكام الذوقية» جبور عبد النور- المعجم الأدبي- ص ١٥ دار العلم للملايين -بيروت ط(١) ١٩٧٩.

٣)الخطابي- بيان إعجاز القران ص ٦٠.

غيره من الشّعراء.وجاءت نظرة الجرجانيّ للأسلوب على أنّه طريقة نظم الكلام على وجه مخصوص يُميّز الكاتب من غيره في صياغة تعتمد التناسق في أداء الغرض، يقول: « واعلم أنّ الاحتذاء عند الشّعراء وأهل العلم بالشّعر وتقديره وتمييزه أنْ يبتدئ الشّاعر في معنى له وغرض أسلوبا- والأسلوب الضرب من النّظم والطريقة فيه- فَيعْمَدُ شاعر آخر إلى ذلك الأسلوب فيجيء به في شعره...فيقال قد احتذى على مثاله »(١)

ويرى حازم القرطاجنيّ أنّ « الأسلوب هيأة تحصل عن التأليفات المعنويّة، والنّظم هيأة تحصل عن التأليفات اللفظيّة »(٢) ولا نوافق القرطاجنيّ في هذا المفهوم للنّظم، لأنّ النّظم شامل للتأليفات الدّلاليّة واللفظيّة على وجه خاص.

ويأتي رأي ابن خلدون فيما يسميه(سلوك الأسلوب عند أهل هذه الصّناعة) ويقصد صناعة الشعر رأياً في نظم الشّعر بطريقة أسلوبيّة تصف توافق الشّعر في نسيج كليّ متكامل يقول:«يرجع -سلوك الأسلوب - إلى صورة ذهنيّة للتّراكيب المنتظمة كليّة باعتبار انطباقها على تركيب خاص، وتلك الصّورة ينتزعها الذّهن من أعيان التّراكيب وأشخاصها ويصيّرها في الخيال كالقالب أو المنوال ثم ينتقي التّراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان فيرصها فيه رصاً كمايفعل البنّاء في القالب أو النسّاج في المنوال حتى يتسع

١) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٣٦١.

٢) حازم القرطاجنيّ- منهاج البلغاء وسراج الادباء ص ٣٦٤تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجه، دار الغرب الإسلاميّ- بيروت ط(٢) ١٩٨١.

القالب بحصول التّراكيب الوافية بمقصود الكلام ويقع على الصّورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربيّ فإنّ لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أنحاء مختلفة»(١).

وبهذا يتضح أنّ نظرة ابن خلدون للأسلوب قد بلغت نضجاً فنياً عالياً فهو يبني الأسلوب على اختيار التّراكيب المناسبة، وأنّ هذه التّراكيب لابد أنْ تمرَّ بالقوانين النّحويّة والبيانيّة وَفقاً للبنية العميقة والقدرة الكامنة وتقتضي هذه التّراكيب قالباً أو منوالاً خاصاً، وبذلك يلتقي مفهوم الأسلوب عند ابن خلدون مفهوم النّظم عند الجرجانيّ فإنّ الأسلوب قد بلغ نضجه الفنيّ على يد ابن خلدون الذي منحه القدرة على اختيار التّراكيب على وجه مخصوص.ويؤكد ابن خلدون هذه الفكرة في موضع آخر حيث يرى:« أنّ مؤلف الكلام هو كالبناء أو النّساج والصّورة الذهنية المنطبقة كالقالب الذي يبني فيه أو المنوال الذي ينسج عليه فإنّ خرج عن القالب في بنائه أو عن المنوال في نسجه كان فاسداً».(٢)

وبذلك صّور ابن خلدون مؤلف الكلام بالبنّاء أو النسّاج الذي يصدر من فكرة راسخة في بناء داخليّ ، وهذه الفكرة الكامنة تؤلف نظما لايجوز الخروج عنه فهي كلام النّظم المبني وَفْقَ نسق يرتضيه صانع الكلام، وهكذا رسم الأسلوب الذي يقتضيه مؤلف الكلام في تأليفه، وبرز هذا الأسلوب قانونا يغترف منه المعاني المناسبة لمبتغاة ولايخرج عنها لأنها أساس في القبول النّحويّ والبيانيّ.

---

١) ابن خلدون- مقدمة ابن خلدون جـ(١) ص ٥٧٠- ٥٧١ ط (٤).

٢) ابن خلدون- مقدمة ابن خلدون جـ (١) ص ٥٧٢.

وتمسك الأسلوبيّون «بدراسة أسلوب النّص ونظروا إلى دراسة الأسلوب في سياق الحدث الأدبيّ الذي ينطلق من مواصفات أبرزها: الدلالة والتعبير والتأثير»(١)ومن اتجاهات علم الأسلوب:«اتجاه وظيفيّ Functional يرى أنّ العمل الفنيّ لاينبغي أنْ يُحلّل على مستويات جزئيّة، وإنّما على أساس(السياق) ودراسة الأسلوب هناتقرّر أنّ كلّ كلمة إنّما هي جزء في جملة، وأنّ كل جملة جزء في فقرة، وأنّ كلّ فقرة جزء في موضوع. وعلى الباحث أنْ يدرس وظيفة كل هذه الأجزاء في (سياق) العمل الفنيّ»(٢)

«وأيّا ماكان تعريف الأسلوب فإنّ القدْر المشترك هو اعتبار الأسلوب استعمالاً خاصّاً للغة يقوم على استخدام عدد من الإمكانات والاحتمالات المتاحة، وتأكيدها في مقابل إمكانات واحتمالات أخرى»(٣)

ويرى(هاتزفيلد) :« أنّه ليست هناك اتجاهات متخالفة في علم الأسلوب، فلا ينبغي أنْ نتحدث عن علم أسلوب جماليّ، وآخر لغويّ، وثالث نفسيّ، بل لابد من ادّماجهاوتكاملها في اتجاه واحد يَكْتَسِبُ طابعاً لغوياً ونفسياً وجمالياً. ويصبح علم الأسلوب حينئذ معادلاً لفقه اللغة »(٤)

---

١) عبد السلام المسدي- الأسلوبية والأسلوب ص ٧٨-٨٢.

٢) عبده الراجحي- علم اللغة والنقدالادبيّ (علم الاسلوب) ص ١١٨ مجلة فصول، المجلد الأول، العدد الثاني، يناير ١٩٨١.

٣) سعد مصلوح- الأسلوب دراسة لغوية إحصائية ص ٣٣ دار البحوث العلمية ط (١) ١٩٨١.

٤) صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه واجراءاته ص ١١٠ الهيئة المصريّة العامة للكتاب وينظر: صلاح فضل- علم الاسلوب وصلته بعلم اللغاص ٥٢، مجلة، فصول، المجلد الخامس ،العدد الأول، ديسمبر ١٩٨٤.

والتعريف الذي نراه في هذا البحث للأسلوبيّة هو تعريف جاكبسون الأسلوب« بكونه إسقاط محور الاختيار على محور التّوزيع »(١) وفي ضوء هذا التعريف الذي نرتضيه للأسلوبيّة، وهو تعريف جاكسبون« فإنّ الأسلوب يتحدد بأنّه تطابق لجدول الاختيار على جدول التّوزيع، مما يُفرزُ انسجاماً بين العلاقات الاستبداليّة التي هي علاقات غيبيّة يتحدد الحاضر منها بالغائب، والعلاقات الركنيّة وهي علاقات حضوريّة تمثل تواصل سلسلة الخطاب حسب أنماط بعيدة عن العفويّة والاعتباط »(٢)

ومن هذا المنطلق يمكن النّظر إلى التّحليل الأسلوبيّ على اساس بعد تصنيفّي في المرحلة الأولى يسعى إلى جدولة الكلمات التي تنتمي إلي دلالة واحدة وتقيم علاقة استبداليّة، ولكن استحضار هذه الكلمات يكون غيابيًا عن طريق التدّاعي أو التذكر لهذه الكلمات ذات الحقل الدلاليّ الواحد، ويظهر أنّ المرحلة الأولى القائمة على استبطان العلاقة الدلاليّة بين تداعي مجموعة من الكلمات المرتبطة بدلالة كليّة تشبه البنية العميقة في النّظرية التّحويلية، لأنّها تُبنى على البعد التّجريدي الدّلاليّ، أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التّوزيع،وهي مرحلة حضوريّة تبني على عناصر الظاهرة اللغويّة في بنائها السطحي، وموقع كل عنصر في مكانه المناسب من حيث الصوت والتركيب والدلالة، ويبدو أنّ هذا البعد هو ما يعرف بالبعد السطحي في نظرية التحويل،

---

١) عبد السلام المسدّي- الأسلوبيّة والأسلوب ص ١٣٧.

٢) عبدالسلام المسّدي- الأسلوبيّة والأسلوب ص ٩١.

فهو وصف للعناصر الظاهرة والمتعلقة بالبنية السطحية، وهذا لايقلّل من أهمية البنية السطحيّة وإنمّا في ضوء هذه البنية تتحدد الإمكانات التّعبيريّة الدّاخليّة.

وهكذا يتضح أنّ اختيار الكلمات يتوقف على توزيعها في سياق نظريّة النّظم توزيعا بنائيًا يبرز أثر الانسجام والتّوافق الصوتيّ والتّركيب الدلاليّ في علاقات متماسكة سياقيًا.ويتضح أثر النّظم الأسلوبيّ من خلال اكتناه القيم الجماليّة في قوله تعالى:(واشتعل الرأسُ شيْباً).(١)هذا التركيب يدلّ على كَثْرَة الشيب في الرأس وظهوره ،واختيار كلمة(اشتعل) تفيد القوة في الظهور، فكلمة (اشتعل) يمكن أنّ يكون في معناها مجموعة من الكلمات ولكنّها لاتستطيع أنّ تبلغ المستوى الفنيّ الذي بلغته ، ومن هذه الكلمات: ظهر، انتشر، شَمَلَ، دبّ. وكذلك توزيع الكلمات على محور النّظم توزيعا دلاليًا يناسب مقتضى الحال دلالة ثانية تستشف من بياض الشيب وبذلك أخرجت الشيب بثوب جليّ.وينضاف إلى هذا النّقد الجماليّ بعد آخر يتجسد في سرعة الانتشار، وهذه السّرعة قدّمتها كلمة(اشتعل) وأشعرت بأنّ الشّيب ينتشر كما تشّتعل النّار ويظهر ملمح جماليّ من خلال توزيع الكلمات على محور النّظم توزيعا دلاليًا يناسب مقتضى الحال، فإسناد الاشتعال إلى الرأس يؤدي معنى الشمول، والتفت الجرجانيّ إلى هذا الملمح:« واعلم أنّ في الآية شيئا آخر منْ جنس النّظم، وهو تعريف الرأس بالألف واللام، وإفادة معنى الإضافة من غير إضافة وهو أحد ما أوجب المَزيّة »(٢)

---

١) سورة مريم آية (٤).

٢) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٨١.

فهذا يبيّن اهمية الاختيار عند الجرجاني ،وهو اختيار يتحدد في ضوء النظام الكلي، واهتمام الجرجاني بمبدأ الاختيار الأسلوبيّ يظهر من خلال توضيحه دور النّظم الكليّ في الآية:« إنّ الشّرف كان لأنْ سُلِك َفيه هذا المسلك وتوخي به هذا المذهب، أنْ تدع هذا الطّريق فيه وتأخذ اللفظ فتسنده إلى الشيب صريحا فتقول:اشتعل شيب الرأس والشيب في الرأس. ثم تنظر: هل تجد ذلك الحسن وتلك الفخامة؟ وهل ترى الروعة التي كنت تراها؟ »(١)

وإذا نظرنا إلى هذه الاستعارة في ضوء النّظم فإنّ الصّورة تتسم بالألفة فهي تؤلف موقفا نفسياً، فما نراه من خلال عناصر الصّورة يطالعنا به الخيال الذي يُقوّى اقتران الألوان في ضوء علاقة النّظم التي أسقطت الانحراف بين اشتعال النأر واشتعال الشّيب مما أفضى إلى تناسق القيم الجماليّة في علاقة النّظم.

ويقف الزّمخشريّ على أسرار البلاغة في هذه الآية بقوله:« شبه الشيب بشواظ النار في بياضه وإنارته وانتشاره في الشّعر وفُشوّه فيه وأخذه منه كلّ مأخذ، باشتعال النّار، ثم أخرجه مخرج الاستعارة، ثم أسند الاشتعال إلى مكان الّشعر ومَنْبِتِه وهو الرأس، وأخرج الشيب مُميّزاً ولم يُضِف الرأس، اكتفاء بعلم المخاطب أنّه رأس زكريا، فمن ثم فَصُحَتْ هذه الجملة وشُهد لها بالبلاغة ».(٢)

وتلتقي النّظرة التّحويليّة مع الأسلوبيّة في تحويل التّراكيب تَبَعاً للمعنى

---

١) عبدالقاهر الجرجانيّ دلائل الإعجاز ص ٧٩-٨٠.

٢) الزمخشري- الكشاف جـ٣ ص ٢-٣.

الدلاليّ، ونقف مع التّركيب القرآنيّ لاستخراج القيم التّوليديّة والتحوّيليّة للوقوف على أسرار إعجازه:

١- اشتعل الشيب في الرأس.

٢- اشتعل شيب الرأس.

٣- في الرأس اشتعل الشيب.

٤- « اشتعل الرأس شيباً ».

إنّ هذه التّراكيب نحّوية، ولكنّ الدّلالة تختلف في كلّ تركيب منها، فلا تفيد هذه التراكيب ضرباً واحداً من الدلالة فاختلاف النّظم يؤدي إلى اختلاف المعنى.

فالتركيب الأول يفيد أصل المعنى، وهو وقوع الحدث اشتعال الشّيب في الرأس، فهو تركيب اعتمد النّظم التّوليديّ الذي لايُركِزُ على أيّ عنصر من عناصر الجملة، وإنمّا جاء التّوزيع وَفْقَ التّرتيب الأصوليّ للجملة الفعليّة. أمّا التركيب الثّاني(اشتعل شيب الرأس) فإنّه يُفيد نوعاً خاصّاً من الدّلالة برزت من إضافة الشّيب للرأس فتعيّن بذلك نوع الاشتعال الذي حصل، ولكنّ الدّلالة لم تخرج عن البناء التّوليديّ بسبب عدم وجود عناصر التّحويل. والجملة الثالثة (في الرأس اشتعل الشّيب) جملة تحويليّة وتّم التّحويل باستخدام الرتبة، وهو تقديم شبه الجملة الذي أفاد تأكيد المكان الذي اشتعل فيه الشيب. وجاء التركيب الرابع «اشتعل الرأس شيباً» تركيباً تحويليّا بالرّتبة مما أفاد دلالة الشمول وسرعة الانتشار.

ونظر الزمخشريّ إلى قوله تعالى :« ربّ إنّي وهَنَ العظم منّي »(١) نظرة أسلوبيّة يقول:«وإنّما ذَكَرَ العظم؛ لأنّه عمود البدن وبه قوامه، وهو أصل بنائه، فإذا وهن تداعى وتساقطت قوته، ولأنه أشدّ مافيه وأصلبه ، فإذا وهن كان ما وراءه أوهن ، وَوحّدة لأنَّ الواحد هو الدال على معنى الجنسية، وقصده إلى أنّ هذا الجنس الذي هو العمود والقوام، وأشد ما تركّبَ منه الجسد قد أصابه الوهن ولو جمع لكان قصد الى مكان آخر، وهو أنّه لم يهن منه عظامه ولكن كلها »(٢). فقد اعتمد على الاختيار الأسلوبيّ في تحليله كلمة (العظم) وأدرك أثر المعاني النّحويّه في إكساب الكلمةالدّلالة الكليّة.

١)مريم آية(٤).

٢)الزمخشري- الكشاف جـ (٢) ص٢-٣.

النّظم والأسلوبيّة:

النّظم انسجام وتلاحم في صورة جميلة تناسب الذوق في غاية إبداعها، ويتم النّظم بأنْ تأخذ الكلمة مكانها المناسب مع السياق في إحكام تتداعى له الظلال النفسيّة، مما يُحْدِثُ تناسباً بين مفردات الجملة يُفضي إلى تسلسل المعنى، وتوظيف القيم التعبيريّة المناسبة في تناسق دلاليّ يبني على تتابع الألفاظ، ويؤلف هذا الانسجام تجاوباً عميقاً تبعا لمضمون العبارة مما يضع اللفظ الموضع الذي يجب أنْ يكون فيه ويأتي المعنى متدرجا وفق الحالة النّفسيّة.

فالنّظم عند عبد السلام المسدّي:« الانتظام الداخليّ لأجزاء النّص في صُلْب علاقات متآلفة تحددها نوعية بنية الألسّنية، وهو التّعريف المفضي إلى اعتبار الأسلوب المحل الهندسي لتقاطع محورين اثنين: أحدهما عموديّ وهو محور الاختيار وثانيهما أفقيّ وهو محورالتّوزيع »(١) ويلاحظ على تعريف المسديّ للنّظم أنّه يرتضي مفهوم جاكبسون للأسلوب حتى يكاد يتفق معه في إسقاط محور الاختيار على محور التّوزيع الذي أشرنا إليه قبلاً، وهذا يدلّ على اهمية الاختيار والتّوزيع في أئتلاف عناصر النّظم على وجه مخصوص.

الاختيار والتّوزيع:

يقوم الاختيار على انتقاء يبنى في إطارمنهج يأخذ بمبدأ تفضيل كلمة دون غيرها؛ لأنّ مدلول النّظم اقتضاها.وهكذا «يمتاز الأسلوب الأدبي بالاختيار

---

١) عبدالسلام المسدي- المقاييس الأسلوبيّة في النقد الأدبيّ من خلال البيان والتبين ص ٢٢٩ الأقلام العدد(١١) ١٩٨٠.

وبذلك ينطوي على تفضيل الإنسان بعض طاقات اللغة على بعضها الآخر في لحظة محددة من لحظات الاستعمال»(١) «والمقياس الثاني: توزيع الألفاظ وتنسيقها على سلسلة الكلام»(٢)

لم يكن مبدأ الاختيار الأسلوبيّ بعيداً عن امريء القيس في قوله:(٣)

أذود القوافي عنّي ذيادا ذياد غلام جريء جسـرادا

فلمّا كَثُرْنَ وعنّيْنـــه تخيّر منهنّ شتى جِيادا

فأعزل مَرْجانها جانبـاً وآخذ من درّها المستجادا

فلو أنعمنا النّظر في هذه الأبيات لألفينا أنّ نظام اللغة يسير وفْقَ مقتضيات عقلية تقوم على أساس الاختيار الذي تمليه التجربة، وما على المبدع إلاّ أنْ يُوظِّفَ الكلمات في بناء المعاني النّفسيّة وَفْقَ شكل يقتضيه الفكر ويختار مايناسب مقياس الجودة تحقيقاً للقيمة الجماليّة،وتنبه اللغويوّن العرب إلى هذه الفكرة، فلم يُغْفِلها الجاحظ عندما قال:«ولكلّ ضرب من الحديث ضرْب من اللفظ، ولكلّ نوع من المعاني نوع من الأسماء: فالسخيف للسخيف، والخفيف للخفيف، والجزل للجزل، والإفصاح في موضع الإفصاح، والكناية في موضع الكناية والاسترسال في موضع الاسترسال».(٤)

ومعلوم أنّ هذه النّظرة تُؤلف ملحظاً يدل على إحساس الجاحظ بأهمية المناسبة

---

١) عبدالسلام المسدي- الأسلوبيّة والأسلوب ص٧٢..

٢) عبدالسلام المسدي- المقاييس الأسلوبيّة في النقد الأدبيّ من خلال البيان والتبين ص٢٣١.

٣) امرؤ القيس- ديوانه ص ٩٠،دار صادر، بيروت.د.ت

٤) الجاحظ- الحيوان جـ٣ ص ٣٩.

الأسلوبيّة النابعة من مشاكلة اللفظ للمعنى المراد منه، ويدرك التمايز بين الألفاظ والمعاني إدراكاً أسلوبيًا يعتمد الاختيار المبني على التّقاطع بين اللفظ والمعنى على محور واحد من المناسبة، وهذه المطابقة التي أشار إليها الجاحظ موضحاً درجات التعبير هي معيار ترتضيه الأسلوبيّة، وبذلك استطاع أنْ يُحلّل الظاهرة اللغويّة بدقة تؤكد أهمية المستوى الفنيّ في الأداء، ويبدو أنّ هذا الفهم قد تدرج عند الجرجانيّ وبلغ مستوى فنياً عالياً نقف عليه في مكانه من هذا الفصل .

وتعدُّ ظاهرة الاختيار من مكونات النّظم عند الجاحظ لما تُقدّمه من تناسب دلاليّ بين اللفظ والموقف المناسب يقول:« ويقال: فلان أحمق، فاذا قالوا: مائق، فليس يريدون ذلك المعنى بعينه، ...وهذا المأخذ يجري في الطبقات كلّها: من جود وبُخل وصلاح وفساد، ونُقصان ورُجحان ».(١) فكلّ كلمة تحمل دلالة تناسب المقام الذي تُقال فيه تحقيقاً لمبدأ الاختيار الذي يضع الكلمة في مكانها اللائق بها، وهذا يدخل في سياق مراعاة حال المنظوم بعضه مع بعض.

ويشير أبو هلال العسكريّ إلى أهمية الاختيار في تعليقه على قول أبي تمام يقول:« ومن الغلط قولُ أبي تمام:

رقيق حواشي الحِلْم لو أنّ حِلْمَه بكفيك ما ماريت في أنّه بُرْدُ

فينتقد ذلك:« ما وصف أحد من أهل الجاهلية ولا أهل الاسلام الحِلْمَ بالرقة...وإنّما

---

١) الجاحظ- البيان والتبيين جـ(١) ص ٢٥٠.

يصفونه بالرُجحان والرَزانة»(١) ويوضح أهمية الاختيار ما جاء عند ابن سنان الخفاجيّ من تعريف للبلاغة علىأنها:« اختيار الكلام وتصحيح الأقسام»(٢)

وعني عبد القاهر في تحليل الظاهرة الأسلوبيّة المرتبطة بنظم الكلام وَفْق مبدأ الاختيار، يقول:«ومما يشهد لذلك أنّك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر»(٣) فهذا يدلّ على أنّ الاختيار للمفردات لاينفصل عن توزيعها في رتبة مناسبة، وأنّ النّظم اتحاد يجمع بين عناصر الاختيار وهذا يبرز أنّ:« التطابق بين جدول التوزيع، الذي للرصف، وجدول الاختيار، الذي للنمطيّة الكلامية ،يُقرّر الانسجام بين مفردات النص الأدبي، باعتبارهاعلامات استبداليّة، أي وحدات لغويّة معجميّة ، في عملية الإبداع»(٤)

ويرى عبدالقاهر الجرجانيّ أنّ التفاضل الأسلوبي يبني على تفاعل الألفاظ ودلالاتها في التركيب وفق السياق الذي يناسبها:« إنّ الألفاظ لاتتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأنّ الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها»(٥)

---

١) أبو هلال العسكري- الصناعتين- ص١٣٥.

٢) ابن سنان الخفاجي- سر الفصاحة ص٥٩- ٦٠.

٣) عبد القاهرالجرجاني- دلائل الاعجاز ص ٣٨.

٤) عدنان بن ذريل- اللغة والأسلوب- ص ١٥٤ منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٨٠.

٥) عبدالقاهر الجرجانيّ -دلائل الإعجاز ص ٣٨ وأسرار البلاغة ص٣.

فالكلمة لاتكتسب الطاقة التّعبيرية إلاّ بوجودها في نظام من العلاقات مما يضفي عليها صفة الحيويّة والحياة. فالاختيار ينبع من الاستخدام الدّلاليّ المفضي إلى الصّور التي تُكسب الأسلوب الحسن البلاغي والتّكامل وترتيب الأحكام في اتّساق. ويقرر الجرجانيّ معياراً للاختيار يُبني على أساس من الموازنة في الجمع بين المتشابهات، يقول:« وهذا باب ينبغي أنْ تراُعيه، وأن تُعنى به، حتى إذا وازنت بين كلام وكلام دريت كيف تصنع، فضممت إلى كلّ شكل شكله، وقابلته بما هو نظير له، وميّزت ما الصّنعة منه في لفظه، ممّا هي منه في نظمه ».(١)

وهكذا فإنّ إشعاع الحياة يسري في الألفاظ من خلال ألوان النّظم التي تَلْتَمِس الموقعيّة المناسبة مُوزعةً الألفاظ في ضوء دلالاتها بطريقة تناسب العلاقة الإسناديّة فالبلاغة لاتقف عند اللفظة الواحدة، ولكنّها تتقصى المرامي البيانيّة في نظم العبارة على وجه من الحسن البلاغيّ.وبهذا« ينتقي الشاعر من الألفاظ ويتخير، ويفاضل بينها، ويميّز بعضها من بعض، مُتّخذاً في نظمه البيت من الشعر لفظاً خاصّاً يأبى غيره، لأنّ أصواته توحي إليه مالا توحي أصوات غيره ».(٢)

ويفاضل عبدالقاهر الجرجانيّ بين الألفاظ على أساس الموقعيّه التي تظهر الحسن والجمال فموقع النّظم من أسرار المفاضلة ،يقدّم الجرجانيّ مثالاً قوله تعالى:(وقيل يا أرض ابلعيّ ماءَك وياسماء أقلعي وغيض الماء وقُضِيَ الأمرْ

١) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الاعجاز ص ٧٧

٢) إبراهيم أنيس- من أسرار اللغة ص ١٤٩ط(٦) مكتبة الأجلو المصرية ١٩٧٨.

واستوت على الجوديّ وقيل بُعداً للقوم الظّالمين).(١)فيقول:« ومعلوم أنّ مبدأالعظمة في أنْ نوديت الأرض ، ثم أُمِرَت، ثم في أنْ كان النداء بـ«يا» دون «أي» نحو يا أيتها الأرض، ثم إضافة«الماء» إلى «الكاف» دون أنْ يقال ابلعي الماء».(٢)

ويمكن القول إنّ الفن الأدبيّ يبني على اختيار في كلماته وتباين النّصوص يؤكد اختلاف المبدع في القدرة على اختيار كلماته سواء بطريقة شعوريّة أو غير شعوريّة، وتترك قضية الاختيار أثراً في النّفوس، لأن النّظم يُؤسس على لغة أحسن اختيارها وتوزيعها ممّا يُكوّن الأثر العجيب ألذي يفعل فعل السحر في النفوس.

وهكذا يتبين أن« اللغة بناء مفروض على الأديب من الخارج والأسلوب مجموعة من الإمكانات تحققها اللغة ويستغل أكبر قدر منها الكاتب الناجح، أو صانع الجمال الماهر الذي لايهمه تأدية المعنى وحسب، بل يبغي إيصال المعنى بأوضح السبل وأحسنها وأجملها، وإذا لم يتحقق هذا الأمر فَشِلَ الكاتب وانعدم معه الأسلوب»(٣)ولذلك نجد في «الدراسات البلاغية والأسلوبيّة اليوم اتجاهاً هاماً يُفسر الأسلوب – ومن ثم الفنّ الأدبيّ– بأنه عدول عن الكلام العادي مؤسس على مبدأ الاختيار»(٤) وتنبه الجرجانيّ إلى التفاوت في الأساليب تبعاً لمستويات النّظم يقول :« ...وأنّه كما يَفْضُلُ هناك النّظمُ النّظمَ، والتأليفُ

---

١) سورة هود آية ٤٤.

٢) عبدالقاهر الجرجانيّ– دلائل الاعجاز ص ٣٦-٣٧.

٣) ريمون طحان– الألسنية العربيّة جـ ٢، ١١٦-١١٧.

٤) حمادي صمّود– التفكير البلاغيّ عند العرب ص ٢٦٤،منشورات للجامعة التونسيّة، ١٩٨١.

التأليفَ... ثم يَعْظُم الفضل وتكثر المزية، حتى يفوق الشيءنظيرة، والمجانس له درجات كثيرة،وحتى تتفاوت القيم التفاوت الشديد. كذلك يَفْضُلُ بعض الكلام بعضاً »(١) وأدرك الجرجانيّ تعدّد أساليب النّظم فترك للمبدع الحريّة في اختيار الأسلوب الذي يناسب موضوعه، فقال:« ..وليس لما شأنه أنْ يجيء على هـذا الوصف حدٌّ يحصره وقانون يحيط به، فإنّه يجيء على وجوه شتى وأنحاء مختلفة». (٢)

وبيّن فندريس أهمية الاختيارفي اللغة الإنفعاليّة بقوله:« والانفعاليّة في اللغة تُعبّر عن نفسها على وجه العموم بصورتين: باختصار الكلمات، وبالمكان الذي يُخَصّصُ لها في الجملة يعني أنّ معينيْ اللغة الانفعاليّة الأساسييْن هما المفردات والتنظيم »(٣)وهكذا يتبين أنّ نظم الكلام بصورة خاصّة لأداء معنى مُعين يترك في النفس أثرا انطباعياً لايمكن تحقيقه إذا حاولنا تغيير النّظم إلى صورة ثانية، وإنّ تصورنا أنّ الصّورة الثانية تؤدي نفس المعنى، وهذا مردّه إلى بلاغة النّظم التي تحقق في ضوء مستويات بيانيه تختلف باختلاف السياق ومقتضى الحال، فالنظم يقتضي الدّقة في الاختيار الأسلوبيّ الذي يوازن بين عناصر العمل الفني في ضوء المعنى الذي يريد المبدع التعبير عنه.

---

١) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الاعجاز ص ٢٩.

٢) عبدالقاهر الجرجانيّ - دلائل الاعجاز ص ٧٤.

٣) فندريس- اللغة ص ١٨٦.

الاسلوبيّة والنّحو التّوليديّ التحّويليّ:

يقتضي الوصول إلى المعاني الدّلاليّة توسيع وظيفة النّحو وإخراجها من الشكليّة كشفاً عن المسائل اللطيفة والوجوه الدلاليّة، ويتمثّل هذا الوجه في تفسير المعاني الدّلاليّة الناتجة عن ترتيب النّص واختيار عناصره وتوزيعها في نظام من العلاقات، ويتطلب التصدي لهذه الملاحظ تقصي الملامح الأسلوبيّة والمعاني الدّلاليّة. ويقرّر عزة مالك:«أنّ الأسلوبيّة لابد لها من أنْ ترتكز على اللسانيّة إذا أرادت أنْ تتسم بالموضوعيّة والدّقة. وهذه المنهجيّة تُحتِّم على الأساليبي أنْ يلمّ بكل معارف اللغة وقواعدها: الدلاليّة منها والنّحويّة، البلاغيّة والعروضيّة وكذلك الصوتيّة. فهي تشمل جميع النواحي التي يجب أنْ تكشف عن أسلوب الكاتب، والتي تُحقِقُ غرض الأسلوبيّة مُبرهنةً أنّ الواقع الأسلوبي هو في الأساس واقع لغويّ يحمل طابع كاتبه الذاتي حيث يتجلى عالمه الداخلي ورؤياه الفريدة للعالم»(١)

ونشير هنا إلى أن التّحليل الأسلوبيّ لا بد له من العناية بالجانب الوصفيّ الذي يعتمد تصنيف العناصر اللغويّة في بعدها السطحيّ والجانب العميق الذي يعني بالعلاقة الدلاليّة، وهذان الجانبان من الأسس التي بُنِيَتْ عليها نظريّة التّوليد والتّحويل.» وأهمية النّحو التوليديّ لعلم الأسلوب ترجع إلى أنّه بجانب عنايته بهذه الوقائع التي تَخُصّ البناء السطحي، يُعنى كذلك بتلك

---

١) عزة آغا مالك – الأسلوبيّة من خلال اللسانيّة ص ٩٣،الفكر العربي المعاصر، العدد (٣٨)،آذر١٩٨٦.

الجوانب من اللغة التي يُطلق عليها اسم البناء العميق، وهي وقائع البناء اللغويّ التي لايمكن إرجاعها مباشرة إلى مايمكن ملاحظته. فمعظم الأحكام الأسلوبيّة ترجع إلى البناء العميق»(١) لعلّه قد اتضح أن قانون التّركيب يتحرك في ضوء نظرية التّحويل وَفْقَ دوائر دلاليّة مختلفة يُمليها اتحاد الشكل والمعنى فالنّحو تتكامل نظرته عندما يجتاز البعد الأوليّ للتركيب إلى كشف الأبعاد الدلاليّة العميقة له.

وهكذا « يأتي علم النّحو ليجسم البعد الكونيّ وهو بُعْدُ العمق فَيَخْرِقَ حقول التداخل والتباعد ليصبح مركز ثقل يستقطب جاذبية الأسلوبيّة على نوع ما من التناظر »(٢) ويميل علماء الأسلوب:« إلى استخدام طريقة النّحو التحويليّ في بحث (البنية العميقة) لتركيبات مؤلّف معين، لأنهّا تساعد أولاً على فهم كثير من المسائل الغامضة في النّص، وتساعد ثانياً على معرفة ما أضافه هذا المؤلّف إلى أساليب اللغة في التّركيب، على أنّ دراسة التّركيب عند الأسلوبيين لاتقتصر على بحث جزء الجملة أو الجملة، وإنمّا يتعداها إلى بحث الفقرة والموضع ثم العمل الفنيّ كاملاً »(٣)ومن الملامح اللافته أنّ إدراك الفُروق بين تركيب وتركيب يبدأ بإدراك العلاقات المؤلفة لكل تركيب مما يدفع إلى تقصي التحولات التي تطرأ على نظام العلاقات، وبذلك يمكن أن تقدّم نظريّة التّوليد والتّحويل كثيراً من لطائف الفروق الأسلوبيّة بين تركيب وآخر

---

١) شكري عياد- اتجاهات البحث الأسلوبي ص ١٥٩.

٢) عبدالسلام المسدي- الأسلوبيّة والأسلوب ص ٥١.

٣) عبده الراجحي- علم اللغة والنقد الأدبيّ (علم الأسلوب) ص ١٢١مجلة فصول، المجلد الأول ، العدد الثاني، يناير، ١٩٨١.

في ضوء الفروق الدّلالية الناتجة عن اختلاف التّراكيب.

ويرى أوهمان :« أنّ نظرية النحّو التّحويليّ أكثر صلاحية من غيرها من المناهج للتعامل مع اسلوب النّص الادبيّ، لأن الكثير من التّحويلات لها طابع اختياريّ، ومن هذه التّحويلات التي تعيد تنظيم المستوى السطحيّ تحويلات النّظام(Combination)وتحويلات الزيادة(Addition)وتحويلات الحذف(Deletion) ولذلك يمكن للنحّو التوليديّ أنْ يُولّد الكثير من التراكيب، فيمثّل بدائل على مستوى الدراسة الأسلوبية »(١)

ويذهب تشومسكي إلى :« أنّ النقطة الأساسيّة التي تمركزت حولها الدراسات اللغويّة الحالية،هي المظهر الإبداعيّ للغة . على مستوى الاستعمال العادي، وإنّ كل الظواهر لتوحي بأنّ الذات المتكلمة تخترع لغتها، – بوجه ما من الوجوه– كلما عَمِدَتْ إلى التعبير عن نفسها، وكأنّما هي قد تمثلت في صميم جوهرها المفكر نظاما متسقا من القواعد، أو النّحو التوليديّ الذي يسمح لها بابتكار لغتها »(٢)

وفَرّقَ سمير ستيتية بين المعنى النّحوي والمعنى الأسلوبي:« المعنى النّحوي هو إحدى الوظائف المعنوية الدالة على دور الكلمة في التّركيب. وذلك كأنْ نعرف أن كلمة (جديد) مثلاً في جملة (الكتاب جديد) تؤدي وظيفة الإخبار عن المبتدأ بالأمر الذي نريد إخبار السّامع أو القارئ عنه، والمعنى الأسلوبيّ هو

---

١) محمود عياد–الأسلو بية الحديثة محاولة تعريف، ص ١٢٨مجلة فصول، المجلد الأول، العدد(٢)، يناير، ١٩٨١.
٢) زكريا ابراهم– مشكلة البنية ص ٧٢.

الدّلالة التي لاتتضح من موقع الكلمة في الجملة وحدها وإنّما من خلال النّظر إليها كعامل مؤثر في الموضوع »(١)وهنا تجدر الإشارة إلى أنّ الأسلوبيّة قريبة الصّلة من جوهر نظريّة النّحو فالأسلوبيّة تقف على وجوه من أثر النّحو في القيم الدّلاليّة وهذا يبدي العلاقة بين البنى التركيبيّة والدلالات الأسلوبيّة.

يقول عبدالسّلام المسّدي:« كان النّحو سابقاً في الزمن للأسلوبيّة إذْ هو شرط واجب لها، فكلّ أسلوبية هي رهينه القواعد النحوية الخاصّة باللغة المقصودة النّحويّة، ولكنّها مراهنة ذات اتجاه واحد،لأنّنا إذا سلمّنا بأنْ لا أسلوب بدون نحو فلا نستطيع إثبات العكس فنقول:« لانحو بلا أسلوب»(٢) أمّا «علم النّحو syntax الذي هو تنظيم الكلمات في شكل مجموعات أوجمل، فقد يتسع مدلوله في بعض الأحيان على أيدي النّحاة التقليديين ليشمل سمات وخصائص تتعلق بالأسلوب الأدبيّ»(٣)ومثل هذا يقال في سبق الأنظار البلاغيّة في توسيع مفهوم النحو ليصبح قادراً على الكشف عن ملامح أسلوبيّة تكاملت في نظريّةالنّظم الجرجانيّة.

ويأتي التشابك عنصراً مشتركا بين التّحويليّة والأسلوبيّة يقول شكري عيّاد:« ولم يكن أصحاب النّحو التّوليديّ هم أوّل من اهتم بظاهرة التّشابك. وقد كان من المألوف أنّ وصف جملة ما« بالتّشابك »ينظر إليه على أنّه حُكْمٌ

١) سمير ستيتية–منهج التحليل اللغوي في النقد الأدبي، ص ٢٤٢ مجلة آداب المستنصريّة، العدد السادس عشر، ١٩٨٨.
٢) عبدالسلام المسّدي– الأسلوبية والأسلوب ص ٥٢.
٣) ماريوباي– أسس علم اللغة ص ٥٤ ترجمة: أحمد مختار عمر، نشر : عالم الكتب – القاهرة ط(٢) ١٩٨٣.

أسلوبيّ.واصطلاح«التّشابك» جزء من اللغة المعهودة في بحث الأسلوب والواقع أنّ هذا القول نفسه يصدق على «السلامة النحويّة» و«القبول» فكلا هذين الاصطلاحين يمكن ردّه إلى مصطلحات أسلوبيّة نقديّة»(١)هذه الظواهر البنائيّة من التشابك إلى السّلامة النّحوية والقبول تدخل في أشكال التّحليل اللغويّ وتوثر في عِلم الأسلوب.

ويختار التّحليل الأسلوبيّ: «إحدى التّفصيلات اللغويّة-كنقطة بدء- أيّاً كانت، ومهما كانت خارجيّة وسطحيّة، بشرط أنْ تتداعى إليها- في شكل مترابط تفصيلات أخرى تَسْمَحُ للناقد بحركة نحو مركز العمل الادبيّ، ساعياً- هكذا إلى بلوغ تشكيله الداخليّ ويُقْصَدُ بالتشكيل الداخليّ الجذر النفسيّ للكلمات، الذي يقود من العمل الفنيّ إلى نفسيةمُبدعه».(٢)

فهذه طريقة في التّحليل الأسلوبيّ تلتقي مع التّحويليّة إذْ تنظرالى اهمية البناء السطحيّ في الكشف عن البناء الداخلي العميق للنّص، وذلك باختيار ظاهرة معينة لتكن الرتبة أو الحذف أوالزيادة، ومحاولة تكثيف النّص في هذه البؤرة بطريقة اشعاعية تستقطب الخيوط النفسيّة في علاقة تجعل هذه الظاهرة مركزا في النّظم تتجمع فيه الدلالات الكليّة بطريقة تعدّ هذهالنقطة التقاء مجموع العلاقات التي تصب في نقطة دلاليّة، هي إضاءة النّص وهي علاقة تحويليّة نقلت

١) شكري عياد-اتجاهات البحث الأسلوبي ص ١٥٨.

٢) سليمان العطار- الأسلوبيّة علم وتاريخ ص ١٣٦ ترجمة: سليمان العطار ، مجلة فصول، المجلد الأول، يناير، ١٩٨١.

النّص بانحراف معياريّ، ولكن تقصي هذا الانحراف يكشف عدد الدّلالات بين التّوليد والتّحويل.

ويمكن أنْ يفسر«عدم استقرار النّحو بفعل الانفعاليّة إلى حدّ كبير. فالمثل المنطقيّ الأعلى للنّحو هو أنْ يوجد لكلّ وظيفة عبارة، وعبارة واحدة لكل وظيفة. ولتحقيق هذا المثل يَجب أنْ تكون اللغة ثابته ثبوت الجبر حيث يبقى الرمز منذ أنْ يُصاغ أول مرة، ثابتا لايتغير في جميع العمليات التي يستعمل فيها.ولكنّ الجمل ليست رُموزاً جبريّة. فالانفعاليّة لاتنفك تكسو عبارة الفكر المنطقيّة وتكونها»(١) « وما يظهر في اللغة من عدم المنطق مردّه إلى العاطفة الإنسانيّة . فإنّنا عندما نُحِبّ ُونعبر عن حبنا، وعندما نغضب ونثور فنشتم ونسب، وعندما نتعجب ونتفجع ونستغيث، أقول، في مثل هذه لاتكون الجمل التي نتفوه بها حُكْماً منطقيًا ضرورة».(٢)

يكشف هذا المنحى عن درس الجانب الانفعالي للغة،فيعدّ المدح والذم والتعجب والاستغاثة عواطف إنسانيّة لا تخضع للمقاييس المعياريّة في النّحو، ولا نوافق هذا المنحى في الدراسة لأنّ ضبط هذه الأساليب وإحكام دراستها يقتضي النّظر إليها نظرة معياريّة تُميّز لطائف كلّ أسلوب وما تُفضي إليه الملامح الأسلوبيّة من تغيّرات دلاليّة تتعلق بوجوه التّوليد والتّحويل.

---

١) فندريس- ص ٢٠٢.

٢) انيس فريحة- نظريّات في اللغة، عدد(٣)، ص ١٤١دار الكتاب اللبنانيّ، بيروت ط (١) .د.ت.

وبيّن محمد عيد أنّ:« الدراسة اللغويّة لاتعترف بالانفعال وحده أساساً في فهم المقصود من المنطوق، وإنّما يقوم ذلك الفهم على أساس السيّاق اللغويّ والموقف الاجتماعيّ، ومهمة اللغويّ أنْ يُحدِدَ شكل الجمل المنطوقة وصفاتها معتمداً على ذلك».(١)

ونقدم مثالاً للدراسة الأسلوبيّة في النحو العربيّ أسلوب التعجب من التراكيب الإفصاحيّة، يقول رمضان عبدالتواب: « إنّ الجملة الإفصاحيّة تعبر عن النفس الإنسانيّة بما يعتورها من حالات الرضا والسرور والغضب والنفور، والاستحسان والاشمئزاز، وغير ذلك، ينعكس أثرها على اللغة في تطورها وحياتها »(٢)فالتعجب عند صاحب الكافية:«تعبير انفعاليّ تتعرض له النفْس الإنسانيّة بسبب استعظام أمر يخفي سببه، ولذلك قيل: إذا ظهر السبب بَطُلَ العجب»(٣)ويجري التعجب في اللغة العربيّة على أسلوبيّة تُحصَر في صنفين: الأول: قياسيّ والثاني :سماعيّ.والتعجب من الأساليب الإنشائيّة، ولكنَّ ابن يعيش يقدّم رأياً طريفاً في تفسيره يقول:«وإنّما هو خبر محتمل للصدق والكذب، فَيصِحُ أنْ يُقالَ في جوابه صدقت أو كذبت لأنّ(ما أحسن زيداً !) في معنى: حَسُنَ زَيْدٌ جداً»(٤) ويُقيم إبراهيم السامرائيّ مُقارنةً بَيْنَ جملة التعجب الإنشائيّة والجملة الخبريّة التي يُقدّمها النّحاة تفسيراً لها فيقرّر هذا الملحظ

---

١) محمد عيد- أصول النحو العربيّ، ص ٢١٩ عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٣.

٢) رمضان عبدالتواب- المدخل الى علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ ص ١٤٥ نشر: مكتبة الخانجي- القاهرة، دار الرفاعي- الرياض ط(١) ١٩٨٢.

٣) رضي الدين الاستراباذي- شرح الكافية في النحو جـ (٢) ص٣٠٧دار الكتب العلمية-بيروت ط (٣)١٩٨٢.

٤) ابن يعيش- شرح المفصل جـ٧ ص ١٤٨ إدارة الطباعة المنيرية.

بقوله:« إنّ التعجب أسلوب من الأساليب كالتمني والترجي والدعاء وما أشبه ذلك، ولايمكن أنْ تُفسّر هذه الأساليب بجمل خبريّة. وعلى هذا لايمكن أنْ تكون جملة« شيء أحسَنَ زيداً » تفسيراً لجملة التعجب الإنشائيّة«ما أحسن زيداً »(١)وربما كانت رغبة النّحاة في اطّراد نظريّة العامل قد أفضت إلى التفسير الذي قدّمه ابن يعيش لأسلوب التعجب،ولكنّ هذا التفسيرلم يقف عند حدود العامل فقد استطاع صاحب الكافية أنْ يقدّم تعليلا يعتمد المعنى الأسلوبيّ عندما فسر التعجب بأنّه تعبير انفعاليّ تتعرض له النفس الانسانيّة بسبب استعظام أمر يخفى سببه . ويرى تّمام حسان أنّ جملة التّعجب:«جملة إفصاحيّة للتعبير عن موقف انفعاليّ... وهي صيغة مسكوكة لا تقبل الدخول في جدول إسناديّ كما تدخل الأفعال والصفات ولا في جدول تصريفيّ كما تدخل الأفعال والصفات»(٢) ويكاد النحاة يجمعون على عدم الفصل بين فعل التعجب والمتعجب منه، والعلة في ذلك أنّ هذا التّركيب يجري مجرى المثل، فذهب الأخفش والمبرد وكثير من البصريين إلى المنع ، واحتجوا:«بأنّ التّعجب يجري مجرى الأمثال، للزومه طريقة واحدة، والأمثال الألفاظ فيها مقصورة على السماع»(٣) «فلا يجوز تغييرها عن مواضعها، ولوقلت: ما أحسن عندك زيداً، وما أجملَ اليوم عبدَالله. لم يَجُز،...لأنّ هذا الفعْل لمّا لم

١) ابراهيم السامرائيّ- النحو العربيّ نقد وبناء ص ١٠٥- ١٠٦ دار صادق بيروت د.ت.
٢) تمام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها ص ١١٣-١١٤.
٣) ابن يعيش- شرح المفصل جـ٧ ص ١٥٠.

يتصرف لزم طريقه واحدة، وصار حُكْمُه حكْمَ الاسماء.(١) ويرى الخولي بأنّ جملة التعجب جملة تحويليّة.(٢) والنّظرة الدلاليّة تُظهر أنّ جملة التعجب نَمَط أسلوبيّ وُضِعَ بطريقة خاصّة، وفي ضوء نظرية التّوليد والتّحويل يتضح أنّه تركيب توليديّ أصولي لايمكن تحويله وَفْقَ قانون الرتبة، لأنّه جرى مجرى المثل وبُنِي على ظاهرة التّلازم التي حفظت الرتبة بين فعل التعجب والمتعجب منه، وجَمُدَ التركيب على هذه الرتبة.

١) المبرد- المقتضب جـ ٤ ص ١٧٨.

٢) محمد علي الخولي- قواعد تحويليّة للنحو العربيّ ص٢٠١- ٢٠٢نشر المملكة العربية السعودية-الرياض ط(١) ١٩٨١.

معنى البنيويّة :

استخدم لفظ (البنية) في النّقد العربيّ القديم ، ولكنّه ليس بالاستخدام الدّلاليّ الذي تقدّمه الدّراسات اللغويّة المعاصرة ، فقد أفرد ابن طباطبا باباً من كتابه (عيار الشعر) سماه :(ملاءمة معاني الشّعر لمبانيه) ذكر فيه أنّ بنية الشّعر تؤسس على أنْ :« يحسه (الشاعر) جسما ويحققه روحاً ، أي يُتْقِنُه لفظاً ، ويُبدِعُه معنى ، ويسوّى أعضاءه وزناً ، ويُعَدل أجزاءه تأليفا ، ويُحسّنُ صورته إصابةً ».(١)

فنظرة ابن طباطبا جاءت في بنية الشّعر ، وقياسا على هذه النّظرة جاء قول قدامه بن جعفر في ائتلاف اللفظ والوزن :« وهو أنْ تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامّة مستقيمةكما بُنيَتْ لم يَضطر الأمر في الوزن إلى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها »(٢)وعرض للتصريع بقوله « لأنّ بنية الشّعر إنما هي التّسجيع والتقفيه ، فكلما كان الشّعر أكثر اشتمالاً عليه كان أدخل له في باب الشّعر وأخرج له عن مذهب النّثر ».(٣)

وجاء مفهوم البنية عند ابن رشيق دالاً على البناء في حديثه عن المطبوع والمصنوع من الشعر، يقول :«والعرب لا تنظر في أعطاف شعرها بأنْ تُجنِسَ أو تطابق أو تقابل ، فتترك لفظه للفظة ، أو معنى لمعنى ، كما يفعل المحدثون ، ولكنْ نظرها في فصاحة الكلام وجزالته ، وبسط المعنى وإبرازه ، وإتقان بنية الشـــعر ،

١) ابن طباطبا – عيار الشعر ص١٢٥– ١٢٦.
٢) قدامه بن جعفر – نقد الشعر ص ١٦٥.
٣) قدامه بن جعفر – نقد الشعر ص ٩٠.

وإحكام عقد القوافي ، وتلاحم الكلام بعضه ببعض ».(١)

وجاءت البنية عند حازم القرطاجنيّ مشابهة لهذا المعنى في حديثه عن جمع الشاعر بين المعاني يقول :« إذا كان مُقْتدراً على النفور من معاني جهة إلى معاني جهة أو جهات بعيدة منها من غير ظهور تشتت في كلامه ، وكان حسن المآخذ في ما يَعْضِدُ به المعاني التي هي عُمْدَةٌ في كلامه، من الأشياء التي يَحْسنُ اقترانها بها ، بصيراً بأنحاء التدرج من بعض الأغراض والمعاني إلى بعض ، بالغاً الغاية القصوى في التّهدي إلى أحسن ما يمكن أنْ تكون بنية غرضه وكلامه عليه من المعاني الشديدة العلقة بغرضه والانتساب الى مقصده ».(٢)

ولا تظهر أهمية البنية من خلال العنصر أو الكل وإنما المهم هو :« العلاقات القائمة بين العناصر ، على اعتبار ان الكلّ ليس إلاّ الناتج المُتَرتِب على تلك العلاقات أو التاليفات مَعَ ملاحظة أنّ قانون هذه العلاقات ليس إلا قانون النّسق نفسه »(٣)ومعنى ذلك أنّ « المكونات تجتمع لتعطي في مجموعها خصائص أكثر وأشمل من مجموع ما هو في كلّ واحدةٍ منها على حده ، ولذلك فالبنية تختلف عن الحاصل الكليّ للجمع ؛ لأنّ كلّ مُكوّن من مكوناتها لا يحمل نفس الخصائص إلا في داخل هذه الوحدة ، وإذا خرج عنها فقد نصيبه من هاتيك الخصائص الشموليّة »(٤) ويتوقف إدراك الأسرار الجماليّة وكشف المعنى على مجموعة العناصر في بنائها

---

١) ابن رشيق العمدة ج(١) ص ١٢٩.

٢) حازم القرطاجنيّ – منهاج البلغاء ص ٣٢٣-٣٢٤ .

٣) زكريا إبراهيم – مشكلة البنية ص ٣٤ ، دار مصر للطباعة د.ت.

٤) عبدالله الغذامي – الخطيئة والتكفير ص٣٢ جدة – المملكة العربية السعودية ط(١) ١٩٨٥.

الكليّ وإنْ كان كل عنصر له معناه وما يُميّزه من الخصائص :«فالمعنى يتعاون مع غيره من المعاني في الائتلاف ، وإنْ كان كل معنى يصور هيئة بذاته، إلا أنه إذا جاء ضمن تركيب شامل، فإنّه يُنظر إليه مُنظماً مع المعاني التي تنسجم معه في الاتصال والائتلاف ».(١)

ولعلّ مما يستحق الذكر أنّ « اللسانيات البنيويّة تعرف نقطة الانطلاق من دي سوسير الرائد الأول في البنيوية ، وقدتمّ إدخال البنية على أنّها نظريّة تَتَصوّر اللغة نظاماً مُترابطاً من الوحدات، وبهذا تجاوزت البنيويّة الأبحاث التّطورية التي تتناول الظواهر المنعزلة »(٢).

وعرض نهاد الموسى أبرز أصول البنيويّة فقدّم تحليلا لغويا يُفسر أبعاد الظاهرة اللغّوية وفق العناصر البنيويّة ، وأظهر أنّ بعض الأصول البنيوية كانت من الملاحظ التي أقام عليها النحويون منهجهم في التحليل النحوي وامتحان الظاهرة اللغويّة ، وبَيّن أنّ بعض عناصر البنيوية قد تحصلت في معطيات النحو العربي .(٣)

وتُعرّف البنيوية بأنّها:« طريقة للنظر إلى الأنشطة الفكريّة والسلوكية للمجتمع والفرد ، وربط بعضها ببعض ، قديمها وحديثها ، وأنْ يكون كلّ نشاط في حدّ ذاته نظاماً متكاملا ، يقصد الاهتداء إلى النّظام الكونيّ والبناء الكليّ للعقل

---

١) محمد بركات أبو علي-مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة ص٦٩ دار البشير،عمان-الاردن،١٩٨٨.

٢) ابن كلثوم نجيب ، البنيويون والدلالة ص٤٠ الفيصل ، العدد ١٤٦ السنة الثالثة عشرة ، اذار ١٩٨٩ .

٣) نهاد الموسى - نظرية النّحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ص٢٧-٥٠.

البشريّ »(١)والبنية :« نسقية أو إطار ذهنيّ ، أو هيكل تكوينيّ يتمتع بتنظيم ذاتيّ... وهي ، وإنْ تكن جُزءا من الواقع ، إلا أنها ليست الواقع التجريبيّ ، الذي تقدّمه المباشرة الأوليّة .... وإنّما هي المستوى غير الظاهر الذي يجب الكشف عنه وراء المعطى المباشر »(٢)فالبنية معناها :« الترابط المحكم القائم بين أجزاء اللغة الواحدة بحيث ينتظم كّل أشكال هذه اللغة وصورها : سواء في تركيب الأصوات ، وتركيب الجمل ، فلا يمكن مثلاً دراسة لفظ في نظام معجميّ إلا بعد دراسة بنية اللغة التي يَنْتَسِبُ إليها هذا النظام المُعْجَمي». (٣)

ويرى عدنان بن ذريل أنّ البنيويّة :« مذهب عِلْميّ يستند إلى وضعية عقلانّيةيريد توضيح الوقائع الاجتماعية ، والإنسانيّة ، بتحليلها ، وإعادة تركيبها ، وشرحها على هدي التّصميم الداخلي الذي تَخْضَعُ له ، ألا وهو : البنية »(٤) وتشتمل البنية «المضمون والشكل بقدر مايُنظّمان لأغراض جماليّة ، فالعمل الفنيّ قد اعتبر إذن نظاماً كلياً من الإشارات ، أو بنية من الإشارات تَخْدِمُ غرضاً جماليّا ».(٥)

---

١) نبيلة إبراهيم – البنائية بين العلم والفلسفة ص٥ الأقلام ، العدد الرابع ، السنة الثالثة عشرة ، كانون الثاني، ١٩٧٨.

٢) عدنان بن ذريل – اللغة والأسلوب ص ٤٤ .

٣) عبد الرحمن بدوي -- اللغة والمنطق في الدراسات العالية ص٧٥ المجلد الثاني ، العدد الأول ، ابريل – مايو يونيه ١٩٧١.

٤) عدنان بن ذريل – اللغة والأسلوب ص ٤٢ .

٥) رينيه ويليك – أوستن وارين – نظرية الأدب ص ١٨١ ترجمة:محيي الدين صبحي وحسام الخطيب ، نيوهافن ، أيلول ١٩٦٢ .

وهكذا فالموقف البنيويّ :«هو الموقف الذي يركز اهتمامه لا على العنصر الواحد فحسب ، ولا على الكل المفروض هكذا ضربةً واحدةً ، إنّ ما يهمه بالدّرجة الأولى هو ملاحظة العلاقات المتداخلة التي تربط بين العناصر ، ثم عملية تَشْكيل الكلّ التي لا تتوقف من خلال هذه العلاقات ».(١)

وعلى هذا « فإنّ النزعة البنيوية في الدراسات اللغوية تهدف الى بيان أنّ اللغة نظام محكم مُترابط الأجزاء ، له تركيب خاص ابتداء منه تُفْهَمُ أشكال اللغة وتحولاتها ، وكلّ لغة هي أساساً وحدة مستقلة تتوقف أجزاؤها بعضها على بعض باطناً ، وهذا الاعتماد الذاتي الباطني هو ما يُسمى : البنية ، وتقوم هذه النزعة على مبدأ اساسيّ ، مؤداه أنّ اللغة تُكوّن نظاما ، تتحد كلّ أجزائه ويتوقف بعضها على بعض . والمذهب البنيويّ يقول : بسيطرة النّظام على العناصر ، ويهدف الى استخلاص النّظام من خلال العلاقات القائمة بين العناصر سواء في السلسلة المنطوق بها، وفي النماذج الشكلية ويبيّن الطابع العضوي للتغيرات التي تخضع لها اللغة »(٢)

ويتضح «أن الطبيعة الحقيقيّة للأشياء لا تَكمُنُ في الأشياء نفسها ، بَلْ في العلاقات التي نكونها ، ثم ندركها بين الأشياء .وفي ضوء هذا المفهوم الجديد فإنّ العالم مؤلف من علاقات أكثر مما هو من أشياء ، فالبنيوية تدّعي ، في أبسط

---

١) هاشم صالح–البنيوية والحداثة ص٨١،مواقف،العدد ٣٦شتاء ١٩٨٠.

٢) عبد الرحمن بدوي اللغة والمنطق في الدراسات العالية ، ص ٧٦ عالم الفكر ، المجلد الثاني ، العدد الأول ، ابريل ١٩٧١.

تعاريفها ، أنّه لا أهمية لطبيعة كل عنصر في أية حالة معينة بحدّ ذاتها ، وأنّ هذه الطبيعة تقررها علاقة العنصر بكل العناصر الأخرى ذات العلاقة بتلك الحالة ، وباختصار، لا يمكن إدراك الأهمية الكاملة لأيّ كيان أو أية خبرة ما لم يتفاعل (الكيان) مع البنية التي يؤلف جزءاً منْها »(١)ويبدو أنّ « الحديث عن بنيويّة المنهج وبنية الظاهرة الأدبية التي يعالجها المنهج لا بُدّ أنْ يقود الى أمر مُهم يرتبط بإلحاح المنهج على التقاط كليات الظاهرة الأدبّية وأنساقها ونظمها ، وتحليلها تحليلاً يؤكد أن الظاهرة الأدبية تنطوي علي خاصية لا يمكن اختزالها من الأجزاء المنعزلة ».(٢)

وتهدف البنيويّة إلى :« اكتناه جدلية الخفاء والتجلي وأسرار البنية العميقة وتحولاتها .. بَلْ إلى أبعد من ذلك بكثير ... إلى فكر بنيويّ لا يقنع بإدراك الظواهر المعزولة، بَلْ يطمح إلى دراسة المكونات الأساسيّة – في الثّقافة والمجتمع والشعر– ثم إلى اقتناص شبكة العلاقات التي تشيع منهاوإليها ، والدلالات التي تَنْبُعُ من هذه العلاقات ، ثم إلى البحث عن التحولات الجوهرية للبنية ، التي تنشأ عبرها تجسيدات جديدة لا يمكن أن تفهم ، إلا عن طريق ربطها بالبنية الأساسية وإعادتها إليها ، ومن خلال وعي حادّ لنمطي : البنية السطحيّة والبنية العميقة ».(٣)

---

١) ترنس هوكز – البنيوية وعلم الاشارة ص١٤–١٥ترجمة : مجيد الماشطة إدارة الشؤون الثقافية العامة ط(١) ١٩٨٦ .

٢) جابر عصفور – قراءة في لوسيان جولدمان عن البنيوية التوليدية ص ٨٧ فصول ، المجلد الأول ، العدد الثاني، يناير ١٩٨١

٣) كمال أبو ديب – جدلية الخفاء والتجلي – ص٨ دار العلم للملايين ط(٢) ١٩٨١ .

فالبنيويّة تسعى في رأي كمال أبو ديب إلى اكتناه أبعاد العمل الفنيّ من خلال تتبع العلاقات القائمة بين مكوناته اكتناها يُفضي إلى نشوء دلالات جديدة من المعاني التي لَمْ يَكُنْ مُتاحاً الوصول إليها ولا إدراكها من عناصر النّص السطحية ، وإنّما يمكن الوصول إليها من خلال وعي حادّ لنمطي البنى السطحية والعميقة .

وقام بياجيه بعرض عناصر البنيويّة فهو يرى أنّ من الممكن ملاحظة البنية من خلال :« أ: فكرة الكليّة ب – فكرة التحوّل جـ فكرة الانتظام الذاتيّ، وتعني الكليّة التماسك الداخليّ إذْ يكون انتظام الكيانات كاملاً بنفسه ، وليس مجرد تجميع لما يمكن أنْ تكون عناصر مستقلة بدونه .وعلى البنية أنْ تكون قادرة على العمليات التحويلية التي تَهْضِمُ من خلالها المادة الجديدة باستمرار ، لهذا فاللغة قادرة على تحويل جمل أساسية متنوعة إلى أوسع تشكيلة من التفهوات الجديدة ، وللبنية انتظام ذاتيّ ، بمعنى أنّها لا تحتاج إلى ما هو خارجها لِتُكْسِبَ عملياتها التحويلية صبغة مشروعة وتقوم التحويلات بالمحافظة علىالقوانين الذاتية التي تُجري هذه التحويلات »(١)

وأفاد تشومسكي البنائيين في توجيه مَنْهَجِهم فغيّر مسار البحث في اللغة ((فقد وضع تشوسكي البناء اللغويّ ضمن الأبنية العامة التي تتحد وحدتها المكتملة لا من القوانين البنائية الثابته ، بَلْ من قوانين التحول ، وهذا الاكتمال لا يرجع الى النظام العام للغة فحسب ، بَلْ يرجع إلى التنظيم الذاتي لها ، إنّ المفاهيم الأساسية

---

١) ترنس هوكز – البنيويّة وعلم الإشارة ص ١٣-١٤.

في البناء تتمثل في التكامل والتّحول والتنظيم الذاتي ، وهذا ما دعا إليه تشومسكي في محاولة شرحه للبناء اللغوي »(١)واستطاع تشومسكي أنْ يرصد العلاقة بين القدرة الكامنة والأداء الكلامي من خلال قوانين التحويل البنيويّ .

ويتصف المنهج البنيوي بأنّ الوصول إلى البنية ينتظم في « عمليتين أساسيتين هما الاقتطاع والتركيب ، أي اقتطاع الأجزاء الدالة للشيء للكشف عن كيفية قيامها بوظائفها ومدى تأثيرها في الكل ، ثم تركيب هذه الأجزاء بعد اكتشاف قوانين حركتها في كلّ عضوي وتحليل القواعد المتصلة بايحاءاتها وأنظمتها المختلفة ».(٢)

فالكشف عن عناصر النص هو بعد وصفي يرتبط بالبناء السطحي ولكن الوقوف علي أبعاد النص يقتضي الوصول إلى البناء العميق ، وذلك باكتشاف النظام الذي تتوزع فيه العناصر دلالياً ، ومعنى هذه المقولة :« أنّه ليس يكفي أن نكتشف القانون الباطن لأي نسق أو نظام أو أنْ نقف على مجموع العلاقات أو المتضايفات القائمة بين عناصره ، وإنّما ينبغي ايضاً أنْ نتوصل إلى الكشف عن القانون الذي يُحدِثُ أو يُنتِجُ هذا النسق إذ هنالك نكون قد وصلنا بالفعل إلى مفهوم البنية »(٣)

---

١) نبيلة ابراهيم – البنائية بين العلم والفلسفة ص ٩ الأقلام، العدد الرابع ، السنة الثالثة عشرة ، كانون الثاني، ١٩٧٨.

٢) صلاح فضل – نظرية البنائيّة ص ٢٠٦ نشر : مكتبة الأنجلو المصرية ،١٩٨٠.

٣) زكريا ابراهيم مشكلة البنية ص ٢١.

النّظم علاقة بنيويّة :

يبدو أن نظرية النّظم يمكن أنْ تكشف العلاقات البنيوية بين الجمل وتشكل هيكل النحو العربي في ضوء الوصف الذي ينتمي إلى القواعد النحوية ، ولكنْ لابد من إضافة المستوى الدلالي للنظرة البنيويّة حتى لا تقف عند المستوى التفسيريّ السطحيّ وبذلك يستفاد من النظرة التّحويلية .فالدراسة اللغويّة الحديثة في مناهجها المتشابكة تُبْرِزُ شموليّة التّحليل على أنّه افتراض نظري يتسع لقواعد البنيويّة والنّحوية والدّلالية ، وأن الوصف البنيوي أساسيٌ في تفسير النّص في ضوء معطيات التّحليل إلى المؤلفات المباشرة .

والفكرة الأساسّية التي يمكن افتراضها أنّ النّص الأدبي يؤلف نظاما ، ويأتي التحليل كشفا عن تجليات هذا النّظام بطريقة كليّة تجمع عناصر البنية ، وبذلك تؤلف هذه النظرة مِعْياراً للبحث عن القيم الجمالية في ضوء الكلّ الذي يحصر العلاقات في أبعاد ائتلافية تنطوي على أنساق من المتجانسات الداخلية التي تصب في الكل ، فدراسة البنية تعني النّظر الى المكونات ودورها في العلاقة الكلّية .

ويطمح النّظم إلى تحقيق تفاعل المستويات للوصول الى مستوى مشترك في ضوء تحليل نظام العلاقات السطحي والكشف عن البنية العميقة ، وبذلك تُصنّف العلاقات السطحيّة بطريقة رياضية من أجل الوصول إلى الأنساق العميقة التي تَحْكُمُ الظاهرة اللغوية ، فالعنصر اللغوي لا تأتي قيمته بمفرده وإنّما يكتسب هذه القيمة من اتحاد شبكة العلاقات المؤلِفة للنظام الكليّ .

من هنا تبدو نظرية النظم في بعدها الأوليّ تصنيفا للعناصر اللغوية بطريقة

رياضية تسمح بتنظيم الجملة وتساعد على اكتشاف المعنى ، فالبنية الشكلية قادرة على تقديم حساب منطقي يتسنى باكتشافه الوقوف على البنية العميقة .

ويتجاوز النظم في تكوينه الأفكار الجزئيّة وينظمها في وحدة متكاملة فكراً،وعاطفة، وخيالا، فهو عملية بنيوية تمزج عناصر العمل الفنيّ في اتحاد تتفق فيه الألفاظ والمعاني والوزن والقافية . وبهذا يستطيع النظم أنْ يؤلف أداة فنية لتحليل العمل الأدبيّ في ضوء العلاقة بين المبدع والمتلقي والنص .

واهتم الجرجانيّ بدراسة معاني الجمل الناتجة من البنية اللغوية، فذكر من أقسام التعلق : «تعلق بمجموع الجملة ، كتعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء بما يدخل عليه . وذلك أنّ من شأن هذه المعاني :أنْ تتناول ما تتناوله بالتقييد وبعد أنْ يُسند إلى شيء » (١) .وهذا قريب من قانون الدرس اللغوي الحديث ، (معاني البنية اللغوية) الذي يقصد به : «المعاني التي تحملها نماذج الترتيب واختيار الأقسام الشكلية وهي المعاني التي تدور على ما إذا كانت الجملة تقريراً ، أو استفهاماً ، أو رجاءً ».(٢)

وتظهر تجليات البنية اللغوية مكونة شبكة من العلاقات الدلالية بغية الوصول للدلالة الكليّة فيما يقوله الجرجانيّ بنظرة بنائية :« والنكته التي يجب أنْ تُراعى أنّه لا تتبين لك صورة المعنى الذي هو معنى البيت من الشعر إلا عند آخر حرف من البيت »(٣)

---

١) عبد القاهر الجرجانيّ – دلائل الإعجاز ص٣.

٢) محمود السعران – علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ص٢٣١.

٣) عبد القاهر الجرجانيّ – دلائل الإعجاز ص٤١٢.

ويدعو الجرجانيّ إلى وحدة العمل الأدبي وتفاعل أجزائه في نظام متكامل من أئتلاف العلاقات ، يقول :« اعلم أنّ مما هو أصل في أنْ يدقّ النّظر ويغمض المسلك في توخي المعاني التي عرفت أنْ تتحد أجزاء الكلام ، ويدخل بعضها في بعض أو يشتد ارتباط ثانٍ منها بأول ، وأنْ يُحتاج في الجملة أنْ تضعها في النّفس وضعاً واحداً ، وأنْ يكون حالك فيها حال الباني ، يضع بيمينه ههنا في حال ما يضع بيساره هناك »(١) وتتفق نظرة الجرجانيّ في تفسير العلاقات مع النظرات اللغوية الحديثة : « فإذا كان عبد القاهر قد اعتبر أنّ سرّ الجودة والرداءة في أيّ عمل أدبيّ كامن في مايكون في لغة الشاعرأو الكاتب من خصائص معينة في صياغتها ، فإنّه بذلك يردّنا إلى المنهج اللغوي الذي يشتق أحكامه من طبيعة العلاقات التي تتولد من دلالات الصّياغة اللغويّة وفاعليتها الخاصة ». (٢)

وكشف محمد نايل عن أهمية نظرية النّظم أو العلاقات في النقد الحديث وذلك بقوله :« دراسة العلاقات بين الكلمات في التركيب ، وفهم دلالاتها في أوضاعها المختلفة ، هي الدراسة الموضوعية حقّاً، هي التي تُعينُ على فَهْمِ النص ، وتَذوق ما فيه من جمال ، وبذلك تربي الذوق الأدبيّ وتطبعه على اليقظة ونفاذ البصيرة ». (٣)

وقد وضع الجرجانيّ قاعدة ترجع الجمال الى النّسق وتأليف الكلام في بناء متكامل ، وأنّ النظم يتجاوز حدود التركيب عند الجرجانيّ إلى النص بطريقة بنائيّة

---

١) عبد القاهر الجرجانيّ – دلائل الإعجاز ص ٧٣

٢) محمد زكي العشماوي – قضايا النقد الأدبيّ بين القديم والحديث ص٣٦١ .

٣) محمد نايل – نظرية العلاقات أو النّظم بين عبد القاهر والنقد الغربيّ الحديث ص١٧ در الطباعة المحمديّة – القاهرة، د.ت.

تؤكد قيمة كلّ عنصر من عناصر النص وأثره الوظيفيّ والدلاليّ ، يقول :« واعلم أنّ من الكلام ما أنتَ ترى المزيّة في نظمه والحسن كالأجزاء من الصّبغ تتلاحق وينضم بعضها إلى بعض حتى تكثر في العين ، فأنتَ لذلك لا تُكْبِرُ شأن صاحبه ولا تقضي له بالحذق والأستاذيّة وسعَة الذّرع حتى تستوفي القطعة » .(١)

وقرر الجرجانيّ أنّ اللفظ المفرد لا يُدْرَكُ وحده وإنّما يُدْرَك داخل سياق من المفرد مُعلّقاً به غيره ، يقول : « إنّ الألفاظ المفردة التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها ، ولكنْ لأنْ ينضم بعضها إلى بعض فَيُعْرَفَ فيما بينها من فوائد ، وهذا علم شريف ».(٢) إنّ تتبع نظام العلاقات يُعدّ عِلماً شريفا عند الجرجانيّ لما له من أهمية في الكشف عن المعاني الدلاليّة التي تسهم في إنتاج المعنى الكليّ .

ولا نتفق مع رأي بدوي طبانه الذي يرى أنّ الجرجانيّ يُنْكِرُ الظلال المفردة للألفاظ ، يقول : « وللألفاظ المفردة ، بغض النظر عن معناها الكامل في السياق ، ظلال مُفْرَدَةٌ تستمدها مما (وراء الشّعور) من الذكريات والصّور التي صاحبتها في تاريخها الشخصيّ والإنسانيّ على الزمن الطويل ، ثم لها كذلك ظلالها وهي في نَسَقٍ كامل والظلال الأولى يُنْكِرُها رجل ناقد مثل عبد القاهر ؛ لأنّه لا يرى دلالة للفظ إلا في نظم معيّن . وهذه مغالاة منه ، فللفظ المفرد ظله الخاص وجِرْسُه الموحي

---

١) عبد القاهر الجرجانيّ – دلائل الإعجاز ص ٧٠.

٢) عبد القاهر الجرجانيّ – دلائل الإعجاز ص٤١٥.

في كثير من الأحيان » (١) فالظلال التي تكتسبها الكلمة من خلال التّطور التاريخيّ ظلال جلية الدلالة في الاستخدام اللغويّ ، وقد أحسّ الجرجانيّ بهذه المعاني التي تُرافق الكلمة ، ولكنّه يرى أنّ النظم يعطي الكلمة مَزيّة خاصّة إضافة إلى الدلالات التي تحملها أصلا فهو يمنحها فَضلاً عن الدلالة الأصليّة دلالات جمالية نابعة من الارتباط في سياق مجموعة من العلاقات .

وخير ما يعكس لنا إحساس الجرجانيّ بقيمة الكلمة المفردة قوله :« ولم يَعْلَموا أنّ المعنى في وصف الألفاظ المفردة بالفصاحة أنّها في اللغة أثبت ، وفي استعمال الفصحاء أكثر ، أو أنّها أجرى على مقاييس اللغة والقوانين التي وضعوها ، وأنّ الذي هو معنى الفصاحة في أصل اللغة هو الإبانة عن المعنى بدلالة قولهم فصيح وأعجم » (٢) وتظهر دلالة اللفظ من خلال استمرار اللغة :« الذي نسج حول ألفاظها هالات من المعاني كانت تتكاثر مع العصور ، وترك فيها أطيافا من الزمَن ظلت تتراكم حينا بعد حين ، ومدّ في جوانبها حتى لتتراءى لك اللفظة فسيحة الأفق عريضة المدى ، وكان ذلك سببا في إغناء اللغة وتحميلها كلّ هذه الرواسب الفكرية والرواسب الإجتماعية التي مرّ بها العرب خلال تاريخهم ».(٣)

---

١) بدوي طبانه – التيارات المعاصرة في النقد الأدبيّ ص٢٨٢ دار الثقافة – بيروت ١٩٨٥ م .

٢) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ص ٣٥٢-٣٥٣.

٣) شكري فيصل – مناهج الدراسات الأدبية ص ١٩٩-٢٠٠ دار العلم للملايين ، بيروت ط (٣) ، ١٩٧٣م.

ويتبين لنا من ذلك أنّ الدلالة الناتجة عن مجموع الكلمات هي دلالة تختلف عن دلالة كلّ كلمة مستقلة عن غيرها ، فالدلالة الكليّة التي يقدّمها النظم دلالة تجريديّة ناتجة عن اختراق الكلمات ونظمها في جملة تحمل دلالة عضوية ، يقول الجرجانيّ :« واعلم أنّ مثل واضع الكلام مثل منْ يأخذ قطعا من الذهب أو الفضة فيذيب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة . وذلك أنّك إذا قلت :(ضرب زيدٌ عمراً يومَ الجمعةِ ضرباً شديداً تأديباً له) ؛ فإنّك تحصل من مجموع هذه الكلم كلها على مفهوم هو معنى واحد لا عدة معانٍ كما يتوهمه الناس ، وذلك لأنّك لم تأتِ بهذه الكلم لتفيده أنفس معانيها وإنّما جئت بها لتفيده وجوه التّعلق ».(١)وتتفق الانظار اللغوية الحديثة مع نظرية الجرجانيّ ، يقول هيلمسلف (Heielmslev) – رائد مدرسة كوبنهاجن اللغويّة – :« إنّه لا يكفي أنْ نقول إنّ الوحدة اللغويّة لا تُعْرَفُ إلاّ بغيرها من الوحدات ، بَلْ يَجِب أنْ نقول : إنّها مُكوّنة من مجموع علاقاتها بباقي الوحدات ».(٢)

وتعدّ فكرة «العلاقات »التي تُعيدُ الكلمة إلى سياقها جوهر نظرية النظم الجرجانيّة ، وتنطوي على تفاعل الدلالات وتحقيق المعاني النحوية ، وبذلك توصل عبد القاهر إلى ما يُنادي به عِلْمُ اللسان الحديث في أنّ اللغة نسق من العلاقات وهذا ما يقرّره سوسير بقوله :« فقيمة الكل في أجزائه كما أنّ قيمة الأجزاء تتأتى من مكانتها في هذا الكل أو ذاك ، ولهذا فإنّ أهميه العلاقة التركيبيّة بين الجزء والكل

---

١) عبد القاهر الجرجانيّ – دلائل الإعجاز ص٢١٦ .

٢) كريم حسام الدين – أصول تراثيّة في علم اللغة المعاصر ص٦٠ مكتبة الانجلو المصريّة ط(٢) ١٩٨٥ .

كأهميتها بين الأجزاءفيما بينها » . (١) وبهذا يمكن القول :« ينبغي أنْ تفضي كلّ جزئيّة إلى التوغل في مركز الأثر الأدبي بناء على ما تقرّر أنّ لكل منها علتها وأنّها تتكامل مع سائرها . فبذلك تتحقق رؤية التفاصيل في جملتها ، وربّ جزئية تأدّى منها المرء إلى مفتاح الأثر الأدبيّ كلّه كما تشهد بذلك قدرتها من حيث هي مؤثر مشترك ، على تفسيرما نعلمه ونلحظة من الأثر ». (٢)

وهكذا يتضح أنّ : «كلّ مستوى من مستويات العمل الفنيّ يصبح تحولاً كلياً للمستوى الدلاليّ ، وتُصبح العمليّة النقدية في جوهرها عملية اكتناه للعلاقات المتشابكة والتفاعلات التي تنشأ من اختيار مركز معين من النص ، عملية بلورة للبني المتعددة لمستويات النص ، وكشف لقدرة كلّ منها على تجسيد البنى الأخرى فيه وتجسيد بنيته الدلالية الأساسيّة النابعة من مركز معين ».(٣)

ويُعنى المنهج البنيويّ :« بالتحليل الأفقيّ المتسلسل للمادة بقصد فهمها وإدراكها ثُمّ هو يشرع بعد ذلك في التحليل الرأسيّ للعناصر التي تكشف عن التكوين الداخلي المنظم للعمل . وفي هذه الحالة يقوم بتصنيف العناصر في وحدات يمكن أنْ تحمل كل منها عُنْواناً يشيرإلى التكوين الثنائي الذي يُمثِلُ جوهر بناء أيّ عَمَل».(٤)

---

١) فردينان دي سوسير – محاضرات في الألسنيّة العامة ص١٥٥.

٢) لطفي عبد البديع – التركيب اللغوي للأدب ص ١٠٦ .

٣) كمال أبو ديب نحو منهج بنيوي في تحليل الشعر ص ١١٩ مواقف ، عدد ٣٢ ، صيف ١٩٧٨ .

٤) نبيلة إبراهيم – البنائيّة بين العلم والفلسفة ص ١٠ الأقلام ، العدد الرابع ، السنة الثالثة عشرة ، كانون الثاني ، ١٩٧٨ .

ومن الأصول البنيويّة التحليل إلى المؤلّفات المباشرة الذي يؤسس : « على فرضية مفادها أنّه بالإمكان وصف الكلمة ، انطلاقاً من المؤلفات الأساسيّة لها ، أو انطلاقاً من السمات المعنويّة المتميزة التي تشترك فيها مع غيرها من الكلمات، فمعنى كلمة (رجل) على سبيل المثال يحتوي على المؤلفات أو السمات المعنوية التالية (ذكر ، بالغ ، بشري) أمّا معنى امرأة فلا يختلف عن معنى كلمة(رجل) إلا من حيث الذكورة (انثى ، بالغ ، بشري) .. فمعنى الجملة يتكون من حاصل معاني مفرداتها ، وأنّ معنى المفردة يتكون من حاصل مؤلفاتها الدلاليّة » .(١)

وانطلق الجرجانيّ من نظرية النظم لتقويم العمل الفني والحكم على تركيبه وكشف القيم الفنية التي تحكمه : « لأنّه إذا كان النظم سويّاً والتأليف مُستقيما كان وصول المعنى إلى قلبك ، تِلوَ وصول اللفظ إلى سَمْعِك ، وإذا كان على خلاف ما ينبغي وَصَلَ اللفظ إلى السمع وبقيت في المعنى تطلبه وتتعب فيه ، وإذا أفرط الأمر في ذلك صار إلى التعقيد الذي قالوا إنّه يستهلك المعنى».(٢) وتشبه هذه الفكرة عند الجرجانيّ النظرة البنيوية إلى البنية على أنّها :«آلية للدلالة وديناميكية لتجسيد الدلالة في سلسلة من المكونات الجذريّة والعمليات المُتّصلة ، وفي شبكة من التفاعلات التي تتكامل لتُحوّل اللغة بمعناها الأوسع إلى بنية مُعقدة تَجسد البنية الدلاليّة تجسيداً مُطْلقاً في اكتماله ، وبهذا ينبـــع وجـــود كـلّ عنصر

---

١) موريس أبو ناضر – مدخل إلى علم الدلالة الالسنيّ ص٣٥ – ٣٦ الفكر العربي المعاصر ، العددان ١٨/١٩، (شباط، اذار – ١٩٨٢) .

٢) عبد القاهر الجرجانيّ – دلائل الإعجاز ص٢١٠ .

ومعناه وخصائصه من طبيعة العلاقات التي فرضت اختياره ثم من فاعلية هذه العناصر ، وتختفي تحت هذه التفاعلية جدليّة عميقة هي التي تؤسس المعنى ».(١)

فالبنية « غير ثابتة وإنما هي دائمة التحول وتظل تولّد من داخلها بنى دائمة التوثب . والجملة الواحدة يتمخض عنها كثير من الجمل التي تبدو جديدة مع أنّها لا تخرج عن قواعد النظم اللغويّ للجمل . وهذا التحول يَحْدُث نتيجة لتحكم ذاتي من داخل البنية » .(٢)

ولكن هذه التحولات تتم في سياق من التوازن والانسجام الذي ترتضيه البنيّة فهي « تقبل دائما من التغيرات ما يَتّفِقُ مع الحاجات المحددة من قبل علاقات النّسق وتعارضاته ».(٣)وقد جمعت نظرة الجرجانيّ إلى المعنى عناصر البنية يقول في تحليل بيت بشار:

كأنَّ مُثار النّقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

« فبيت بشار إذا تأملته وَجدتّه كالحلَقَةِ المُفرغة التي لاتقبل التّقسيم، ورأيته قد صَنَعَ في الكلم التي فيه ما يَصنعُه الصّانع حين يأخذ كِسَراً من الذهب فيذيبها ثم يصبّها في قالب ويخرجها لك سواراً أوخلخالاً، وإنْ أنْتَ حاولت قطع بعض ألفاظ البيت عن بعض كنت كمَنْ يكسر الحلقة ويَفْصِمُ السّوار ».(٤)

---

١) كمال ابو ديب – جدلية الخفاء والتجلي ص ٩–١٠ ، دار العلم للملايين ، ط(٢) ١٩٨١ .

٢) عبد الله الغذّامي – الخطيئة والتكفير ص ٣٢ .

٣) زكريا إبراهيم– مشكلة البنيةص ٣٤.

٤) عبد القاهر الجرجانيّ دلائل الإعجاز ص ص ٢١٧.

وفي هذا المعنى يقول شتراوس:« يجب أنْ تتمتع البنية بخاصة المنظومة. أي أنْ تتكون من عناصر يؤدي أيّ تغير في أحدها إلى تغير في باقي العناصر الأخرى»(١) وقد سبق الجرجانيّ إلى هذا المعنى بقوله:« فالألفاظ لاتفيد حتى تؤلف ضرباً خاصاً من التأليف، ويُعمد بها إلى وجه دون وجه من التّركيب والتّرتيب، فلو أنّك عَمِدْتَ إلى بيت شعر أو فصل نثر فعددت كلماته عداً كيف جاء واتفق، وأبطلت نَضْده ونظامه الذي عليه بنى، وفيه أفرغ المعنى وأجريّ، و،غيّرت ترتيبه الذي بخصوصيته أفاد ما أفاد، وبنسقه المخصوص أبان المراد نحو أنْ تقول في (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل): (منزل قفا ذكرى من نبك حبيب) أخرجته من كمال البيان إلى مجال الهذيان »(٢)

ويدرك الزمخشريّ أسرار العلاقات البنائيّة بين الألفاظ فيجلوها من خلال مفهوم الاقتران فيستشف الأثر الجماليّ في قوله تعالى:« فاتّقوا النار التي وقودها الناس والحجارة(٣) يقول:«فإنْ قُلْتَ: لِمَ قَرَنَ الناس بالحجارة وجُعِلَت الحجارة معهم وقوداً قلت: لأنّهم قرنوا أنفسهم في الدنيا حيث نحتوها أصناماً، وجعلوا لله أنداداً وعبدوها من دونه فقرنهم بها محماة في نار جهنم إبلاغاً في ايلامهم».(٤)

---

١) عدنان بن ذريل- اللغة والأسلوب ص ٤٤.

٢) عبدالقاهر الجرجانيّ- أسرار البلاغة ص٢.

*عجز البيت: بسقط اللوى بين الدخول فحومل.

٣) البقرة ٢٤.

٤) الزمخشريّ- الكشاف جـ(١)ص٥٢-٥٣.

وعرض الزمخشريّ للعلاقة الدّلاليّة بين الألفاظ من خلال اقترانها المعنويّ، يقول في الآية: «وليأخذُوا حِذرَهُم وأسلحتَهم»(١) فإنْ قلت: كيف جمع بين الأسلحة وبين الحِذْر في الأخذ قلت: جعل الحِذْر وهو التّحرز والتّيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الأسلحة في الأخذ وجُعلا مأخوذين»(٢).

ويفسر الزّمخشري قوله: (ذلك الكتاب لاريبَ فيه هدًى للمُتّقين)،(٣) تفسيراً يعتمد المكونات النّحويّة وما تُفضي إليه من دلالة كليّة يقول: «أنْ يكون (الم) مبتدأ،(ذلك) مبتدأ ثانياً،و(الكتاب) خبرة، والجملة خبر المبتدأ الأول، ومعناه أنّ ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل، كما تقول: هو الرّجل، أي الكامل في الرّجوليّة، الجامع لما يكون في الرّجال من مَرْضِيات الخصال»(٤)

فالتّركيب تشكيل لغويّ والجمال الفنيّ يتجلى في الكشف عن أسرار هذا التّركيب،ولايتم النّظر إلى العمل الفنيّ إلاّ من خلال اكتناه العلاقات البنيويّة في تفاعلها مع القيم الدّلاليّة في سياق ظاهرة النّظم.

---

١) النساء ١٠٢.

٢) الزمخشريّ- الكشاف جـ(١) ٢٦٩.

٣) البقرة(٢)

٤) الزمخشريّ الكشاف جـ(١) ص ٢٨ .

الفصل الخامس

مفهوم الجملة بين الشكل والمعنى

١-الجملة بين النّحو والبلاغة.
٢-الجملة عند النحويين.
٣-تقسيم الجملة عند النّحويين.
٤-الجملة عند البلاغيين.
٥-الجملة في ضوء علم اللسان الحديث.
٦-مقتضى الحال.
٧-قرينة الإعراب.

الجملة بين النحو والبلاغة:

تَظْهَرُ الجملة على أنّها مثال تطبيقيٌ تأتلف فيه عناصر النّظم وَفْقَ نسق العلاقات، فهي تومىء إلى صورة انتظام الكلمات على وجه مخصوص يُمثّل مظهراً من مظاهر النّظم. وتُقدِّم تصوراً ذهنياً للربط الدّلاليّ الذي يُبنى على ظاهرة الإسناد تحقيقاً لقوانين النحو والمعاني الدلاليّة. وثَمَّةَ قَدْرٌ مشترك بين تلازم عناصر الجملة ومفهوم النّظم يؤلف وجهاً من التقارب الذي يؤنس على دراسة الجملة على أنّها صورة من صور النظم.

وقد قسّم النّحاة الجملة إلى اسميّه وفعليّة وقسّمها البلاغيون إلى خبريّة وإنشائّية، والتقى المنهجان في دراسة الجملة، وكانت الجهود النّحويّة تنصب على إبراز الجوانب الشكليّة المتعلقة بالحركة الإعرابيّة في توجيه التّركيب وَفْقَ نظريّة العامل، ولذلك كانت الدّراسة النّحويّة مرتبطة بالمبنى وإنْ لم يَكُن المعنى غائباً ولكنّه لم يأخذ مكانه الذي يستحقه. ولكنّ هذا لاينفي وجود نظرات وجهت القاعدة توجيهاً دلاليّاً، وبقيت هذه الرؤية النّحويّة إلى ظهور الدّراسة البلاغية وظهر النّحو البلاغي الذي استطاع توجيه الّظاهرة اللغويّة في ضوء نظرية النّظم.

ودرس علماء العربيّة الجملة في مستويين :

الأول :مستوى التّركيب النّحوي الذي يقسم الجملة إلي قسمين: اسميّة وفعلية *وأضاف بعضهم الشّرطيّة والظرفيّة يقول الزّمخشري:« والجملة على

* وقد خالف هذا التقسيم « الفارسي ،الزمخشري ،ابن هشام ،عبدالقاهر الجرجاني، والسيوطي ، ينظر ابن هشام– مغني اللبيب ص٤٩٢ والسيوطي همع الهوامع جـ(١) ص٢٨.

أربعة أضرب فعليّة واسميّة وشرطيّة وظرفيّة».(١)

الثاني: المستوى البلاغيّ : قسم البلاغيون الجملة من حيث المعنى إلى خبريّة وإنشائيّة(٢) ونقف على هذين المستويين لتبيان معنى الجملة عند النّحويين والبلاغيين:

---

١) ابن يعيش- شرح المفصل جـ(١) ص ٨٨ عالم الكتب - بيروت، مكتبة المتنبي القاهرة د. ت.

٢) السكاكي- مفتاح العلوم ص ١٦٤.

الجملة عند النحويين:

عرّفَ النّحاة الجملة اعتماداً على فكرة الإسناد، فبيّن سيبويه العلاقة الإسنادية بقوله:«هذا باب المسند والمسند إليه، وهما ما لا يغني واحد منهما عن الآخر ولا يجد المتكلم منه بُداً، فمن ذلك الاسم المبتدأ والمبني عليه؛ وهو قولك : عبدالله أخوك، وهذا أخوك، ومثل ذلك يذهب عبدالله، فلا بد للفعل من الاسم، كما لم يكن للاسم الأوّل بُدّ من الآخر في الابتداء»(١)وجاءت نظرة المبرد امتدادا لنّظرة سيبويه، فالجملة مبنية على ظاهرة الإسناد والتّعليق في التّلازم بين عناصر الجملة(٢)ولكنّ المبرد تهدى إلى أهمية المعنى في تركيب الجملة، وكان ذلك جليا في حديثه عن الفاعل:« وإنّما كان الفاعل رفْعاً، لأنّه هو والفعل جملة يَحْسُنُ السّكوت عليها وتجب بها الفائدة للمخاطب، فالفاعل والفعل بمنزلة الابتداء والخبر، إذا قلت: قام زيد، فهو بمنزلة قولك: القائم زيد»(٣) ويؤكد المبرد الوظيفة الدّلاليّة للجملة بائتلاف عناصر التّراكيب في ضوء نسق العلاقات الذي يفضي إلى ربط الكلمة بغيرها تحقيقاً للمعنى ، فالأساس في التركيب الإسناديّ عنده يتمثل في تحقيق المعنى، وهذا ماتوخاه بقوله : «يحسن السكوت عليها»(٤) والجملة في نظر ابن جني« قاعدة الحديث».(٥)

وارتبط مفهوم الجملة عند النّحاة بمفهومي الكلام والقول ارتباطاً وثيقاً، فقد ذهب الزمخشريّ وابن يعيش إلى أنّ الجملة مرادفة للكلام،يقول الزمخشريّ:

---

١) سيبوية- الكتاب جـ(١) ص ٢٣.
٢)ا لمبرد- المقتضب جـ ٤ ص١٢٦.
٣) المبرد- المقتضب جـ(١) ص ٨.
٤) المبرد- المقتضب(٤) ص ١٢٦.
٥) ابن جني الخصائص جـ (١) ص ٢٩.

«والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى، وذلك لايتأتى إلاّ في اسمين كقولك:« زيد أخوك، وبشر صاحبك، أو في فعل واسم، نحو قولك : ضَرِبَ زيدٌ وانطلق بكر، وتسمى الجملة»(١)

وقال الشارح(ابن يعيش) مُوضّحاً ذلك:« اعلم أنّ الكلام عند النّحويين عبارة عن كلّ لفظ مستقلٍ بنفسه، مفيد لمعناه،ويُسمى الجملة».(٢)

وذهب ابن هشام إلى عدم الترادف بين الجملة والكلام، وأخذ على الزمخشري موضوع المرادفة إذ ميّز بينهما بقوله :«والصواب أنها أعم منه، إذْ شرطه الإفادة، بخلافها ولهذا تسمعهم يقولون : جملة الشرط ، جملة الجواب، جملة الصّلة ، وكلّ ذلك ليس مفيداً، فليس بكلام، وعرّف ابن هشام الكلام قائلا:«هو القول المفيد بالقصد، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يَحسُنُ السكوت عليه».(٣) وبذلك دفع ابن هشام موضوع الترادف بين الجملة والكلام، فرأى أنّ الجملة أعمُ من الكلام فلا يشترط بها الإفادة ، بينما تتوخى الإفادة بالكلام ؛ لأنّ شرطه ان يكون مُفيداً.

وينحو ابن جني مذهب الترادف بينهما عندما يُعرف الكلام بقوله :« أمّا الكلام فكل لفظ مستقل بنفسه مفيد لمعناه وهو الذي يسميه النحويون الجمل، نحو : زيد أخوك، وقام محمد، وصه ، ورُوَيْدَ، فكل لفظ استقل بنفسه وجَنيتَ ثمرة معناه فهو كلام».(٤)

---

١) الزمخشريّ - المفصّل في علم العربيّة ص ٦ دار الجيل ، بيروت ط (٢)د.ت.
٢) ابن يعيش - شرح المفصل جـ(١) ص٢٠
٣) ابن هشام - معنى اللبيب ص ٤٩٠
٤) ابن جني - الخصائص جـ(١) ص١٧

ولعل ابن جني الذي ارتضى الترادف بين الجملة والكلام لم يُقْنِعْهُ هذا الرأي ، فَعَدَلَ عنه في موضع آخر فذهب إلى أنَّ الكلام جنس للجمل، فينظر إلى الكلام على أنّه نوع عام يشتمل في بنيته على الجمل ، فالكلام في نظره أعم من الجمل، وبذلك يُخالف ابن هشام الذي يرى أنّ الجمل أعم من الكلام، فقد قال ابن جني:« لا محالة أنّ الكلام مُخْتصّ بالجمل ، ونقول مع هذا : إنّه جنس – أي جنس الجمل – كما أن الإنسان من قول الله تعالى :(إن الإنسان لفي خُسر)(١) ، جنس للناس ، فكذلك الكلام جنس للجمل»(٢).

ويذهب الشيخ الكافِيَجي(٣) إلى التّرادف بينهما:« وعلى هذا فحدّ الجملة: القول المركب كما أفصح به شيخنا العلامة الكافيجي في(شرح القواعد)، ثم اختار: (الترادف قال: لأنّا نعلم بالضرورة أنّ كلّ مركب لايُطلق عليه الجملة وسبقه إلى ذلك ناظر الجيش(٤) وقال:إنّه الذي يقتضيه كلام النّحاة».(٥)

وحجة أنصار الزمخشري الذين يذهبون إلى القول بالتّرادف بين الكلام والجملة هي أنّ« إطلاق الجملة على ما ذُكِرَ من الواقعة شرطاً أو جَواباً أو صلةً

---

١) سورة العصر آية (٢).

٢) ابن جني – الخصائص جـ(١) ص٢٦.

٣) الكافيجي(محمد بن سليمان الرومي ٧٧٨– ٨٧٩هـ رومي الأصل. اشتهر بمصر وعرف بالكافيجي لكثرة اشتغاله بالكافية في النّحو، وكان الشيخ إماماً في المعقولات: الكلام وأصول اللغة... له تصانيف، منها (شرح قواعد الإعراب)، و(التيسير في علم التّفسير) جلال الدين السيوطي– بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة جـ (١) ص ١١٧–١١٨تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ، دار الفكر ط(٢) ١٩٧٩م.

٤) ناظر الجيش: (محمد بن يوسف ٦٩٧هـ ٧٧٨هـ الحلبي ثم المصري، عالم بالعربيّة من تلاميذ أبي حيان، أصله من حلب ووفاته بالقاهرة، ألف (تمهيد القواعد)و(شرح التلخيص)، ابن حجر العسقلاني– الدّرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة جـ ٥ ص ٦١–٦٢ تحقيق: محمد جاد الحق، دار الكتب العلمية الحديثة د.ت.

٥) السيوطي– همع الهوامع جـ (١) ص ٣٧ تحقيق :عبدالسلام هارون، جامعة الكويت–دارالبحوث العلميّة ١٩٧٥.

إطلاق مجازيّ لأنّ كلاً منهما كان جُمْلة قبل، فأُطلقت الجملة عليه باعتبارما كان، كإطلاق اليتامى على البالغين لأنّهم كانوا كذلك»(١)

ويعلل أنصار الزمخشريّ بذلك إطلاق مفهوم الجملة على الكلام من باب المجاز اللغوي ،وهذا لايخل بشرط إفادة المعنى المطلوب كحدّ للجملة والكلام، فجملة الشرط والصّلة والجواب كلها جمل تفيد المعنى على اعتبار ما كانت عليه من تحقيق لهذا الشّرط.

ويُفرّقُ ابن الحاجب بين الجملة والكلام عنده أنْ الجملة لا يُشترط فيها تحقيق المعنى ويُشترط ذلك في الكلام:« الفرق بين الجملة والكلام أنّ الجملة ماتضمن الإسناد الأصلي سواء كانت مقصودة لذاتها أو لا ... والكلام ماتضمن الإسناد الأصليّ وكان مقصوداً لذاته، فكل كلام جملة ولاينعكس»(٢) فابن الحاجب يشترط الإفادة في الكلام ولايشترط ذلك في الجملة، لأن الكلام يعتمد الإسناد الأصليّ المقصود لذاته، بينما الجملة لايشترط فيها الإفادة في المعنى، لأنّ الإسناد فيها غير مقصود لذاته، ويولي موضوع الإسناد في الجملة اهتمامه فالإسناد يشتمل العلاقة التي تصل بين أركان الجملة، وهو نسبة منطقيّة يَحْكُمُها النّظم فيجعل الكلام مُفيداً عندما تُقْصَدُ هذه العلاقة، لأنّها تحفظ الجوانب البنائيّة في ضوء القرائن المعنويّة.

أمّا القول فذهب ابن جني إلى أنّه مفهوم شامل لما ينطق به اللسان، فيقول:« وأمّا القول فأصلة أنّه كل لفظ مَذِل به اللسان، تاماً كان أو ناقصاً –

---

١) السيوطي- همع الهوامع جـ(١) ص ٣٧ .

٢) رضي الدين الاستراباذي شرح الكافية في النّحو جـ(١) ص ٨.

فالتام هو المفيد، أعني الجملة وما كان في معناها، من نحو : صَه، وإيه،- والناقص ما كان بِضدّ ذالك، نحو: زيد، محمد، وإنْ، وكانَ، فكلّ كلام قول، وليس كل قول كلاماً هذا أصله »(١)

وقد قسم ابن جني القول إلى نوعين:

ا لنوع الأول: ويحتوي على الألفاظ المفردة المجردة عن تحقيق المعنى المفيد، وإنمّا هي مجرد صيغ تسير في خط المبنى الصرفيّ ولكنّها لاتخضع للقوانين النّحويّة في تفاعلها الدلاليّ.

النوع الثاني: وهوالجمل التّامة المعنى، والتي تحقق فيها الإسناد اللغويّ واستقامت في إطار من المباني التي يأخذ بعضها برقاب بعض، لتشكيل المعنى الذي يهدف إليه المتكلم.

ويوافق ابن يعيش ما قاله ابن جني في تعريف القول بأنّه: « عبارة عن جميع ما ينطق به اللسان تاما كان أو ناقصا » (٢) فهو يرى أنّ القول يحمل الإفادة وغيرها، فما أفاد منه كان كلاماً، وما لَمْ يُفِد كان قولاً، فيكون كلّ كلام قولاً وليس كل قول كلاماً ، لأنّ شرط الكلام تحقيق المعنى.

ويقدّم ابن جني دليلا على الاختلاف بين الكلام والقول بقوله :« ومن أدّل الدليل على الفرق بين الكلام والقول إجماع الناس على أنْ يقولوا : القرآن كلام الله، ولا يقال قول الله ».(٣)

---

١) ابن جني الخصائص جـ(١) ص ١٧.

٢) ابن يعيش- شرح المفصّل جـ(١) ص ٢١.

٣) ابن جني – الخصائص جـ(١) ص١٨.

وهكذا تبدو الجملة من خلال استعراض وجهات نظر القدماء مرادفة للكلام ، ويبدو القول مفهوماً أوسع من الكلام تصرّفاً واستخداما، وفي هذا الموقف يقرّر ابن جني: «أنّ الكلام إنّما هو في لغة العرب عبارة عن الألفاظ القائمة برؤوسها، المستغنية عن غيرها، وهي التي يسميها أهل هذه الصناعة الجمل على اختلاف تركيبها، وثَبَتَ أنّ القول عندها أوسع من الكلام تصرّفاً وأنّه قد يقع على الجزء الواحد، وعلى الجملة، وعلى ما هو اعتقاد ورأي لا لفظ وجرس».(١)وبهذا يبين ابن جني أنّ مفهوم الكلام لا يمكن إطلاقه إلاّ بشرط إعطاء المعنى التام، فلا يمكن إطلاق «كلام» على مجرد أصوات يُنْطقُ بها، إلاّ إذا كان الموضع يحتمل المجاز اللغوي الذي يطلق فيه.فابن جني يشير إلى استقلالية الجملة بنفسها، وقدرتها على أداء المعنى ضمن تركيب معين يختلف من وضع إلى آخر وفق المعطيات اللغوية التي تسمح بها قوانين اللغة، وهذا ما يتضح من قوله« على اختلاف تركيبها».ويختلف الوضع بالنسبة إلى « القول»، إذ إنّ المفردات هي عبارة مبان صرفية لا تتصل بعلاقات إسنادية في ضوء نظام معين تقبله اللغة، ولكنّها مبان مفردة في الوضع لاتقترن بغيرها، ومِنْ هنا تتضح شموليّة القول الذي لايشترط التّظم بين الألفاظ لتأدية المعنى .

وقد عَرّف الرّماني الجملة بقوله:« هي المبنية من موضوع ومحمول للفائدة».(٢) وهذا التعريف يحتوي على ركنيْ الجملة: البناء والمعنى .وهما اللذان يشكلان حجر الأساس في الحفاظ على سلامة المبنى وتحقيق المعنى،

---

١) ابن جني – الخصائص جـ(١) ص٣٢.

٢) علي بن عيسى الرّمانيّ– رسالتان في اللغة ص ٦٨ تحقيق : ابراهيم السامرائيّ دار الفكر – عمان.

وبذلك واكب النّحويين الذين عرضنا أراءهم في الوقوف على معنى الجملة.

ويذهب الشّريف الجرجانيّ إلى أنّ الجملة أعم من الكلام، ،ولذلك لايشترط في الجملة الإفادة، وإنمّا يؤكد ظاهرة الإسناد فيها، فيقول:« الجملة عبارة عن مركب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى سواء أفاد أو لم يُفد ».(١)

والذي نراه أنّ رابطاً عاماً يجمع بين هذه الآراء وهذا الرابط هو الخطوط المشتركة التي حققت عناصر التّركيب، وتوخت تحقيق المعنى من خلال القول بأنّ الجملة : هي اللفظ المستقل بنفسه المفيد فائدة يحسن السكوت عليها .فهذا المفهوم يتسم بأنّه جامع للجانبين:

الجانب التركيبي: الذي يصف كلام العرب من حيث الصّيغة والمبنى.

الجانب الدّلاليّ : الذي يحقق الفائدة المعنويّة من الكلام بالتّعبير عن الغرض.

---

١) الشّريف الجرجانيّ- التّعريفات ص ٧٨ دار الكتب العلميّة، بيروت.د.ت.

تقسيم الجملة عند النّحويين:

اعتمد النحويون في تقسيم الجملة على البنى التّركيبيّة التي تتصدر التّركيب في الأصل، وهذا ما نصّ عليه ابن هشام بقوله:« والمعتبر ما هو صدْرٌ في الأصل»(١).فالمعيار الأساسيّ ما تقدّم الجملة وكان صدْراً في الأصل.

وفي ضوء هذا القانون تُستثْني الحروف والأدوات التي تتصدر الجملة فلا تُصنّف على أساسها الجمل؛ لأنّ المقصود بصدْر الأصل المسند والمسند إليه كما وضحه ابن هشام فقال:« مرادنا بصدْر الجملة المسند أوالمسند إليه، فلا عِبْرَةَ بما تقدّم عليها من الحروف فالجملة من نحو: أقائم الزيدان، وأزيد أخوك، ولعلّ أباك منطلق، وما زيد قائماً، اسميّة.ومن نحو : أقام زيد، وإنْ قام زيد،وهلاّ قُمْتَ، فعليّه »(٢).

فالأساس الجوهريّ في تبيان نوع الجملة هو الوحدة الكلاميّة التي تبتدئ الجملة بها، وتتعلق بمفهوم الإسناد اللغويّ للكلام، والجملة في لغة العرب قسمان:(٣)

١- الجملة الاسميّة :« وهي التي صدْرها اسم ، كزيد قام ،وهيهات العقيق، وقائم الزيدان، عند مَنْ جوّزه وهو الأخفش والكوفيون »(٤)والاسم يدلّ على المسمى دلالة مستقلة عن غيره من العناصر التّركيبيّة، وعرّفه الزّمخشريّ بأنّه: « ما دلّ على معنى في نفسه دلالة مجردة عن الاقتران »(٥)فالاسم لايقترن

---

١) ابن هشام- مغنى اللبيب ٤٩٣.

٢) ابن هشام- مغنى اللبيب ص ٤٩٢.

٣) وقد خالف هذا التّقسيم:« الفارسي ،الزمخشريّ ،ابن هشام ،عبدالقاهر الجرجانيّ ،السيّوطي».

٤) ابن هشام- مغنى اللبيب- ص ٤٩٢.

٥) ابن يعيش - شرح المفصل جـ(١) ص ٢٢.

بالدّلالة الزمانيّة، وإنمّا الدّلالة الاسميّة ملازمة له في ذاته، وهذا مايجعله مُجّرداً عن الأزمنه الثلاثة التي نصّ النّحويون عليها.

٢)الجملةالفعليّة:« وهي التي صَدْرها فعل ، كقام زيد، وضُرب اللص، وكان زيد قائماً، وظننته قائماً، ويقوم زيد، وقُمْ»(١) فالجملة من نحو«فأيّ آيات اللّه تُنْكرون »(٢)، ومن نحو:« ففريقاً كذّبتم وفريقاً تقتلون »(٣)،و« خُشعاً أبصارُهم يَخْرُجون ».(٤) فعليّة، لأنّ هذه الأسماء بنيه التأخير ».(٥)

ويدخل في إطار الجملة الفعليةالجمل التي كان الأصل فيهاأن تبدأ بأفعال ولكن حَدَثَ فيها تقديم أوتأخير أو حذف بقصد تحويل المعنى ، وهذه التّحويلات لم تخرجها من البناء الفعليّ وَفْقَ قانون «والمعتبر ما هو صدْر في الأصل».(٦) الذي يستقصي العلاقة الإسناديّة ويتابعها أينما وُجِدتَ في أجزاء التّركيب اللغويّ ومن الجمل التي كان الأصل فيها البداية الفعليّة نحو: «يانوحُ»،(٧) ونحو:«وإنْ أحد من المشركين استجارك »،(٨) «والأنعام خلقها »(٩)، «واللّيل إذا يغشى »،(١٠) وقد علل ابن هشام سبب اعتبار هذه الجمل فعليّة بقوله:« لأنّ صدورها في الأصل أفعال ».(١١) فالتقدير: أدعو نوحا وإ نْ استجارك أحد، وخلق الأنعام، وأقسم والليل.

---

١)ابن هشام- مغني اللبيب – ص ٤٩٢.

٢) غافر ٨١. ٣) البقرة ٨٧ . ٤) القمر٧.

٥) ابن هشام مغنى اللبيب ص٤٩٣

٦) ابن هشام- مغنى اللبيب ص ٤٩٣

٧) هود ٣٢. ٨) التوبة ٦ ٩) النّمل ٥ . ١٠) الليل١.

١١) ابن هشام- مغنى اللبيب- ص ٤٩٣.

فالمنطلق التأسيسيّ الذي يُنْظر إلى الجمل من خلاله هو العلاقة الإسنادية التي اعتمدت« صَدَر الأصل »معياراً تُصنّفُ على أساسه الجمل، فلا تأثير من تقدّم الحروف والأدوات، لأنّ الحكم على نوع الجملة يأتي عَبْر النظر إلى الجملة الأصل قبل دخول هذه الأدوات والحروف، .وبذلك يتضح أنّ الجملة في اللغة العربيّة قسمان اسميّة وفعليّة،وما زاده الزمخشريّ وابن هشام مثل: الظرفيّة والشّرطيّة والصّغرى والكبرى ، لايتجاوز حدود النّظامين السّابقين: النّظام الاسميّ والنّظام الفعليّ، وبتطبيق الأساس الذي اعتمده النحويون في ضوء«صَدْر الأصل» والعلاقة الإسناديّة نجد أنّ البنية الاسمية والبنية الفعليّة قادرتان على استيعاب الأشكال الجمليّة التي حاول الزّمخشريّ إضافتها.

هذه تقسيمات الجملة كما يراها النحويون من خلال الاستقراء اللغويّ، وقداعتمدت البنى التّركيبيّة دون متابعة للمعنى،ولذلك نال الجانب الشكليّ حظاً كبيراً لم يَنله المعنى ، وسنحاول توجيه هذه التّقسيمات في سياق النّظريّة التّوليديّة التّحويليّة، إذْ يبدو أنّ بعض الجمل التي قال النحّويون إنّها فعلية ما هي الا جمل اسمية مُحوّلة ،فالجملة التي صدرها فعل ناقص مثل قوله تعالى :«كان النّاس أمّة واحدة »(١) فعليه في نظر ابن هشام، ولكنْ لانرى ذلك من خلال التّوليد والتّحويل، فهذه جملة اسميّة محولة، دخلها عنصر من عناصر التّحويل وهو عنصر الزمان«كان »فهي جملة اسميّة محوّلة ولو عدنا إلى عبارة ابن هشام التي نصّ فيها على أنّ «المعتبر ما هو صدر في الأصل» ويعني

---

١) البقرة٢١٣

بها العلاقة الإسناديّة القائمة بين ركني الجملة في أصلها قبل دخول كان، فيكون المسند إليه ثابتاً ، وهو المبتدأ الذي أصبح اسم كان والمسند بقي ثابتاً وهو الخبر الذي أصبح خبر كان، ولذلك فالجملة اسمية، ولم يغيّرها دخول عنصر التّحويل«كان» عليها، لأنّ مقومات الجملة احتفظت بوجودها الإسناديّ كما هي وبقيت الجملة قائمة على ركني الإسناد« المبتدأ والخبر» وهما الركنان الرئيسيان في الجملة الاسمية، وكذلك يمكن تفسير الجمل التي تدخلها النواسخ التي تدخل على الجملة الأسميّة.

الجملة عند البلاغيين

إنّ دراسة النّحاة لأحوال الجملة العربيّة من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير انصبت على تناول البُعد التعقيديّ من حيث وضع المعيار، فكانت نظرتهم معياريّة إلى مايجوز وما لايجوز وقليلاً ماخرجت لتناول المعنى الدّلاليّ الذي كان مدار اهتمام الدّراسة البلاغيّة.

اعتنى البلاغيون بالمعنى في دراستهم للجملة وكانت تقسيماتهم تفاعلا للنّحو والمعنى، فعرضوا للجملة ومايطرأ عليها من تحولات تؤثر في معناها مثل: التّقديم والتّأخير ، الفصل والوصل، والذكر والحذف، وكانت دراستهم أسلوبيّة يقودها المعنى , وهكذا يمكن أنْ تعدّ قضية الاهتمام بالمعنى عنصر التقاء الدّرس اللغويّ الحديث بالبلاغة العربيّة في ميدان دراسة الجملة. ومن هنا يستطيع الدّرس اللغويّ الحديث أنْ يخترق البُعد الشكلي في دراسة الجملة إلى البُعد الدّلاليّ الذي ارتضاه البلاغيون في دراستها للخروج بنظرة تتفاعل فيها الأبعاد الشّكليّة والدّلاليّة.

قسم البلاغيون الجملة تقسيما يعتمد المعنى إلى «خبريّة وإنشائية»(١) وتناول البلاغيون الإنشاء بدراسة دلاليّة تركيبيّة، فبيّنوا أنواعه، وتراكيب كلّ نوع، والمعاني التي تؤديها هذه التّراكيب، فالإنشاءعندهم إنْ كان طلبياً استدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب وتنحصر أنواعه في الأمر والنّهي والاستفهام والتّمني والنّداء،(٢) وبيّنوا تراكيب كلّ صنف من هذه الأصناف والمعاني التي

١) السكاكيّ- مفتاح العلوم ص ١٦٤.
٢) يُنْظر القزوينيّ- التلخيص في علوم البلاغة ص ١٥١- ١٧٤ شرحه: عبد الرحمن البرقوقي دار الكتاب العربي ، بيروت

تؤديها»(١)وتبين السكاكي حقيقة الخلاف بين الإنشاء الطلبيّ وغير الطلبيّ ولذلك حصر الإنشاء بالطلب، وأطلق عليه مصطلح الطلب،أمّا البلاغيون من بعده فهم الذين أدخلوا مصطلح الإنشاء وقسموه إلى طلبي وغير طلبي (٢)

وعدّ الجرجانيّ الجملة ميدان البحث ومدار الفائدة:« اختصت الفائدة بالجملة ولم يجز حصولها بالكلمة الواحدة كالاسم الواحد والفعل من غيراسم يُضم إليه. والعلة في ذلك أنّ مدار الفائدة في الحقيقة على الإثبات والنفي»(٣) ويرى الجرجانيّ أنّ:« الفصاحة لاتكون في أفراد الكلمات وأنّها إنّما تكون فيها إذا ضُمَّ بعضها إلى بعض، وأنّ المعنى في تعليق بعضها ببعض ،وجعل بعضها بسبب من بعض. وأنّ التعليق يكون فيما بين معانيها لا فيما بينها أنفسها»(٤) إنّ معنى الجملة يتوقف على معنى الكلمات التي تتكون منها، وليست الجملة حاصل جمع الكلمات وإنّما تنظيم يخضع إلى أنماط نحويّة.ويقرّر الجرجانيّ أن الخبر:« لايُعْقَلُ إلاّ من مجموع جملة فعل واسم كقولنا: خرج زيد، أو اسم واسم كقولنا، زيد منطلق ،وأنّه لا يُتصور الخبر إلا فيما بين شيئين مخبر به ومخبر عنه»(٥) وانتهى الجرجانيّ إلى أهمية ظاهرة الإسناد:«ومختصر كل الأمر:أنّه لا يكون كلام من جزء واحد، وأنّه لا بد من مسند ومسند إليه».(٦)

١) القزوينيّ- الايضاح في علوم البلاغة ص ١٣٥ وما بعدها دار الكتب العلمية، بيروت ط (١) ١٩٨٥م.
٢) السكاكي- مفتاح العلوم ص ١٦٥.
٣) عبدالقاهر الجرجانيّ- أسرار البلاغة ص ٣١٦.
٤) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٢٩٥.
٥) عبدالقاهرالجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٤٠٦.
٦) عبدالقاهر الجرجانيّ- دلائل الإعجاز ص ٤.

ويرى البلاغيون أنّ الإسناد: «ضم كلمة أو مايجري مجراها إلى أخرى بحيث يُفيد الحكم بأنّ مفهوم إحداهما ثابت لمفهوم الأخرى أو منفيّ عنه »(١) فالإسناد تحقيق لقوانين النّحو التي تؤدي المعاني الدّلاليّة على وجه مخصوص، والإسناد عند النّحاة يوافق هذا المعنى يقول الزمخشريّ:« المركب من كلمتين أُسندت إحداهما إلى الأخرى»(٢)

ويوافي المنحى البلاغيّ تعريف ابن يعيش الإسناد بقوله:« ليس مطلق التّركيب، بل تركيب الكلمة مع الكلمة إذا كان لإحداهما تعلق بالأخرى على السبيل الذي به يحسن موقع الخبر وتمام الفائدة».(٣) فالإسناد:« مصطلح لغويّ يقصد منه الربط الدّلاليّ بين أجزاء الجملة الذي يجعلها كلاماً مُفيداً يؤدي معنى.. وهو يقوم على أمرين متلازمين،يساند أحدهما الآخر: التّركيب اللغويّ والفائدة الدّلاليّة منه »(٤)

والإسناد في اللغة العربيّة « يكفي في إنشاء علاقة ذهنيّة بين الموضوع والمحمول دون حاجة إلى التّصريح بهذه العلاقة نُطقاً أو كتابةً في حين أنّ هذا الإسناد الذهني لايكفي في اللغات الأجنبيّة إلاّ بوجود لفظ صريح يشير إلى هذه العلاقة(٥). فالإسناد توافق ارتباطي يبني على أساس دلاليّ تتجاذب فيه

---

١) سعد الدين التّفتازيّ- مختصر التّفتازيّ على شروح التلخيص جـ(١) ص١٩٠-١٩١ المطبعة الكبرى ببولاق، مصر ط(١) ١٣١٧هـ.

٢) ابن يعيش- شرح المفصل جـ(١) ص١٨.

٣) ابن يعيش- شرح المفصل جـ(١) ص٢٠.

٤) عدنان بن ذريل- اللغة والأسلوب ص ٢٣٧.

٥) أنور الجندي- الفصحى لغة القرآن ص ١١ دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان د.ت.

العناصر التركيبيّة موافقة النّظام اللغويّ الذي نصتّ عليه اللغة العربيّة، وبذلك يؤسس على مبدأ التّلازم، ولايقصد بالتّلازم بين أركان الجملة التّلازم الشّكليّ في سياق الألفاظ المنطوقة، ولكنّه التّلازم الذي يحقق المعنى، وقد يحصل التّلازم مُستغنياً عن اقتضاء ركن من أركان الكلام إلى الركن الآخر، وذلك إذا حلّت القرائن السّياقيّة مَحلّ العنصر المحذوف، يقول محمد عيد:« فالجملة حقيقية هي التي تؤديّ الفائدة كاملة، أمّا تكوينها الشّكليّ فلا يشترط فيه أنْ يوجد في النّطق مسند ومسند اليه، بلْ تتحقق الفائدة الكاملة بوجودهما، وقد تتحقق بكلمة واحدة إذا أدت المعنى المفيد ».(١) فقد تحمل الكلمة الواحدة معنى الجملة المؤدية المعنى في أصغر وحدة لغويّة، وهي الكلمة ذات الدّلالة المستغنية عن غيرها من أركان الكلام والقائمة بنفسها ولكنّ هذا الاستغناء ناتج عن مواقف خارجيّة ترتبط بالمقام وسياق الحال، يقول فندريس: «والجملة تقبل بمرونتها أداء أكثر العبارات تنوعاً، فهي عنصر مطاط، وبعض الجمل تتكون من كلمة واحدة(تعال)و(لا)و(وأسفاه)و(صه)، كل واحدة من هذه الكلمات تؤدي معنى كاملاً يكتفي بنفسه»(٢) وقد سبق السّيوطي إلى هذه النّظرة بقوله:« إنّ الكلمة الواحدة قد تكون كلاماً إذا قامت مقام الكلام (نَعَمْ) و(لا) في الجواب»(٣)

وهكذا يتضح أن أهمية الإسناد في تركيب الجملة لاتقتضي توافر الركنين فقد يُحذف أحد ركني الإسناد، يقول عبدالرحمن أيوب«ولايشهد واقع اللغات- بما

---

١) محمد عيد- أصول النحو العربيّ ص ٢١٨، عالم الكتب- القاهرة ١٩٧٣.

١) فندريس- اللغة ص ١٠١.

٢) السيوطي- همع الهوامع جـ(١) ص ٣٢.

في ذلك العربيّة- بضرورة تكوّن الجملة من مسند ومسند إليه، باعتبار أنّ المسند لفظ، والمسند إليه لفظ آخر ، وليست الحالات التي ذكرها النحاة لضرورة حذف الخبر مّرة، وضرورة حذف المبتدأ مّرة أخرى، أو جواز هذين الاحتمالين إلا دليلاً قاطعاً على عدم لزوم استكمال الإسناد اللغويّ لركنين يقابلان القضية المنطقيّة ».(١)

وبذلك يتضح أنّ دراسة الجملة في البلاغة العربيّة لم تقف عند العناية بالشكل في أداء المعنى، وظهر ذلك جلياً في تقسيم الجملةإلى خبر وإنشاء ومايتعلق بالتركيب من تحولات في نظامها التّركيبي توثر في معناها الدلاليّ.

---

١) عبدالرحمن أيوب- دراسات نقديّة في النحو العربيّ ص ١٥٩ .

الجملة في علم اللسان الحديث

اتجهت الدراسات اللغويّة في علم اللسان الحديث إلى درس الجملةُ محاولةً وصفها وتحليل عناصرها وإبراز عنصر المعنى ولعلّ:« أهم فرق يميز البحث الحديث في بناء الجملة عن البحث العربيّ يكمن في أنّ الجهد العربيّ دار حول محور نظريّة (العامل)، بينما يضع البحث الحديث هدفه دراسة التّركيب الشّكلي لعناصر الجملة وسيلة للتّعبير عن معنى، ومن ثم يُعدّ المعنى عُنْصُراً مُهّماً في دراسة بناء الجملة»(١)وهذا لايعني أن البحث النحويّ القديم أغفل دراسة التّركيب الشّكليّ وما يؤديه من معنى ، ولكنّ الدّرس الحديث جعل هذه الفكرة المحور الذي يصدر عنه في دراسته.

«ومن المبادئ الملتزمه في علم اللغة الحديث أنْ تُتّخَذَ الجملة أساس كلّ دراسة نحويّة، وأنّ تكون بداية كلّ وصف لغويّ ونهايته، وأنْ يحلل الكلام لا على أساس الألفاظ التي يتألف منها، وإنّما باعتبار مابين هذه الألفاظ من علاقة».(٢)

وهكذا يظهر أنّ الدّراسة النّحويّة اهتمت بالعامل وأثره في التركيب من حيث الحركة ولكنّها لم تُغْفِلْ العناية بالمعنى كليّا ثُمّ أخذ النّحو مساراً جديداً في الدراسه البلاغيّة.يقول محمد أحمد برانق:« واهتم النحاة بالعوامل اهتماماً كبيراً وقسموا أبواب النّحو متأثرين بهذه العوامل، ثم عنونوا كلّ باب بعنوان

---

١) محمود فهمي حجازيّ- مدخل إلى علم اللغة ص ٦٧.

٢) عبدالقادر المهيري- الجملة في نظر النحاة العرب ص ٣٥حوليات الجامعة التونسية، العدد الثالث، ١٩٦٦.

يفيد أنّ العوامل هي الأسس التي تدور حولها الدّراسة، فهذا باب إنّ واخواتها، وذلك باب نواصب الفعل المضارع...»(١)ولم يطرأعلى دراسة الجملة «تقدّم يذكر إلا حين تقدّمت الدراسات المتصلة بإعجاز القرآن ونحت أو نحا معظمها على الأقل ، نحو اعتبار هذا الإعجاز نابعاً إلى حد كبير من الطريقة التي نُظِمَتْ عليها الآيات البينات».(٢)

أما تشومسكي فقد:« بدا الجملة باعتبارها أهم وحدة لغوية، وانطلق منها إلى المعاني من جهة وإلى الأصوات من جهة أخرى، واعتبر هذا الشكل الأخير، أي أصوات الجملة الفعلية، آخر مظهر من مظاهر اللغة، لانّه الشكل الخارجي الظاهر المستعمل فعلا في عملية الكلام على أساس أنّه الناتج النهائي لعمليات كثيرة أخرى».(٣)

معنى الجملة في علم اللسان الحديث:

يعّرف إبراهيم أنيس الجملة بقوله:«على أنّ الجملة في أقصر صورها أو أطولها ، تتركب من ألفاظ هي مواد البناء التي يلجأ إليها المتكلم أو الكاتب أو الشاعر ، يُرتّبُ بينها ويُنظّم ويستخرج لنا من هذا النظام كلاماً مفهوماً نطمئن إليه ، ولا نرى فيه خُروجاً عما ألفناه في تجاربنا السابقة ».(٤)

---

١) محمد أحمد برانق- النحو المنهجيّ- ص ٤٨ مطبعة لجنة البيان العربيّ ط (٢) ١٩٥٩.

٢) فؤاد حنا ترزي – في أصول اللغة والنّحو ص١٩٦،بيروت.د.ت.

٣) نايف خرما – أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص.١٢.

٤) ابراهيم انيس – من اسرار اللغة ص٢٧٨.

أكدّ ابراهيم انيس في هذا التعريف مفهوميْ البناء والمعنى، وبذلك سار في الاتجاه النحوي الذي يشترط الإفادة وتحقيق المعنى في الجملة. وبيّن المخزومي الجملة في أقصر صورها بقوله : « والجملة في أقصر صورها هي أقل قدْرٍ من الكلام يُفيد السامع معنى مستقلاً بنفسه، وليس لازماً أنْ تحتوي العناصر المطلوبة كلّها ».(١)فالجملة عند المخزومي تفيد معنى بصرْف النّظر عن عدد المؤلفات لها،فقد تتدخل قوانين اللغة فتحذف من عناصر الجملة، ولكنْ يبقى المعنى المقصود من الجملة، لأنّه شرط لابد منه في ضوء القوانين اللغويّة.وفي موضع آخر يرى المخزومي أنّ الجملة:« هي الصّورة اللفظيّة الصّغرى للكلام المفيد في أيّة لغة من اللغات، وهي المركب الذي يبين المتكلم به أنّ صورة ذهنية كانت قد تألفت أجزاؤها في ذهنه ثم هي الوسيلة التي تنقل ما جال في ذهن المتكلم إلي ذهن السّامع »(٢)فالجملة هي صورة من صور التّعبير التي تهدف إلى نقل ما في نفس المتكلم إلى نفس السّامع، وهي ترتبط بالفكرة الذهنية القائمة في ذهن المتكلم قبل أنْ تتحول إلى بنية سطحيّة من الألفاظ والتّعابير، ويوافق عبدالسلام هارون الاتجاه النحويّ الذي يرى: أنّ الجملة أعم من الكلام والكلام أخصّ منها، ولذلك فهو لايشترط في الجملة الإفادة وأداء المعنى التام وإنّما يشترط ذلك في الكلام الذي ازداد شرطا ، بناء على تعريفه للجملة فهو يقول:« والحقُّ أنّ الكلام أخصّ من الجملة والجملة أعم منه، وإنّما كان

١) مهدي المخزومي – في النحو العربي (نقد وتوجيه) ص٣١، المكتبة العصرية ط(١) ١٩٦٤.

٢) مهدي المخزومي- في النحو العربي(نقد وتوجيه) ص ٣١.

الكلام أخصّ من الجملة، لأنّه مزيد فيه قيد الإفادة ويقول المناطقة:« الأخصّ ما ازداد قيداً، والأعم ما ازداد فرداً» فالنسبة المنطقيّة بينهما هي العموم والخصوص المطلق»(١) فقد استند هارون على مقوله منطقيّة في رسم العلاقة بين الكلام والجملة، وهذا ما دعاه إلى تعريف الجملة بأنّها:« القول المركب» أفاد أم لَمْ يُفِد، قُصِدَ لذاته أم لم يُقصد»(٢) ويلاحظ على تعريف هارون للجملة أنّه يرتضي مفهوم الشّريف الجرجانيّ حتى يكاد يتفق معه في عدم اشتراط الإفادة في الجملة عندما قال:«الجملة مركب من كلمتين... أفاد أولم يُفِد»(٣)

أمّا داود عبده فيقرر أنْ« ليس معنى الجملة مجموع معاني المفردات التي تتألف منها،بَلْ هو حصيلة تركيب هذه المفردات في نمط معين حسب قواعد لغويّة محددة»(٤) فالجملة عند داود عبده ما انتظمت في خطين أساسيين: خط البناء وخط المعنى، فلابد من تحقيق قوانين الصّياغة في ضوء المعنى الذي يهدف إليه المتكلم، ويعرف فردينان دي سوسير التركيب ليبني عليه مفهومه للجملة فيقول:« إنّ مفهوم التّركيب لاينطبق على الكلمات وحسب ، بل على مجموع الكلمات، والوحدات المعقدة من المقاييس والأصناف كافة(الكلمات المركبة والمشتقة، أقسام الجملة والجمل كاملة)»(٥) ويخلص سوسير إلى القول:« إنّ

١) عبدالسلام هارون- الأساليب الانشائية في النّحو العربيّ ص ٢٥ مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٩.

٢) عبدالسلام هارون -الأساليب الإنشائية في النحو العربيّ ص ٢٥.

٣) الشريف الجرجانيّ - التعريفات ص ٧٨.

٤) داود عبده-التقدير وظاهرة اللفظ ص ٦ مجلة الفكر العربي، عدد (٨-٩)، ١٩٧٩.

٥) فردينان دي سوسير-محاضرت في الألسنيّة العامة ص ١٥٠، ١٥١.

الجملة هي النّمط الأفضل للتّركيب غير أنّها تنتمي إلى الكلام لا إلى اللسان»(١) فالجملة عند سوسير ترتبط بالتّركيب، وهي صنّف من الكلام، والكلام في مفهومه« عمل فرديّ للإرادة والعقل»(٢) وكذلك الجملة عمل فردي تتجلى منه حركة الإرادة والعقل في التعبير عن غرض معين.

ولكن إدوارد سابير يبرز النّاحية المجردة في الجملة فيقول «العناصر النّحويّة في الجملة هي وحدات وظيفيّة رئيسيّة وتُمثل الحدّ المعنويّ والأوليّ، وتمثل الجمل التّجسيد الحسيّ لاتحادها بالأفكار»(٣) ولايفصل سابير الكلام على إحساس المتكلم النفسيّ والوعي لما ينطق من الكلمات، فهو يوضح الجملة في إطار من وظيفة الكلمة في مجال البعد النفسيّ فيقول في موضع آخر :« ليست الكلمة أو الجملة وجوداً تجريدياً أو منطقياً فحسب ، وإنمّا لها دلالة نفسيّة».(٤)والجملة عند ليونارد بلومفيد تتعلق بالشكل الصوتيّ والمعنى الذي يؤديه، فهو يقول:« الشّكل الصوتيّ الذي له معنى شكل لغويّ، إذن أيّ جملة انجليزيّة أو شبه جملة أو كلمة شكل لغويّ، ولذلك فهي مقطع لفظيّ له معنى»(٥).

---

١) فردينان دي سوسير–محاضرت في الألسنّية العامة ص ١٥٠، ١٥١.

٢) فردينان دي سوسير–محاضرت في الألسنّية العامة . ص ٢٥.

٣) Edward,sapir, language, p32, New york, 1971

٤) المرجع نفسه ص ٣٥

٥) Leonard Bloomfield, Language,p .138 New york. 1976

ويرى مارتن والش أنّ الجملة تحتوي على فكرة ذات معنى فيقول: «الجملة كلمة أو مجموعة من الكلمات تعبر عن فكرة تامة»(١) وترتبط الجملة بالتنغيم الذي يعطي الجملة الانجليزية معنى ، ويتوقف مفهوم الجملة عند ليتمان على وجود البنى الصرفيّة التي تعطي معنى يرتبط بالتّنغيم . ويعرّف ليتمان الجملة وفق هذا الأساس من التنغيم ودوره في المعنى فيقول:« في الإجابة على سؤال مثل: ماذا تريدني أنْ أحضر؟ قولنا:«دفتر ملاحظات» هي جملة، والجملة تحدد عادة بناء على ذلك بأنّها سلسلة من البنى الصّرفية التي تنتهي بنمط ذي نغمه معينة»(٢)

وترى« فرومكن»أنّ الجملة ليست مجموعة كلمات فقط ،ولكنّها تتجاوز هذا الحدّ فتقول :« تتجاوز الجملة حدّ كلمة تليها كلمة، مثل مجموعة أشياء ينظمها سلك ».(٣) فلاتقتصر الجملة عندها على الألفاظ بل لابد من معنى.

وفي ضوء نظريّة التّوليد والتّحويل فإنّ مفهوم الجملة عند تشومسكي له مستويان:

المستوى السطحيّ والمستوى العميق، ويشير تشومسكي إلى أهمية المستوى العميق بقوله :« لدراسة حقيقة الأداء اللغويّ لابد من الأخذ بعين الاعتبار تفاعل العوامل المختلفة للقدرة الضمنية لكل من المتكلم والسّامع على حدّ سواء»(٤)

---

١) J. Martin. waslh, plain English, hand- book. p.I. ohio

٢) Winfered, p.Lehmann, Decriptive Linguistics, p,155. 2d edition, New york

٣) Victoria fromkin, An Introduction to Language p, 204, Japan, 1983 .

٤) N, chomsky, Aspects of the theory of syntax, p.4 Cambridge, 1965

ومن خلال هذه العرض لآراء عدد من علماء اللغة المعاصرين يتبيّن أن مفهوم الجملة يختلف باختلاف المنهج اللغويّ الذي ينظر على أساسه إلى التّركيب اللغويّ.وهناك خط عام يجمع بين هذه الاتجاهات المعاصرة في تعريف الجملة، وهو تأكيد خَطّيْ البناء والمعنى، وقد سبق النّحو العربيّ الى هذا، عندما أشار إلى أنّ الجملة هي اللفظ المستقل بنفسه المفيد فائدة يحسن السكوت عليها ويشكل هذا التّعريف النّمط العام الذي ارتضاه نحاة العربيّة.

وفي ضوء نظريّة التّوليد والتّحويل التي حاولنا الوقوف على معانيها في هذا البحث يمكن تعريف الجملة بأنها:« كلمة أو نظام من كلمات تتحد في وظيفة موقعية لأداء معنى أو معنى المعنى في صياغة منتظمة، وهي ذات مستويين: المستوى الأول : يؤدي المعنى التّوليديّ المرتبط بالجانب السطحيّ أو المعنى المتعادل.

المستوى الثاني: يؤدي معنى المعنى المرتبط بالجانب التّحويليّ أو المعنى العميق الذي تنتجه عناصر التّحويل.

مقتضى الحال: السياق (المقام)

إنَّ تفسير الظّاهرة اللغويّة لابد أنْ ياخذ السياق في تمييز معنى الجملة، ويتوقف الاكتمال الدّلاليّ لمعنى الكلمة على وجودها في سياق معين يبيّن مكان كلّ كلمة بالنسبة للكلمات المجاورة لها، وإذا حَدَثَ تغيُّر في موقع كلمة يحصل تغيُّر في دلالتها يؤثر في الدّلالة الكليّة للجملة. وتكتسب الكلمات سماتها المميّزة لها من خلال وجودها في تآلف يربط الكلمة بجارتها فلا ينظر للكلمة على أساس أنّها وحدة مستقلة عن غيرها

معنى السّياق:

يُقْصَدُ بالسياق« جوار الكلمات في التّلاصق الركنيّ الملفوظ للجمل، أي ما يسبقها ويلحقها من مفردات وعادة، يعدّ العامل النّحويّ في تركيب الكلام مَظْهَراً سياقياً، وينطوي السيّاق على مجموع العوامل والظروف الاجتماعية والثقافيّة التي تحيط بالمتكلم والسّامع».(١)

ويقرر بشر بن المعتمر أهمية مطابقة الكلام لمقتضى الحال:« ينبغي للمتكلم أنْ يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات، فيجعل لكلّ طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً»(٢)

ويقول بشر بن المعتمر في موضع آخر: « وإنّما مدار الشّرف على الصّواب وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال»(٣)

---

١) عدنان بن ذريل- اللغة والدّلالة آراء ونظريات ص ١٦٠.

٢) الجاحظ -البيان والتبيّين جـ (١) ص ١٣٨- ١٣٩

٣) الجاحظ- البيان والتبيّن جـ(١) ص ١٣٦

« لقد اهتم اللغويون بالسيّاق لتحديد معاني الكلمات، لأنّ الكلمة يتحدد معناها من خلاله ولاتدل بنفسها على شيء وكما يقول اللغويّ الفرنسيّ ميية Meille إنّ الكلمة الحقيقية هي الكلمة في السيّاق».(١)وتبدو مطابقة الكلام للحالة التي يتحدث عنها المتكلم ومناسبة الموقف من مقتضيات البلاغة عند أبي عبيدة يقول«: قال الحطيئة:

تحنّن عليّ هداك المليك فإنّ لكلّ مقام مقالا».(٢)

وعُرِفت مدرسة لندن « بما يسمى بالمنهج السيّاقي Contextual Approach وكان زعيم هذا الاتجاه Firth الذي وضع تأكيداً كبيراً على الوظيفة الاجتماعيّة للغة، ويقول أصحاب هذا الاتجاه في شرح وجهة نظرهم :(معظم الوحدات الدّلاليّة تقع في مجاورة وحدات أخرى. وأنّ معاني هذه الوحدات لايمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها»(٣) وعني الجاحظ بمراعاة مقتضى الحال، وقد جاء عن عبدالله بن مسعود « حدّث الناس ما حَدَجوك بابصارهم ،وأذنوا لك باسماعهم، وإذا رأيت منهم فترة فأمْسِكْ» .(٤)

والمعنى السياقيّ Contextual meaning:« هو المعنى المرتبط بالسياق اللغوي أو اللفظي نفسه ، أو الذي يتحدد وفقا له ـ

---

١) كريم حسام الدين– أصول تراثية في علم اللغة ص ٢٨٣.

٢) أبو عبيدة– مجاز القرآن جـ(٢) ص ٣.

٣) أحمد مختار عمر – علم الدلالة ص٦٨–٦٩ مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ١٩٨٢.

٤) الجاحظ– البيان والتبيين جـ(١) ص ١٠٤.

إلا أنّ هذا المعنى قد يفهم منه أمران:

أولاً ، أنّ معنى اللفظ يتحدد وَفْقاً للسياق اللغويّ الذي يرد فيه اللفظ ، بحيث يكون معنى اللفظ جزءاً من معنى السّياق الكليّ.

ثانياً، أنّ للسّياق معنى يتحدد بناء على معاني الألفاظ التي تَرِدُ فيه والعلاقات التي تربط بينها في بناء واحد»(١) فالمعنى السيّاقي يتوقف على ترابط المعاني في سياق يظهر المغزى من العبارة.

ويُقدّم الرماني مثالاً يوضح مناسبة الكلام لمقتضى الحال :« قوله تعالى : (سنَفرُغُ لكم أيّها ألثقلان) (٢) يقول : واللّهُ – عزوجل ـ لا يشغله شأن عن شأن ، ولكنّ هذا أبلغ في الوعيد ، وحقيقته سنعْمِدُ ، إلاّ أنّه لما كان الذي يَعْمِدُ إلى شيء قد يُقصّر فيه لشغله بغيره معه ، وكان الفارغ له هو البالغ من الجهة التي هي أعرف عندنا لما كانت بهذه المنزلة ، ليقع الزّجر بالمبالغة التي هي أعرف عند العامة والخاصة موقع الحكمة » .(٣) والذي يُعيّن « قيمة الكلمة في كلّ الحالات إنّما هو السياق إذْ إنّ الكلمه توجد في كلّ مّرة تستعمل فيها في جو يحدّد معناها تحديدا مؤقتاً ، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أنْ تدلّ عليها ، والسياق أيضاً هو الذي

---

١) عزمي إسلام- مفهوم المعنى دراسة تحليلية، ص ٦٥ حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت ، الحولية السادسة، الرسالة الحادية والثلاثون ،١٩٨٥.

٢) الرحمن ٣١.

٣) الرماني – النكت في إعجاز القران ص ٨١.

يُخلّصُ الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها ، وهو الذي يَخْلِقُ لها قيمة حضورية »(١)

وبين ابن رشيق القيرواني مناسبة الكلام للمتلقي :« فأول مايحتاج إليه الشاعر حسن التأتي والسياسه،وعِلْمُ مقاصد القول ، فإنْ نَسَبَ ذلّ وخَضَعَ ، وإنْ مدح أطرى وأسمع ، وإنْ هجا أخلّ وأوجع ، وإنْ عاتب خَفَضَ وَرَفَع ، وإنْ استعطف حَنّ وَرَجَع ، ولكن غرضه معرفة أغراض المخاطب كائناً مَنْ كان ، ليدخل إليه من بابه »(٢)

ويبرز الجرجانيّ أهميه المبدع والمتلقي في العمل الفنيّ يقول :« وإذا كان مما يُعقَلُ ببدائه المعقول أنّ الناس إنّما يكلّم بعضهم بعضاً ليعرف السّامع غرض المتكلم ومقصوده فينبغي أنْ يُنْظر إلى مقصود المُخْبر من خبره وما هو؟ »(٣)

ويقول الجرجانيّ في موضع آخر :« لأنّ المزايا التي تحتاجُ أنْ تُعلّمَهُم مكانَها ، وتُصوّر لهم شأنها ، أمور خفية ، ومعان روحانية ، أنْت لا تستطيع ان تُنَبّه السامع لها ، وتُحدِثَ له عِلْماً بها ، حتى يكون مُهيئاً لإدراكها »(٤) وقرر الجرجانيّ « أنّ العلم بمواقع المعاني في النفس ، علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النّطق »(٥)

---

١) فند ريس – اللغة – ص ٢٣١.

٢) ابن رشيق – العمدة جـ (١) ص ١٩٩.

٣)عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ص ٤٠٨.

٤) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ص ٤٢٠.

٥) عبد القاهر الجرجاني – دلائل الإعجاز ص ٤٤.

ويقول تمام حسان في محاولة الجرجانيّ :« ولعلّ أذكى محاولة في تفسير العلاقات السياقيّة في تاريخ التراث العربي الى الآن هي ما ذهب اليه عبد القاهر الجرجانيّ صاحب مصطلح التّعليق »(١)

وقد وجه السكاكيّ المعاني توجيهاً قائما على أساس المتلقي في العمل الفنيّ فربط مقتضى الحال بالمتلقى وهو : «إمّا خالي الذهن ، وإمّا متردد في الحكم ، وإمّا مُنْكِرٌ له »(٢)

وتناول السّكاكي فكرة السياق من خلال نظرة دقيقة تربط الكلام بمقتضى الحال بقوله :« إنّ مقامات الكلام متفاوته ، فمقام الشكر يُباين مقام الشّكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام التّعزية ، ومقام المدح يُباين مقام الذم ، ومقام الترغيب يباين مقام الترهيب ، ... فلكلّ كلمة مع صاحبتها مقام، ولكل حدّ ينتهي إليه الكلام مقام » (٣)

ويعرض الزمخشري لقوله تعالى : (فقالوا إنّا إليكم مُرسلون ، قالوا ما أنتم إلاّ بشر مثلنا وما أنزل الرّحمن من شيء إنْ أنتم إلاّ تكذبون ، قالوا ربّنا يَعْلَمُ إنّا إليكمُ لمرسلون)(٤) يقول الزمخشري :" فإنْ قلت : لِمَ قيل :(إنّا اليكم مُرسلون) أولاً و (إنّا إليكم لمرسلون) آخراً ؟ قلت : لأنّ الأول ابتداء وإخبار والثاني جواب عن إنكار ، وقوله : (ربُّنا يعلم) جارٍ مجرى القسم في

١) تّمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها ص ١٨٦.

٢) السكاكي– مفتاح العلوم ص ١٧٠-١٧١.

٣) السكاكي – مفتاح العلوم ص ١٦٨-٦٩.

٤) سورة يس ١٣– ١٦.

التوكيد »(١) ويمثل السياق عند القزويني ملحظاً ثابتاً يكشف عن بلاغة الكلم يقول:« إن بلاغة الكلم مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ».(٢)

وقد أدى تطبيق المناهج الحديثة إلى الاهتمام بالسياق وإبراز المعنى الدّلاليّ من خلال كشف الجانب الاجتماعي في اللغة الذي يبرز الملامح الخاصة للكلمة، يقول تمام حسان:« إنّ وجود العنصر الاجتماعيّ في اللغة ليدفعنا إلى الكلام عن معني اجتماعي هو المعنى الذي يتوافر فيه الخصوص الذي افتقدناه في المعنى المعجميّ العام »(٣) ولهذا « ينبغي علينا أنْ نقرّ بأنّ التعابير لا معنى لها إلاّ في سياق فلا تنظر إلى الشيء الذي يُشير إليه التّعبير ، بلْ إلى المناسبة التي تعطي استعمال التعبير معنى، وبدلاً من أنْ نسأل : مامعنى كلمة س؟ علينا أنْ نسأل سؤالين: الأول : هو ، لأي غرض تستعمل الكلمة س؟ والثاني: ما الشروط التي بها يكون استعمال الكلمة س صحيحاً ؟ والنتيجة بتوقف الأمر على السياق وظروف الاستعمال ».(٤) وبذلك يتضح :« أنّ تأثير الكلمة الواحده يتفاوت حَسْبَ الكلمات الأخرى التي ترد هذه الكلمة بينها ، فالكلمة التي يلتبس معناها وهي بمفردها ، يتحدد معناها حينما ترد في سياق ملائم ، وهذه هي الحال دائما ».(٥)

---

١) الزمخشري – الكشاف جـ(٤) ص٦.

٢) الخطيب القزويني – الإيضاح في علوم البلاغة ص١١-١٢.

٣) تمام حسان – اللغة بين المعيارية والوصفية ص ١٢٣.

٤) عبد الرحمن بدوي –اللغة والمنطق في الدراسات الحالية ص ٧٣ عالم الفكر ، المجلد الثاني – العدد الاول ، ابريل ١٩٧١.

٥) رتشارد ز إ.ا.، مبادئ النقد الادبي ص ٢٣٦ ترجمة : مصطفى بدوي ، المؤسسة المصرية العامة ١٩٦٣.

وسبق ابن خلدون علم اللسان الحديث بأنّ « الألفاظ بأعيانها دالة على المعاني بأعيانها ويبقى ما تقتضيه الأحوال ويسمى بساط الحال محتاجا الى ما يدلّ عليه ، وكلّ معنى لا بد أنْ تكتنفه أحوال تخصُّه ، فيجب أن تعتبر تلك الأحوال في تأدية المقصود » (١)

وهكذا يتضح أنّ التحليل الدّلاليّ يعتمد السّياق :« فالكلمة لا تحمل معها فقط معناها المعجمي بل هالة من المترادفات والمتجانسات ، والكلمات لا تكتفي بأنْ تكون لها معنى فقط بل تثير معاني كلمات تتصل فيها بالصوت او بالمعنى او بالاشتقاق أو حتى كلمات تعارضها أو تنفيها »(٢) وينضاف إلى ذلك أنّه «يتعدد الاستعمال خلال العصور وفي مختلف المناسبات وشتى البيئات يتم للكلمه أكثر من معنى ويجتمع لها أكثر من دلالة ، وهذه الاستعمالات أو المعاني المتعددة تتصل كلها بالمعنى الأصليّ اتّصالا قوياً أو ضعيفاً ، قريباً او بعيداً ، وتفيد الكلمة في ذاتها المعاني التي اكتسبتها كلها ، وكأنّها مختزنة فيها كامنة في تضاعيف حروفها ، ويبرز أحدها حين استعمال الكلمة في جملة معينة وسياق محدد من الكلام ».(٣)

وبذلك يتكشف لنا أنّ السياق هو العنصر الذي يوجه اللفظه المفردة في دلالة معينة ، ومن خلاله نستطيع محاكمة النص في ضوء نظرية النّظم فهـــو

١- ابن خلدون – المقدمة ص ٥٥٥-٥٥٦.

٢- رينيه ويلك – نظرية الأدب ص ١٨١ ترجمة : محيي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨ .

٣- محمد المبارك – فقه اللغة وخصائص العربية ص ١٨٢-١٨٣ دار الفكر ط(٧) ١٩٨١.

يُكْسِبُ اللفظه الإشعاع الذي يقدّم الظلال النفسية التي تمنح النصّ الجودة والحسن البلاغيّ .إن اختلال نظام العلاقات يجعل ترتيب الكلمات خالياً من الحياة وبعيداً عن النظم والتأليف،فلا بُدَّ من مراعاة الظروف الداعية لإخراج الكلام بصورة معينة مما يفضي الى الإبانة والايضاح فالزمان والمكان والمخاطب والمتكلم والحالة النفسيّة أمور تُفضي إلى إصابة الغرض .

قرينة الإعراب

كانت حركة الإعراب مَظْهَراً للنّظم عند العرب فتركيب الجمل ونظمها يعتمد على اتباع قوانين النحو ،وشغلت حركة الإعراب حَيزاً كبيراً من اهتمام النحاة، فهي من الظواهر التي حَفِلَ بدرسها النّحو العربيّ، والإعراب من القرائن التي تُفرّق بين ا لمعاني، واختلفت الآراء في توجيه الحركة الإعرابيّة قديماً وامتد الخلاف حديثاً ولعلّ بداية هذا الخلاف تعودإلى ما رواه سيبويه عن الخليل بن أحمد:«وزعم الخليل أنّ الفتحة والكسرة والضمة زوائد، وهن يلحقن الحرف ليوصل إلى التّكلم به.والبناء هو الساكن الذي لا زيادة فيه».(١)

وبيّنَ ابن جني الإعراب بقوله :«الإعراب هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألاترى أنّك إذا سمعت: أكرم سعيدٌ أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول»(٢) وأدرك ابن جني علاقة الإعراب بالمعنى بقوله:«وذلك أنّك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين: هذا يدعوك إلى أمر، وهذا يمنعك منه، فمتى اعتورا كلاماً ما أمسكت بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب»(٣)

وتنبه صبحي الصّالح إلى أهمية الإعراب بقوله:« ولما أصابت العربية حظاً من التطور أضحى الإعراب أقوى عناصرها، وأبرز خصائصهـــا، بَلْ سِرّ جمالها،

---

١) سيبويه- الكتاب جـ ٤ ص ٢٤١-٢٤٢.

٢) ابن جني- الخصائص جـ(١) ص ٣٥.

٣) ابن جني- الخصائص جـ(٣) ص٢٥٥.

وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزّلل، المعوّضه عن السّليقة، لأنّ الناس أدركوا حين بدأ اختلاطهم بالأعاجم أنهّم لولا خلاطُهمْ لهم لما لحنوا في نُطْق، ولاشذوا في تعبير». (١)

وقصة طريفة يذكرها ابن جني تدلّ على عناية العرب بالحركة الإعرابيّة وما يترتب عليها من المعنى، يقول:« وسألت يوماً أبا عبدالله محمد بن العساف العُقيلي الجوثيّ التّميمي- تميم جوثه -فقلت له: كيف تقول: ضربت أخوك؟ فقال : أقول: ضربت أخاك. فأدرته على الرّفع، فأبى، وقال: لا أقول أخوك أبداً. قلت :فكيف تقول: ضربني أخوك، فرفع. فقلت: ألست زعمت أنّك لا تقول: أخوك أبداً؟ فقال: أيش هذا! : اختلفت جهتا الكلام. فهل هذا إلاّ أدلّ دليل على تأملهم مواقع الكلام، وإعطائهم إيّاه في كلّ موضع حقّه، وحظّه من الإعراب».(٢)

وبيّن ابن جني الحركة الإعرابيّة بقوله:« اعلم أنّ الحركات أبعاض حروف المدّ واللين، وهي الألف والواو والياء»(٣) وعلّل تسميتها بالحركات:« وإنّما سُميّت هذه الأصوات النّاقصة حركات،لأنّها تُقْلِقُ الحرف الذي تقترن به، وتجتذبه نحو الحروف التي هي أبعاضها».(٤)

وعدّ الزّجاجيّ الحركات الإعرابيّة دوال على المعانــي قال:«إنّ الاسماء لما كانت

---

١) صبحي الصالح – دراسات في فقه اللغة ١١٨ دارالعلم للملايين- بيروت ط(٦) ١٩٧٦.

٢) ابن جني- الخصائص جـ (١) ص ٧٦-٧٧.

٣) ابن جني – سر صناعة الإعراب جـ(١) ص ١٩ تحقيق: السقا وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر، ط(١) ١٩٥٤.

٤) ابن جني – سر صناعة الإعراب جـ (١) ص ٢٠.

تعتورها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة، ومُضافة، ومضافاً إليها...جُعِلَتْ حركات الإعراب فيها تنبيء عن هذه المعاني»(١)

ويُبْرِزُ دورَ الإعراب في المعنى قولُ ابن فارس:« من العلوم الجليلة التُي خُصّتْ بها العرب الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يُعرف الخبر الذي هو أصل الكلام، ولولاه ما مُيّز فاعل من مفعول، ولامضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولاصدر من مصْدر، ولانعت من تأكيد» (٢) وقال ابن فارس في موضع آخر:« فأمّا الإعراب فبه تُميّزالمعاني ويوقف على أغراض المتكلمين. وذلك أنّ قائلاً لو قال: (ما أحسن زيد) غير مُعْرب، أو:(ضرب عمرو زيد) غير مُعرب لم يوقف على مراده»(٣) وانتهى ابن فارس إلى أنّ الإعراب من خصائص العربيّة ، فقال« وللعرب ما ليس لغيرها، فهم يفرّقون بالحركات وغيرها بين المعاني»(٤)

وذكر الزجاجيّ رأياً لقُطرب يخالف فيه النحاة:«فإنّه عاب عليهم هذا الاعتلال، وقال لم يُعْرَبْ الكلام للدّلالة على المعاني... وإنّما أعربت العرب كلامها، لأنّ الاسم في حال الوقف يلزمها السكون للوقف، فلو جعلوا وَصْلَه بالسكون أيضا لكان يلْزمُه الإسكان في الوقف والوصل، وكانوا يُبطئون عند الإدراج فلما

١) الزجاجي- الايضاح في علل النحو ص ٦٩- ٧٠ تحقيق:مازن المبارك، دارالنفائس ط(٣) ١٩٧٩.

٢) ابن فارس- الصاحبي في فقه اللغة ص ٧٧.

٣) ابن فارس -الصاحبي في فقه اللغة ص ١٩٠- ١٩١.

٤) ابن فارس -الصاحبي في فقه اللغة ص ١٩١ والسيوطي -المزهر في علوم اللغة جـ(١) ص ٣٢٩.

وَصَلوا وأمكنهم التّحريك، جعلوا التّحريك مُعاقباً للإسكان ليعتدل الكلام».(١)

وقد تمسك بعض المعاصرين برأي قُطْرُب،يقول ابراهيم أنيس:« لم تكن تلك الحركات الإعرابيّة تحدد المعاني في أذهان العرب القدماء كما يزعم النحاة، بل لاتعدو أنْ تكون حركات يُحتاج إليها في الكثير من الأحيان لوصل الكلمات بعضها ببعض»(٢) ويقول فؤاد التّرزي في الحركة الإعرابيّة:« إنما وجدت في الأصل لغرض لفظيّ هو تيسير ارتباط الألفاظ بعضها ببعض».(٣)

إنّ ما ذهب إليه فؤاد التّرزي وإبراهيم أنيس في تفسير الحركة الإعرابيّة فيه إغفال لنظام الجملة العربيّة وما تتصف به من تحولات مردّها الى الإعراب وأثره في المعنى، ولاتتفق هذه النّظره والتّحليل اللغويّ الحديث فلم تجد قَبولاً في علم اللسان الحديث عند كثير من الباحثين، يقول مهدي المخزومي:« فإذا لم تكن الحركات أعلاماً لمعان قصد إليها المتكلم، بَلْ لم تعدُ أنْ تكون حركات يُحتاج إليها في الكثير من الأحيان، لوصل الكلمات بعضها مع بعض، فكيف يفسّر الوقف على (خالد) في لغةِ منْ ينتظر؛ ولماذا كانت الدال مرفوعة ومنصوبة ومخفوضة في الجمل الثلاث: هل جاء خالدُ ، وهل مررت بخالدٍ ، وهل رأيت خالداً ؟وعليه، فإن القول بأنّ الحركات إنمّا هي سدّ للحاجة الى وصل الكلمات

---

١) الزجاجي –الايضاح في علل النحو ص ٧٠-٧١

٢) ابراهيم أنيس– من أسرار اللغة ص ٢٣٧

٣) فؤاد الترزي– في اصول اللغة والنحوص ١٨٧مطبعة دار الكتب بيروت

بعضها ببعض، وأنّها ليست أعلاما للمعاني التي قصد إليها المتكلم، قول لم يحالفه التوفيق».(١)

وهكذا«فحركات الإعراب ليست شيئا زائدا أو ثانوياً، وهي لم تدخلْ على الكلام اعتباطا، وإنّما دخلت لأداء وظيفه أساسيّة في اللغة إذْ بها يتضح المعنى ويظهر، وعن طريقها نعرف الصّلة النّحويّة بين الكلمة والكلمه في الجملة الواحدة »(٢) فالإعراب « ليس زُخْرُفاً يُزَيّنُ به الكلام، بَلْ هو عنصر أساسيّ في بنائه إذا حُذف منه سقط جزء من المعنى، وضاع كثير من الفروق بين تعابير يختلف معناها باختلاف الإعراب وحده».(٣)

ويبين خليل عمايرة قيمة الحركة الإعرابيّة بقوله:«إنّ الحركة الإعرابية، شأنها شأن أيّ فونيم في الكلمة، له قيمة وأثر في الإفصاح والإبانة عما في النّفس من معنى، فإذا قال المتكلم مثلا : الأسدُ (بالضمة)، فإنّ السامع يدرك أنّه قد أراد نقل الخبر ليس غير، ولكنّه إنْ قال : الأسدَ (بالفتحة)، فإنّ المعنى يتغير إلى معنى التحذير الذي هو في ذهن المتكلم ويريد أنْ يفصح عنه».(٤)

---

١) مهدي المخزومي – مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو ص٢٥١ نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ط(٢) ١٩٨٥.

٢) مازن المبارك – نحو وعي لغويّ ص ٧٤ مؤسسة الرسالة ١٩٧٩.

٣) محمد المبارك – فقه اللغة وخصائص العربية ص ٢٤١ دار الفكر ط(٧) ١٩٨١م.

٤) خليل عمايرة – في نحو اللغة وتراكيبها ص ١٥٧.

وتتفق النّظرة اللغويّة المعاصرة مع النّظرة البلاغيّة التي بينت أهمية الإعراب، يقول الجرجانيّ:« فإنّ الإعراب في الحقيقة معنى لا لفظ.... ألا ترى أنّك لوقلت: هذا زيدٌ ، ورأيت زيدٌ،ومررت بزيدٌ، فلم تُغيِّر آخر الكلمة لكان ذلك لبْسا وإفساداً، فإذا خالفت بين الحركات في آخر الاسم، ودللْتَ بكلٍ واحدة على معنى اتّضح المقصود، وزال اللبْس والفساد»(١) فالإعراب عند الجرجانيّ:« هو أنْ يعرب المتكلم عما في نفسه ويبينه ويوضح الغرض ويكشف اللبس».(٢)

ويُظْهِر ابن خلدون أهمية الإعراب في أداء المعنى بقوله« وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملَكات وأوضحها إبانةً عن المقاصد لدّلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني »(٣) ويرى ابن خلدون أنّ الإعراب يشكل قرينة من قرائن الحُكْم على التّركيب اللغويّ الصحيح، وأنّ هناك قرائن لاتقل أهمية عن الإعراب في الحُكْم على صحة التراكيب في أداء المعنى، يقول:«لو اعتنينا بهذا اللسان لهذا العهد واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الإعرابيّة في دلالاتها بأمور أخرى موجودة فيه، تكون بها قوانين تخصُّها ولعلّها تكون في أواخره على غير المنهاج الأول في لغة مُضَر فليست اللغات وملكاتها مَجّاناً».(٤) فهو يشير إلي مجموعة من القرائن التي يشكل النّحو رُكْناً منها وقد استند

---

١) عبدالقاهر الجرجانيّ- المقتصد في شرح الايضاح- المجلد الأول ص ٩٨وابن الاثير- المثل السائر القسم الرابع ص ٤١-٤٢ تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانه، دار نهضة مصر د.ت.

٢) عبدالقاهر الجرجانيّ - اسرار البلاغة ص ٥٦

٣) ابن خلدون- المقدمة جـ(١) ص ٥٤٦.

٤) ابن خلدون- المقدمة جـ(١) ص ٥٧٧.

تّمام حسان إلى قرائن التّعليق في وصف الجملة، وقسم هذه القرائن إلى قسمين: «قرائن معنويّة: كالإسناد، والمخالفة، والمعيّه، والظرفيّة، وقرائن لفظيّة كالعلامة الإعرابيّة، والصيغة، والرتبة، والمطابقة، والتّضام، والنغمة، وتضافر هذه القرائن يوضح المعنى الدلاليّ للجملة.»(١) والعلامة الإعرابيّة تتضافرمع غيرها من القرائن لأداء المعنى، وبيّن ذلك نهاد الموسى في المبنيات:« والكلمات المبنيّة في العربيّة، تطرح سؤالاً كبيراً حول معاني حركات الأواخر، وتفتح مجالا واسعا للشك في أنّ حركة الإعراب دالة على معنى نحويّ، وتشير إلى أنّ الذي كان يفيد المعنى النّحويّ (الوظيفة التّركيبيّة) في حال الأسم المبني، بالضرورة، هو قرائن من النبر والتنغيم والتّرتيب... وليس حركة الآخر».(٢)

ويرى داود عبده أنّ الحركات الإعرابيّة في أواخر الكلمات ليست دالة على المعاني، يقول:« ولوكانت وظيفة الحركات الأخيرة هي حقاً التمييز بين المعاني المختلفة، لوجب أنْ تقوم بهذه الوظيفة دائماً».(٣)

ولانقف مع داود عبده في هذا الافتراض، لأنّ الحركات الإعرابيّة يتفاوت دورها وفق نوع التّركيب الذي تكون فيه، فقد تكون الحركة الإعرابيّة دالة على معنى ،ويتوقف معنى التركيب على نوع هذه الحركة كما هو الحال في تركيب: (ما أحسن زيد)، فإنّ معناه يتعلق بنوع الحركة وقد تقلّ قيمة الحركة إذا توافر من القرائن ما يَسُدّ عنها فقد تُغْني قرينة المعنى عن الحركة الإعرابيّة، ويعلّل نهاد الموسى ظاهرة ترك الالتزام بالحركة بقولة:«والفاعل فإنّ بعض العرب كان

---

١) تمام حسان- اللغة العربيّة معناها ومبناها ١٩١-٦٢٢.
٢) نهاد الموسى-تاريخ العربيّة:ابحاث في الصورة التاريخية للنحو العربيّ ص ١٢٠. نشر: الجامعة الأردنيّة ١٩٧٦.
٣) داود عبده- ابحاث في اللغة ص ١١٤ مكتبة لبنان ١٩٧٣.

ينصبه على ما روى الأزهري عن ابن هشام في شرح « بانت سعاد » ويَظهر أنّ نصبه، وهو مَظْهَر من تَرْكِ الالتزام بالحركةالميزه للفاعليّة، كان نتيجة لوجود قرائن أخرى تقوم مقام الرفع وتدل على معناه ، فإنّ الأمثلة والشواهد التي تُساق في هذا المجال هي أمثلة وشواهد يتّعين فيها الفاعل بقرينة المعنى بالضرورة، وذلك كما في (خَرَقَ الثوبَ المسمارُ)»(١) وهذا يظهر أنّ المعنى الدّلاليّ يتجلي في مجموعة من القرائن اللفظيّة والمعنويّة، وأنّ الحركة الإعرابيّة قرينة واحدة من مجموعة القرائن، يقول تمام حسان:« إنّ العلامة الإعرابيّة بمفردها لاتُعين على تحديد المعنى فلا قيمة لها بدون ما أسلفت القول فيه تحت اسم« تضافر القرائن» وهذا القول صادق على كلّ قرينة أخرى بمفردها سواء أكانت معنويّة أم لفظيّة ».(٢)

وبهذه يتضح أنّ نظام الجملة في اللغة العربيّة يخضع لقوانين تنتظم في مسارها المفردات، وتعدّ ظاهرة الإعراب في اللغة العربيّة مثالاً يصدر عن تفكير واع يقصد ضبط المفردات. وبذلك يمكن القول إنّه قد يُتَرخَصُ بقرينة الإعراب إذا سدّ مسدها مايُغني عنها في حالة أمن اللبْس، يقول تمّام حسان:« اللغة العربيّة - وكل لغة أخرى في الوجود- تنظر إلى أمن اللبس باعتباره غاية لا يمكن التفريط فيها؛لأنّ اللغة الملبسة لاتصلح وساطة للإفهام والفهم، وقد خُلقَتْ اللغات

---

١) نهاد الموسى- في تاريخ العربيّة: أبحاث في الصّورة التاريخيّة للنحو العربيّ .١٤٠.

٢) تمام حسان -اللغة العربيّة معناها ومبناهاص ١٨١.

أساساً للإفهام والفهم وإنْ أعطاها النشاط الإنساني استعمالات أخرى فنيّة ونفسيّة، فإذا كانَ من الممكن الوصول إلى المعنى بلا لبْس مع عدم توافر إحدى القرائن اللفظيّة الدالة على هذا المعنى ، فإنّ العرب كانت تترخص أحيانا في هذه القرينة اللفظيّة الإضافيّة، لأنّ أمن اللبْس يتحقق بوجودها وعدمه »(١)

بيد أنّ ذلك لايُقلّل من أهمية الحركة الإعرابيّة، وإنّما تتفاوت قيمتها الدّلاليّة بتفاوت التّراكيب « فاللغة العربيّة لغة معربة أي تتغيّرحركات الحرف الأخير من كلماتها تَبَعاً لتغيرالتّراكيب، وهذه أهم ظاهرة تلفت النّظر في اللغة العربيّة، وقد كان العرب شديدي العناية بالإعراب، وكان حسّهم به دقيقاً يقظاً وقد قالوا اللحن هُجْنَةٌ على الشّريف. وقال عبدالملك بن مروان : شيبني ارتقاء المنابر وتوقع اللحن. هذا شأن حركات الإعراب ومنزلتها في اللغة العربيّة »(٢) وبذلك يتضح :« أنّ اللغة العربيّة لغة حسّاسه، يغلب أنْ يتأثر معناها بكل مايدخل الكلمات والأساليب من تغيير، مهما يكن موضعه، وأياً ما كان نوعه ومقداره، فكَتَبَ بفتح للفاعل المعلوم، وكُتِب بضم فكسر للفاعل المجهول. ولايختلف شأن العبارة في صياغتها عن شأن المفردات في بنيتها مِنْ هذه الناحية، فما من تغيّر يطرأ على العبارة إلاّ كان له صدى في معناها قوي أو ضعيف»(٣) وكان لظاهرة الإعراب أثر واضح في حرية وضع الكلمات في الجملة العربيّة القديمة،يقرّر رمضان عبد التواب هذا الملحظ بقوله:« وهكذا

١)تمام حسان- اللغة العربية معناها ومبناها- ٢٣٣.

٢) محمد أحمد عرفه- النحو والنحاة ص ١٢٤، مطبعة السعادة.د.ت.

٣) علي النجدي ناصف- من قضايا اللغة والنحو ص ٦-٧ مكتبة نهضة مصر، بالفجالة د.ت.

نرى أنّ وضع الكلمات ، غير ثابت في الجملة العربية القديمة، وساعد على هذه الحريّة في وضع الكلمات في الجملة، ظهور الإعراب الذي كان يوضح وظيفةالكلمة في اللغة ».(١)

وهكذا اتضح أن علامة الإعراب قرينة تسهم في أداء المعنى، ولكنّها تتحد بغيرها من القرائن، وتتفاوت في بعدها الدّلاليّ ،والمعنى هو الموجه الذي يُنْظَر إليه في الحُكْم على وظيفة الحركة الإعرابيّة في التّركيب.

---

١) رمضان عبدالتواب- فصول في فقه العربيّة ص ٢٩٤- ٢٩٥ نشر : مكتبة الخانجي : القاهرة ط(٢)

خاتمة البحث ونتائجه

مدار اهتمام هذا البحث النّظر إلى النّظم في ضوء الأنظار اللغويّة الحديثة على أساس أنّه طريقة متقدّمة في دراسة القيم الدّلاليّة واكتناه العلاقات المكّونه للأسلوب.و يفسر النّظم عند الجرجانيّ على أنّه« تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض مع توخي معاني النحو بين الكلم، وفق الأغراض التي يصاغ لها الكلام».

وقد بدأ النّظم فكرة تعني الارتباط وأخذ ينمو بنمو البلاغة العربيّة وارتبط الجانب اللغويّ بالاصطلاحيّ في توجيه مفهوم النّظم خلال تدرجه.ولم تُغفِل الدّراسات النّحويّة الأسرار البيانيّة للتركيب، فظهرت فكرة النّظم في التفسير النّحوي للظاهرة التركيبيّة. إنّ النظام النّحويّ يضع الكلمات في رباط تتراص فيه بترتيب يضع كلّ لفظة في مكانها مما يحتم وحدة بناء تشبه النواة في انتظام ذراتها. مما يؤكد أنّ النظرات الأولى عند النحاة تبدي إحساسهم بأهمية النّظم ،وبُني هذا الاحساس على أساس من النحو الوصفيّ الذي ينتمي إلى قواعد النّحو العربيّ، ثم تدرج الى عناية بتفسير الظاهرة على أساس من المعياريّة التي وصلت إلى مرتبة الحكم.

وتبينّ أنّ ما ورد من نظرات نقديّة لا يقتصر أمرها على أنّها مهدت السبيل لنظرية النّظم الجرجانيّة بَلْ قدّمت كثيراً من العناصر المتعلقة بالتّركيب، وما يطرأ عليه من تحولات ويتغير النّظم تَبَعاً للأغراض الدّلاليّة التي يقتضيها السّياق، وأنّ لكل كلمة أثراً في وحدة البناء الكلي.فقد برزت رغبة إلى

وحدة العمل الفنيّ وتناسب أجزائه في النّقد القديم.

وارتبطت دراسة النّظم عند البلاغيين والمفسرين بدراسة القرآن فكان القرآن أساس الدّراسات البلاغيّة التي اهتمت بتفسير معانيه وتوضيح آياته، وما طرأ على تراكيبه من التّحولات الدّلاليّة المتعلقة بالوجوه البلاغيّة والأسرار البيانيّة وقدأسهمت هذه الدّراسات في تدرج النّظم.

وإذا كان المستوى النّحوي قد اهتم بالتّركيب من حيث الصواب والخطأ وما يجوز وما لايجوز وتفسير التّراكيب بنظرات دلاليّة في بعض الأحيان، فإنّ البلاغيين تجاوزوا هذا البعد من الصواب وعدمه إلى الاهتمام بالبناء التّركيبيّ وأثر التّغير الدّلاليّ فيه مما جَعَلَ عبدالقاهر يخرج بنظريّة النّظم. وبذلك جاوز الجرجانيّ مراحل البحث الشكليّ في النحو العربيّ، فوضع نظرية النّظم وأرسى قواعدها.

وسبق الجرجانيّ بنظراته اللغويّة علم اللسان الحديث فتوافقت أنظاره وعلم اللغة الحديث، وخاصة عند تشومسكي في موضوع دراسة الجملة على أنّها ميدان التّحليل اللغويّ، ومايدخل عليها من قوانين التّحويل: حذف أو زيادة أوتقديم وتأخير....

بيّنت الدراسة أنّ فهم النظم في التراكيب لا بُدّ له من تحليل النّظام البنائيّ والوظيفيّ لذلك التّركيب، ويتم باستقراء توزيع الكلمات في السياق وكشف العلاقة الإسنادية التي تربط بين الأبواب النحويّة، وتصنيف القرائن اللفظيّة والمعنويّة، وإظهار أثرها الدّلاليّ من خلال الحُكْم على النّظم التّوليديّ أو التّحويليّ.

وكشفت الدراسة أنّ دراسة القواعد التّحويليّة في اللغة العربيّة تُظْهِرَ أنّ أي عنصر تحويليّ لابد أنْ يُحدث تغيراً في المعنى، فعناصر التّحويل من أسرار تبديل المعنى وأنّ المعنى الذي يحمله التّركيب التّحويليّ مغايرللمعنى الذي يقدّمه التّركيب التّوليديّ.

وهكذا يتضح أنّ نظريّة التّحويل تسهم في الكشف عن المعاني الإضافيّة للنصوص، بالكشف عن العلاقات الدّاخليّة من خلال تتبع درجات المعنى باختلاف ألوان التأكيد حيث تنكشف الدّلالة مما يساعد على اضاءة النّص،وتلتقي نظريّةالتّحويل والبلاغة العربيّة في مستوى هام من اكتناه المستوى الجماليّ للدلالات البيانيّة التي تستجلي الصّورة من خلال نظام العلاقات.

ويبدو أنّ النّحو عند الجرجانيّ لايتوقف على وضع القواعد التي تُسْهِم في صياغة الكلام الصحيح، ولكنّه يقوم باكتناه العلاقات القائمة بين أجزاء النّص فقد تجاوز النّحو الجرجانيّ القاعدة إلى معناها الجمالي وأصبحت القاعدة تفضي إلى المعنى المستفاد من النّظم. واتضح أنّ وظيفة النّحو عند الجرجانيّ تشبه وظيفتة في علم اللسان الحديث، فالنحّو دراسة الظاهرة اللغويّة من حيث التّعليق والإسناد والنّظم والتّرتيب.واتّصف النّحو الجرجانيّ باتحاد الشّكل والمضمون في دراسة جماليّة للنّظام اللغويّ، وتفسير النّص وفق ظاهرة الإعراب يقتضي النّظر إلى الإعراب على أنّه مفتاح لتفسير النّص، وأنّه قرينة تتضافر مع مجموعة من القرائن الدّلاليّة وتتفاعل معها في تكوين العمل الفني. وبهذا يكون النحو الجرجانيّ أوسع من المفهوم المتعارف عليه عند النحاة، فهو يشتمل قوانين علِم المعاني وإدراك القيم الجماليّة وكشف الخواص التّركيبيّة للعبارة

وأثرها في الدّلالة. ويلتقي النحو والدلالة في نقطة تقاطع تجمع بينهما وهي القدرةعلى أداء التّركيب الذي تتوافر فيه القيم الدلاليّة والمعاني النّحويّة موافقة لمقتضى الحال.

وقضت نظريّة النّظم على الخلاف بشأن تقديم اللفظ أو المعنى في العمل الأدبيّ. ولم تترك مُبَرّراً للتعامل معهما بانفصال بَلْ ربطت الصّياغة الشّكليّة والمضمون في أبعاد دلاليّة أسهمت في وحدة العمل الأدبيّ.فقد بنى عبدالقاهر نظريّة النّظم على أساس من تفاعل الشكل والمضمون في سياق من العلاقات الفنيّة. وتجاوز ثنائية اللفظ والمعنى إذْ استطاع تفسير النّص تفسيراً كلياً يأخذ بمبدأ التّوازن في عناصر العمل الفنيّ، فالمبدع لايهتم بألفاظه أو معانيه، بَلْ يهتم بهما على حدّ سواء فليس الشكلّ بمستقل عن المضمون وليس المضمون بمستقل عن الشّكل.

وتبينّ أنّ التّحليل اللغويّ يهتم بالمستويات النحويّة والصرفيّة والصوتيّة والدّلاليّة والأسلوبيّة وسياق الحال، ومن خلال اكتشاف هذه الأبعاد تتضح الظاهرة اللغويّة في مجموعة الأسس النّظريّة التي تؤلفها. وهذا يوضح أنّ تحليل العلاقات يقتضي الوقوف على مجموعة من مستويات النّظام اللغوي، وصياغتها وفق منظومة من البنى التي تُظهر أثرَها في تاليف النّص الأدبيّ.

ويتخذ النّظم عند الجرجانيّ اتجاهين:

الأول : نحويّ يؤكد أهمية النّحو والمعاني النّحويّة في الأداء

الثاني: بلاغيّ يظهر الدّلالات والقدرة الإيحائيّة في إبداع المواقف الأدبيّة في سياق النّقد الجماليّ.فسّر الجرجانيّ الاختيار الأسلوبيّ على أساس تفاعل

الألفاظ ودلالاتها ،وتكتسب الكلمة الطاقة التعبيريّة من خلال وجودها في نظام من العلاقات مما يُضفي عليها الحيوية.وأدرك الجرجانيّ تعدد اساليب النّظم فترك للمبدع حرية اختيار الأسلوب الذي يناسب غرضه.

وتستطيع نظريّة النّظم أنْ تكتشف العلاقات البنيويّة بين الجمل وتشكيل هيكل النحو العربيّ في ضوء الوصف الذي ينتمي إلى القواعد النّحوية، ولكن لابد من إضافة المستوى الدلاليّ للنظرة البنيويّة من خلال نظريّة التحويل في إدخال عنصر المعنى.

وخرج البحث بفكرة أساسية مؤداها أنّ النّص الأدبـيّ يؤلف نظاماً ويأتي التّحليل كشفا عن تجليات هذا النّظام بطريقة كليّة تجمع عناصر البنية، وبذلك تنكشف القيم الجماليّة في ضوء الكلّ الذي يحصر العلاقات في أبعاد ائتلافيّة تنطوي على أنساق من المتجانسات الداخلية التي تصب في الكل. ونظر الجرجانيّ الى النّص بطريقة بنائية تؤكد قيمة كل عنصر وأثره الدلاليّ في بناء النص.

وقد درس علماء العربيّة الجملة في مستويين:

الأول: دراسة تركيبية قسمت الجملة الى اسميّة وفعليّة وانضاف الى هذا التقسيم الشرطيّة والظرفيّة غير أنّ الجملة يمكن أنْ تُدْرَس وَفْقَ النّظامين الاسميّ والفعليّ وما عداهما يدخل في إطارهما.

الثانيّ: دراسة بلاغيّة تناولت التّركيب بدراسة معنى قسمته الى خبريّ وإنشائيّ.

واتضح أن الجملة لفظ مستقل بنفسه مفيد فائدة يحسن السكوت عليها.

واعتمد النحويون في تقسيم الجملة على البنى التركيبيّة التي تتصدر التّركيب في الأصل، وفق قاعدة «العبرة بصدْر الأصل» فالمعيار الأساسيّ ما تقدم الجملة وكان صدراً في الأصل فلا تأثير لتقديم الحروف والأدوات، لأنّ الحكم على الجملة قبل دخول الأدوات هو المعيار الذي استندت إليه نظريّة النّحو العربيّ.

والمقابلة بين الدرس النحويّ القديم والحديث أظهرت أنّ البحث النحويّ لم يُغْفِل التّركيب الشكلي وما يؤديه من معنى، ولكن الدّرس الحديث جَعَلَ هذه الفكرة المحور الذي يصدر عنه في دراسته.

وتبينّ أنّ خطأً مشتركاً يجمع بين الاتجاهات اللغويّة المعاصرة في تعريف الجملة، وهو تأكيد خطّيْ البناء والمعنى، وقد سبق النّحو العربيّ الى هذا ، عندما أشار الى أنّ الجملة هي اللفظ المستقل بنفسه المفيد فائدة يحسن السّكوت عليها. وهو النّمط العام الذي ارتضاه نحاة العربيّة.

وانتهى البحث إلى أنّ مفهومَ الجملةِ كلمةٌ أونظامٌ من الكلمات تتحد في وظيفة موقعيّة لأداء معنى، أو معنىَ المعنى في صياغة منتظمة وهي ذات مستويين:

الأول: يؤدي المعنى التّوليديّ المرتبط بالجانب السطحي أو المعنى المتعادل.

الثاني: يؤدي معنى المعنى المرتبط بالجانب التحويليّ أو المعنى العميق الذي تنتجه عناصر التّحويل.

واتضح أنّه لابد للنظرة اللغوية أنْ تأخذ السياق في تمييزمعنى الجملة، ويتوقف الاكتمال الدلاليّ لمعنى الكلمة بالنسبة لما يجاورها من الكلمات.

فالسياق هو العنصر الذي يوجه اللفظة في دلالة معينة، ومن خلاله نستطيع محاكمة النّص في ضوء نظرية النّظم، فهو يكسب اللفظة الإشعاع الذي يقدّم الظلال النفسيّة التي تمنح النص الجودة والحسن البلاغيّ.

واتضح أنّ قرينة الإعراب واحدة من مجموعة القرائن اللفظيّة والمعنويّة التي تسهم في أداء المعنى، وتتحد بغيرها من القرائن وتتفاوت قيمتها الدلاليّة وفق التركيب الذي ترد فيه وهكذا يتبينّ أن تفسير النّص في ضوء قرينة الإعراب يقتضي النّظر إلى الإعراب على أنّه مفتاح لتفسير النّص، وأنه قرينة تتضافر مع مجموعة من القرائن الدّلاليّة وتتفاعل معها في تأليف النّص الأدبيّ.

ملخص الرسالة

مدار اهتمام هذا البحث النّظر إلى النّظم على أنّه طريقة متقدمة في دراسة القيم الدلاليّة واكتناه العلاقات المكونّة للأسلوب، ويجمع دارسو النّقد العربيّ على أهمية المساهمة التي قدّمها الجرجانيّ في نظريّة النّظم.

ويمكن حصر أهم الاتجاهات الحديثة التي تناولت النّظم في اتجاهين:

الأول : دراسات تاريخية قصدت شرح نظريّة النّظم كما هي عند الجرجانيّ دون تجاوز لفكرة الدرس التاريخي.

الثّاني : دراسات تجاوزت البعد التّاريخي، وتعمقت في دراسة جانب واحد من مظاهر النّظم محاولة الاستفادة من الاتجاهات النقدية المعاصرة.

ويفرض البحث اللغويّ المتسارع أمراً لا مناص منه وهو إعادة النظر في الدرس اللغويّ بين الحين والآخر. وتفترض هذه الدّراسة أنّ نظرية النّظم قادرة أنْ تُمدُّ الدّراسات اللغويّة الحديثة بنظرية متكاملة في التّحليل اللغويّ. ويفسر النّظم عند الجرجانيّ على أنّه:« تعليق الكلم بعضها ببعض وجعل بعضها بسبب من بعض مع توخي معاني النّحو بين الكلم وَفْقَ الأغراض التي يُصاغ لها الكلام، فليس الغرض بنّظم الكلم أنْ توالت ألفاظها في النطق، بَلْ أنْ تناسقت دلالاتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل».

وقد وقع البحث في مقدمة وخمسة فصول :تناول الفصل الأول تدرج مفهوم النّظم بين النحاة والنقاد والبلاغيين، وجاء الفصل الثاني بَحْثاً في النّظم بين التّوليد والتّحويل، وتناول الفصل الثالث النّظم على أنّه تفاعل بين النّحو

والدلالة، وعرض الفصل الرابع أثر النّظم في مستويات التّحليل اللغويّ، ووقف الفصل الخامس على نظام الجملة بين الشكل والمعنى، وانتهى البحث بخلاصة بينت أهم النتائج التي توصل إليها.

وتبيّن أنّ النظرات الأولى عند النحاة تُبدي إحساسهم بأهمية النّظم، وبُنِي هذا الإحساس على أساس من النّحو الوصفيّ ثم تدرج إلى نظرة معيارية وصلت إلى مرتبة الحكم.

وكشف البحث أنّ ما وَرَدَ من نظرات نقديّة لا يقتصر أمرها على أنّها مَهدت لنظرية النّظم الجرجانية بَلْ قدّمت كثيراً من عناصر نظرية النّظم التي تجاوزت ثنائية اللفظ والمعنى وأعلت من قيمة النسق في اتحاد الشكل والمضمون.

وأظهرت نظريّة التّحويل اتفاقاً لافتاً ومنهج النّحو العربيّ في مجمل عناصرها، فقد عُني التّحويليون بكثير من القضايا التي اهتم بها النحاة العرب مثل :الحذف والزيادة والرتبة والعامل، وظهرت هذه العناصر ذات أهمية دلالية في موافقة الكلام لمقتضى الحال. وتشكل عناصر التّحويل نقطة تحول في دراسة النّحو العربيّ.

وتوصل البحث إلى أن ُالنّحو الجرجاني مفهوم مركب يشتمل عناصر منها: التعليق والإسناد والبناء والترتيب . وثمة تشابه بين نظرية الجرجاني وعِلْم اللغة الحديث في موضوع دراسة الجملة على أنّها ميدان التّحليل اللغويّ.

وتبيّن أن فكرة النّحو عند الجرجاني تصدر من نظام باطني عميق يرتبط بمجموعة من التحولات التّركيبيّة، وبذلك تجاوز النّحو الجرجانيّ معيار الصواب

والخطأ فتهدى إلى اجتياز القاعدة إلى معناها الجمالي. واتخذ النّظم الجرجاني اتجاهين : الأول :نّحوي يؤكد أهمية النّحو والمعاني النّحوية في الأداء والثاني: بلاغيّ يظهر الدلالات والقدرة الإيحائية.

وتبدو الجملة من خلال هذا البحث : كلمةً أو نظاماً من الكلمات تتحد في وظيفة موقعية لأداء معنى، أو معنى المعنى في صياغة منتظمة، وهي ذات مستويين: المستوى التوليدي المرتبط بالجانب السطحي أو المعنى المتعادل، المستوى الثاني: يؤدي معنى المعنى المرتبط بالجانب التّحويلي أو المعنى العميق الذي تنتجه عناصر التّحويل.

ABSTRACT

The main concern of this study is to view **al-nazm** (=Syntactic rhetoric) from a modern linguistic perspective as an advanced method of studying semantic values and relational components of style.

A careful look reveals that **al-nazm** is a full- fledged theory composed of constituent esthetic elements with its own rhetoricaL and syntactic status.

Al-nazm is defined by al-Jurjani as "relating elements of speech to each other making some dependent on others choosing the {proper} syntactic siginification according to which speech is composed."

The study reveals that **al-nazm** in modern linguistic studies is more or less the same conçept of **al-nazm** held by rhetoricians indicating thus remarkable agreement between the earlier approach and the modern generative, transformational, structural and stylsitic approaches.

Al- nazm studies have been associated with the studies of the Holy Quran which has been the focus of rhetorical investigation into the interpretation of the Quran explaining its verses and rhetorical devices as to their figurative aspects. Such studies, therefore helped develop **al-nazm**.

The study consists of an lntroduction and five chapters . the first chapter deals with the development of al-nazm concept among

syntacticians, critics and rhetoricians, the second chapter is an investigation of **al-nazm** between generation and transformation, the third chapter deals with **al-nazm** as a correlation between syntax and semantics, the fourth chapter discusses the influence of **al-nazm** on the levels of linguistic analysis; the fifth chapter is a study of sentence structure from the point of view of form and meaning;the most important findings are to be found in the last chapter.

المصادر والمراجع

أولا : العربية :

١- القرآن الكريم .

٢- الآمدي ، الحسن بن بشر : الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق : محمد محيي لدين، المكتبة العلمية-بيروت.

٣- ابراهيم ، زكريا : مشكلة البنية ، دار مصر للطباعة ، د.ت.

٤- :مشكلة الفن ، نشر : مكتبة مصر ، د.ت.

٥- ابن الأثير ، ضياء الدين : المثل السائر ، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر .

٦- الاستراباذي،رضي الدين : شرح الكافية في النحو ، دار الكتب العربية ، بيروت طـ (٣) ١٩٨٢.

٧- اسماعيل ، عز الدين : الأسس الجماليّة في النقد العربي، نشر: دار الفكر العربي طـ(٣) ١٩٧٤ .

٨- امرؤ القيس : ديوانه ، دار صادر - بيروت.

٩-ابن الأنباري : الإعراب في جدل الإعراب ولمع الأدلة، تحقيق : سعيد الأفغاني ، بيروت ط(٢) ١٩٧١.

١٠- الأندلسي ، أبو حيان : البحر المحيط ،ط(١) سنة ١٣٢٨هـ .

١١- أنيس ، إبراهيم : من أسرار اللغة ،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط(٦) ١٩٧٨ .

١٢- أولمان ، استيفن : دور الكلمة في اللغة ، ترجمة : كمال بشر، القاهرة ١٩٧٥م.

١٣- أيوب ، عبد الرحمن : دراسات نقدية في النحو العربي، مكتبة الأنجلو المصرية ، د.ت.

١٤- الباقلاني :إعجاز القران، تحقيق : السيد أحمد صقر ، دار المعارف - مصر ،

١٥- :التمهيد، تحقيق : محمود محمد الخضري و محمد عبد الهادي ، نشر دار الفكر العربي - القاهرة ١٩٤٧.

١٦- بدوي ، أحمد أحمد : أسس النقد الأدبي عند العرب، دارنهضة مصر د.ت .

١٧- :عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، الموسسة المصرية العامة ط(٢) د. ت .

١٨- برانق ، محمد أحمد : النحو المنهجي ،مطبعة لجنة البيان العربي، ط(٢) ١٩٥٩.

١٩- بعلبكي ، رمزي منير : معجم المصطلحات اللغويّة ، دار العلم للملايين ، بيروت ،ط(١) حزيران / يونيو ١٩٩٠ .

٢٠- بكار ، يوسف :بناء القصيدة العربية ،دار الأندلس للطباعة والنشر ، بيروت،ط(٢) ١٩٨٢.

٢١- :الوجه الآخردراسات نقدية، دار الثقافة – الدوحة ط(١) ١٩٨٥.

٢٢- ترزي ، فؤاد حنا : في أصول اللغة والنحو ، مطبعة دار الكتب بيروت، د.ت.

٢٣- تشومسكي : البنى النحوية ،دائرة الشؤون الثقافية العامة بغداد ، ترجمة: يؤيل يوسف ، ط(١) ١٩٨٧ .

٢٤- التفتازاني ، سعد الدين : مختصر التفتازاني على شروح التلخيص، ط(١) المطبعة الكبرى ببولاق مصر ١٣١٧ هـ .

٢٥- التوحيدي ، أبو حيان : الإمتاع والمؤانسة تحقيق : أحمد أمين وأحمد الزين ، نشر : مكتبة الحياة – بيروت د.ت.

٢٦- ثعلب ، أحمد بن يحيى : قواعد الشعر تحقيق : محمد عبد المنعم الخفاجي نشر : مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر،ط(١) ١٩٤٨م .

٢٧- الجاحظ ، عمرو بن بحر : البيان والتبين، تحقيق : عبد السلام هارون، نشر: مؤسسة الخانجي.

٢٨- الجاحظ ، عمرو بن بحر :الحيوان ، تحقيق : عبد السلام هارون نشر : مصطفى البابي الحلبي واولاده ١٩٣٨ م .

٢٩- :رسائل الجاحظ - الجد والهزل ، تحقيق : عبد السلام هارون نشر : مكتبة الخانجي - القاهرة .

٣٠- : العثمانية، تحقيق : عبد السلام هارون ، دار الكتاب العربي - مصر م١٩٥٥ م .

٣١- الجرجانيّ ، الشريف : التعريفات، مكتبة لبنان - بيروت ،ط(١) ١٩٨٣ .

٣٢- الجرجانيّ ، عبد القاهر : أسرار البلاغة ،نشر : دار المعرفة بيروت ١٩٧٨م

٣٣- : دلائل الإعجاز نشر : محمد رشيد رضا، دار المعرفة - بيروت د.ت.

٣٤- :دلائل الاعجاز، تحقيق :محمود شاكر، نشر :مكتبة الخانجي-القاهرة.

٣٥- :الرسالة الشافية - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف - مصر د.ت.

٣٦- :المقتصد في شرح الأيضاح ، المجلد الأول ، تحقيق : كاظم المرجان، نشر : وزارة الثقافة والأعلام العراقية ١٩٨٢ .

٣٧-الجرجانيّ ،علي بن عبد العزيز: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق :محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار احياء الكتبالعربية عيسى البابي الحلبي، ط(٢) ١٩٥١ .

٣٨- جعفر ، قدامة : نقد الشعر ، تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الكتب العلمية - بيروت .

٣٩- الجندي ، أنور :الفصحى لغة القرآن ، دار الكتاب اللبناني - بيروت، د.ت.

٤٠- الجندي ، درويش : نظرية عبد القاهر في النظم، نشر : مكتبة نهضة مصر بالفجالة ،١٩٦٠ .

٤١- ابن جني : الخصائص تحقيق : محمد علي النجار بيروت، ط(٢) .

٤٢- :سر صناعة الإعراب تحقيق : السقا وآخرون مطبعة : مصطفى البابي الحلبي - مصر ط(١) ١٩٥٤ .

٤٣- :المحتسب تحقيق : علي النجدي ناصف وعبد الحليم النجار وعبد الفتاح شلبي ، القاهرة ١٣٨٦ .

٤٤- حسام الدين ، كريم : أصول تراثيه في علم اللغة المعاصر ، مكتبة الأنجلو المصرية ط(٢) ١٩٨٥ .

٤٥- حسان ، تمّام : اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة - الدار البيضاء، د.ت.

٤٦- حسان ، تّمام :اللغة العربية معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب،ط(٢) ١٩٧٩.

٤٧- الحموي،ياقوت :معجم الأدباء، دار المستشرق -بيروت د.ت.

٤٨- خرما ، نايف : أضواء على الدراسات اللغويّة المعاصرة ، عالم المعرفة،ط(٢) أيلول ١٩٧٨ .

٤٩- الخفاجي ، ابن سنان : سر الفصاحة ،دار الكتب العلمية - بيروت ،ط(١) ١٩٨٢ م .

٥٠- الخطابي : بيان إعجاز القرآن - ثلاث رسائل في اعجاز القرآن، تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام دار المعارف - مصر،

٥١- ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، دار احياء التراث، ط(٤) بيروت ، د.ت.

٥٢- الخولي ، محمد علي : قواعد تحويلية للنحو العربي ، نشر : المملكة العربية السعودية - الرياض ط(١) ١٩٨١

٥٣- دهمان ، أحمد : الصورة البلاغية عند عبد القاهر الجرجاني منهجا وتطبيقا، دار طلاس - دمشق، ط(١) ١٩٨٦ .

٥٤- أبو ديب ، كمال : جدلية الخفاء والتجلي ،دار العلم للملايين ،ط(٢) ١٩٨١ .

٥٥- ذريل ، عدنان : اللغة والدلالة م : دمشق ١٩٨١.

٥٦- ذريل ، عدنان :اللغة والأسلوب،نشر:اتحاد الكتاب العرب دمشق ١٩٨٠.

٥٧- الراجحي ، عبده : النّحو العربيّ والدرس الحديث ،دار النهضة العربية - بيروت، ١٩٧٩.

٥٨- الرازي ، فخر الدين : نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق : ابراهيم السامرائي ومحمد بركات أبو علي، الأردن ١٩٨٥.

٥٩- الرافعي ، مصطفى صادق إعجاز القرآن ،نشر :دار الكتاب العربي بيروت،

٦٠- رتشاردز،إ.ا : مبادئ النقد الأدبي ، ترجمة : مصطفى بدوي، المؤسسة المصرية العامة ١٩٦٣ .

٦١- ابن رشيق ، القيرواني : العمدة تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ،ط(٤) ١٩٧٢ م .

٦٢- الرماني ، علي بن عيسى : النكت في إعجاز القرآن - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن تحقيق : محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف - مصر .

٦٣- : رسالتان في اللغة ، تحقيق : ابراهيم السامرائي دار الفكر - عمان .

٦٤- الزجاجي : الإيضاح في علل النّحو ،تحقيق : مازن المبارك، دار النفائس،ط(٣) ١٩٧٩ .

٦٥- الزركشي ، محمد بن عبدالله : البرهان في علوم القرآن تحقيق : مصطفي عبدالقادر ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط(١) ١٩٨٨.

٦٦- زكريا ، ميشال : الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر بيروت ط(١) ١٩٨٢.

٦٧- الزمخشري : المفصل في علم العربية ، ط(٢)، دار الجيل بيروت - لبنان،

٦٨- : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل،تحقيق : مصطفى حسين أحمد ، مطبعة الاستقامة - القاهرة ، ط(٢) ١٩٥٣م .

٦٩- زهران البدراوي : عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني المفتن في العربية ونحوها ،دار المعارف - القاهرة ،ط(٢) ١٩٨١ .

٧٠- الساقي ، فاضل : أقسام الكلام العربيّ من حيث الشكل و الوظيفة، نشر: مكتبة الخانجي - القاهرة ١٩٧٧ .

٧١- بسالم ، محمد : علم الجمال، دار الفكر الجامعي - الأسكندرية،

٧٢- السامرائي ، ابراهيم : النحو العربي نقد وبناء، دار صادق بيروت،

٧٣- ابن السراج : الأصول في النحو، تحقيق : عبد الحسين الفتيلي، مطبعة : سلمان الأعظمي - بغداد ١٩٧٣ .

٧٤- السعران . محمد : علم اللغة مقدمة للقارئ العربي ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت .

٧٥- السّكاكي ، أبو يعقوب : مفتاح العلوم، تحقيق : نعيم زرزور دار الكتب العلمية - بيروت، ط(١) ١٩٨٣ .

٧٦- سلامة ، إبراهيم : بلاغة أرسطو بين العرب واليونان، نشر : مكتبة الأنجلو المصرية ط(٢) ١٩٥٢ .

٧٧- السمرة ، محمود : القاضي الجرجاني الأديب الناقد ،المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ،ط(٢) ١٩٧٩ .

٧٨- :مقالات في النقد الأدبي، دار الثقافة - بيروت،

٧٩- السوافيري،كامل : دراسات في النقد الأدبي ،مكتبة الوعي العربي - القاهرة ١٩٧٩ .

٨٠- سوسير ، فردينان دي : محاضرات في الألسنية العامة، ترجمة : يوسف غازي ومجيد نصر ،دار نعمان للثقافة ١٩٨٤ .

٨١- سيبويه : الكتاب ، تحقيق : عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة ١٩٧٣ .

٨٢- السيوطي ، جلال الدين : الأشباه والنظائر ،تحقيق:عبد الرؤوف سعد، نشر مكتبة الكليات ،١٩٧٥.

٨٣-السيوطي ، جلال الدين :المزهر في علوم اللغة وانواعها تحقيق : محمد عبد المنعم خفاجي دار الكتب العلمية -بيروت،

٨٤- : بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ،دار الفكر ط(٢) ١٩٧٩م .

٨٥- :شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان، مطبعة دار احياء الكتب العربية مصر، د.ت.

٨٦- :همع الهوامع، تحقيق : عبد السلام هارون وعبد العال مكرم،دار البحوث العلمية الكويت ١٩٧٥ .

٨٧- الشايب ، أحمد : الأسلوب ،مكتبة النهضة المصرية، ط(٤).

٨٨- شوملي ، قسطندي : مدخل الى علم اللغة الحديث، القدس ،ط(٢) ١٩٨٦.

٨٩- الصالح ، صبحي : دراسات في فقه اللغة ،دار العلم للملايين بيروت، ط(٦) ١٩٧٦ .

٩٠- الصاوي ، أحمد : النقد التحليلي عند عبد القاهر الجرجاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، فرع الأسكندرية ١٩٧٩ .

٩١- صمود ، حمادي : التفكير البلاغي عند العرب، نشر : الجامعة التونسية ١٩٨١.

٩٢- الضامن،حاتم : نظرية النّظم، نشر: وزارة الثقافة والإعلام-بغداد ١٩٧٩.

٩٣- ضيف ، شوقي : البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف القاهرة ، ط(٦).

٩٤- : في النقد الأدبي دار المعارف بمصر ،ط(٢)، د.ت.

٩٥- طاهر ، علي جواد : مقدمة في النقد الأدبي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت ،ط(١) ١٩٧٩ .

٩٦- ابن طباطبا : عيار الشعر ، تحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية - بيروت ،ط(١) ١٩٨٢ م .

٩٧- طبانة ، بدري : التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ،دار الثقافة - بيروت ١٩٨٥ .

٩٨- : البيان العربي دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب،مكتبة الأنجلو المصرية ،ط(٣) ١٩٦٢م .

٩٩- : قضايا النقد الأدبي ،مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.

١٠٠- الطبري : جامع البيان عن تأويل القرآن، تحقيق : محمود محمد شاكر، دار المعارف - مصر .

١٠١- طحان ، ريمون : الألسنة العربية ، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط(٢) ١٩٨١ .

١٠٢- عامر ، فتحي ، أحمد : فكرة النظم بين وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، نشر : المعارف الأسكندرية ١٩٨٨ .

١٠٣- عباس ، احسان : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ،دار الثقافة - بيروت،ط(٤) ١٩٨٣ .

١٠٤- عبد البديع ، لطفي : التركيب اللغويّ للأدب، مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠.

١٠٥- عبد التواب ، رمضان : فصول في فقه العربية ، نشر : مكتبة الخانجي - القاهرة، ط(٢) .

١٠٦- :المدخل في علم اللغة ومناهج البحث اللغويّ، نشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة ، دار الرفاعي -الرياض ، ط(١) ١٩٨٢ .

١٠٧- عبد الجبار ، القاضي : المغني في أبواب التوحيد والعدل جـ١٦، تحقيق : أمين الخولي، نشر : مطبعة دار الكتب - القاهرة، ط(١) ١٩٦٠م.

١٠٨- عبد النور ، جبور : المعجم الأدبي، دار العلم للملايين - بيروت ،ط(١) أذار مارس ١٩٧٩ .

١٠٩- عبده ، داود : أبحاث في اللغة ، مكتبة لبنان ١٩٧٣ .

١١٠- أبو عبيدة : مجاز القرآن، تحقيق : محمد فؤاد سزكين ،نشر : محمد سامي الخانجي، مصر، ط(١) ١٩٥٤ .

١١١- عرفة ، عبد العزيز : تربية الذوق البلاغي عند عبد القاهر الجرجاني، دار الطباعة المحمدية - الأزهر، ط(١) ١٩٨٣ .

١١٢- عرفة ، محمد أحمد : النحو والنحاة ، مطبعة السعادة د.ت.

١١٣- العزب ، محمد أحمد : عن الأدب واللغة (رؤية تاريخية ورؤية فنية) ، نشر : المركز العربي للثقافة والعلوم - بيروت

١١٤- ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، جـ٥، تحقيق : محمد جاد الحق ،دار الكتب الحديثة د.ت.

١١٥-العسكري،أبو الحسن : المصون في الأدب، دائرة المطبوعات والنشر - الكويت ١٩٦٠ .

١١٦-العسكري، أبو هلال :كتاب الصناعتين ،الكتابة والشعر، تحقيق : مفيد قميحة دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٨٤ م .

١١٧- العشماوي ، محمد زكي : قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ، دار النهضة - بيروت ١٩٧٩ .

١١٨- ابن عصفور : المقرب ، تحقيق : أحمد عبد الستار الجواري وعبدالله الجبوري ،مطبعة العاني - بغداد ١٩٧١ .

١١٩- أبو علي ، محمد بركات : نظرات وأراء ، مكتبة الرسالة ، عمان ١٩٧٦

١٢٠- : مفهوم المعنى بين الأدب والبلاغة ، دار البشير الأردن ١٩٨٨ .

١٢١-علي، محمد كرد :رسائل البلغاء ، مطبعة :لجنة التأليف والترجمة والنشر- القاهرة ط(٤) ١٩٥٤م.

١٢٢- عمايرة ، خليل : في نحو اللغة وتراكيبها عالم المعرفة- جدة ١٩٨٤م .

١٢٣- عمر ، أحمد مختار : علم الدلالة ، مكتبة دار العروبة -الكويت ١٩٨١.

١٢٤- عيد، محمد : أصول النحو العربي ،عالم الكتب - القاهرة ١٩٧٣ .

١٢٥- عياد، شكري : اتجاهات البحث الأسلوبي ،دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض - السعودية ،ط(١) ،

١٢٦- الغذامي ، عبدالله : الخطيئة والتكفير ،جدة - المملكة العربية السعودية،ط(١) ١٩٨٥ .

١٢٧- غريب ، روز : النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، دار العلم للملايين - بيروت،

١٢٨- فاخوري ، عادل : اللسانية التوليدية والتحويلية ،نشر : لبنان الجديد ، بيروت، ط(١) ١٩٨٠ .

١٢٩- ابن فارس : الصاحبي في فقه العربية، تحقيق : مصطفى الشويمي ،نشر : مؤسسة بدران - بيروت

١٣٠- الفارسي ، أبو علي : المسائل العسكريات، تحقيق : اسماعيل عمايره، نشر: الجامعة الأردنية ١٩٨١ .

١٣١- فريحة ، أنيس : نظريات في اللغة عدد (٣) دار الكتاب اللبناني - بيروت ط(١)،،

١٣٢- فضل صلاح : نظرية البنائية ، نشر : مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٠ .

١٣٣- فضل صلاح : علم الأسلوب مبادئة واجراءاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،ط(٢) ١٩٨٥ .

١٣٤- فندريس : اللغة ، ترجمة : الدواخلي والقصاص، نشر : مكتبة الأنجلو المصرية - مطبعة البيان العربي،

١٣٥- فيصل ، شكري : مناهج الدراسات الأدبية ،دار العلم للملايين بيروت ط(٣) ١٩٧٣ م .

١٣٦- ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن، تحقيق : أحمد صقر ،دار التراث - القاهرة ط(٢) ١٩٧٣ .

١٣٧- :أدب الكاتب ، دار صادر بيروت، طبع مدينة ليدن ١٩٦٧.

١٣٨- القرطاجني ، حازم : منهاج البلغاء ، وسراج الأدباء، تحقيق : محمد الحبيب الخوجة ، دار الغرب الأسلامي - بيروت، ط(٢) ١٩٨١م .

١٣٩- القرطبي ، أبو عبدالله : الجامع لأحكام القرآن ،دار الكاتب العربي -مصر، ط(٣) ١٩٦٧م .

١٤٠- القزويني ، الخطيب : الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية بيروت،ط(١) ١٩٨٥م .

١٤١- : التلخيص في علوم البلاغة ،دار الكتاب العربي - بيروت.

١٤٢- كروتشة ، بندتو : المجمل في فلسفة الفن، ترجمة وتقديم : سامي الدروبي، دمشق، ط(٢) ١٩٦٤ م .

١٤٣- كريستل ، دافيد : التعريف بعلم اللغة ترجمة : حلمي خليل ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٩ م .

١٤٤- ماريوباي : أسس علم اللغة، ترجمة : أحمد مختار عمر ، نشر : عالم الكتب – القاهرة ، ط(٢) ١٩٨٣ .

١٤٥- المبارك ، محمد : فقه اللغة وخصائص العربية ،دار الفكر ط(٧) ١٩٨١ م .

١٤٦- المبرد ، أبو العباس : المقتضب، تحقيق : محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب – بيروت د. ت .

١٤٧- :البلاغة، تحقيق : رمضان عبد التواب، نشر : مكتبة الثقافة الدينية – القاهرة ط(٢) ١٩٨٥

١٤٨-المخزومي ، مهدي : في النحو العربي نقد وتوجيه، نشر : مصطفى البابي الحلبي، بمصر، ط(٢) ١٩٨٥.

١٤٩- :مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو نشر: مصطفى البابي الحلبي، بمصرط(٢) ١٩٨٥.

١٥٠- المدبر ، ابراهيم : الرسالة العذراء ، تحقيق : زكي مبارك م ، دار الكتب المصرية – القاهرة ،ط(٢) ١٩٣١ .

١٥١- مراد ، وليد محمد : نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغويّة عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر - دمشق، ط(١) ١٩٨٣

١٥٢- المرزباني : الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ،المطبعة السلفية - القاهرة، ط(٢) ١٣٨٥

١٥٣- المرزوقي : شرح ديوان الحماسة، تحقيق : أحمد أمين وعبد السلام هارون،م : لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ط(١) ١٩٥١م .

١٥٤- المسدي ، عبد السلام : الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب - تونس ١٩٧٧م .

١٥٥- مصطفى ، ابراهيم : إحياء النحو، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧.

١٥٦- مصطفى ، محمد صلاح الدين: النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم ، نشر : مؤسسة علي جراح الصباح - الكويت، د.ت.

١٥٧- مطلوب ، أحمد : عبد القاهر الجرجاني بلاغته ونقده - بيروت، ط(١) ١٩٧٣م .

١٥٨- الملاح ، ياسر : النظام النحوي في اللغة العربية نشر : جامعة القدس ط(١) ١٩٨٣.

١٥٩- :المنهج التوليدي والتحويلي في دراسة اللغة، ط(١) سنة ١٩٨٤.

١٦٠- ابن منظور : لسان العرب المجلد الثاني عشر دار صادر بيروت

١٦١- الموسى ، نهاد : في تاريخ العربية : أبحاث في الصورة التاريخية للنحو العربي، نشر : الجامعة الأردنية ١٩٧٦ .

١٦٢- :نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغويّ الحديث دار البشير-الأردن، ط(٢) ١٩٨٧.

١٦٣- مونان ، جورج : علم اللغة في القرن العشرين، ترجمة : نجيب غزاوي ، وزارة التعليم العالي - الجمهورية العربية السورية ، د.ت.

١٦٤- ناصف ، علي النجدي : من قضايا اللغة والنحو ، مكتبة نهضة مصر - الفجالة ، د.ت.

١٦٥- نايل ، محمد : نظرية العلاقات او النظم بين عبد القاهر والنقد العربي الحديث، دار الطباعة المحمديّة-القاهرة د.ت

١٦٦- النويهي ، محمد : قضية الشعر الجديد مكتبة الخانجي، دار الفكر، ط(٢) ١٩٧١ .

١٦٧- هارون ، عبد السلام : الأساليب الإنشائية في النّحو العربي ،مكتبة الخانجي بمصر ١٩٧٩.

١٦٨- هدارة ، محمد مصطفى: اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، ط(٢)، دار المعارف - مصر .

١٦٩- ابن هشام : مغني اللبيب، تحقيق : مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله ، دار الفكر ط(٥) ١٩٧٩ .

١٧٠- هلال ، محمد غنيمي : النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر - القاهرة .

١٧١- هوكز ، ترنس : البنيوية وعلم الأشارة ،ترجمة : مجيد الماشطة ادارة الشؤون الثقافية العامة، ط(١) ١٩٨٦.

١٧٢- الوعر ، مازن : نحو نظرية لسانية عربية حديثة لتحليل التراكيب الأساسية في اللغة العربية، دار طلاس -دمشق، ط(١) ١٩٨٧ .

١٧٣- ابن وهب ، الكاتب : البرهان في وجوه البيان، تحقيق : أحمد مطلوب وخديجة الحديثي م : جامعة بغداد ط(١) ١٩٦٧.

١٧٤- ويلك ، ورينيه : نظرية الأدب، ترجمة محيي الدين صبحي وحسام الخطيب، نيوهافن أيلول ١٩٦٢ .

١٧٥- اليافي ، نعيم : تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، نشر : اتحاد الكتاب العرب د. ت.

١٧٦- ابن يعيش : شرح المفصل ، عالم الكتب - بيروت ، ومكتبة المتني - القاهرة د.ت .

المجلات والدوريات

١- ابراهيم، نبيلة : البنائية بين العلم والفلسفة ، الأقلام العدد الرابع ، السنة الثالثة عشرة كانون الثاني ١٩٧٨.

٢- إسلام ، عزمي : مفهوم المعنى دراسة تحليلية ،حوليات كلية الآداب ، جامعة الكويت، الحولية السادسة، الرسالة الحادية والثلاثون ١٩٨٥ .

٣- بدوي ، عبد الرحمن : اللغة والمنطق في الدراسات الحالية، عالم الفكر- المجلد الثاني ، العدد الأول مايو يونيه ١٩٧١

٤- خلف الله ، محمد : نظرية عبد القادر الجرجاني في أسرار البلاغة ، مجلة كلية الآداب بجامعة فاروق الأول ، المجلد الثاني ١٩٤٤ .

٥- أبو ديب ، كمال : نحو منهج بنيويّ في تحليل الشعر، مواقف عدد(٣٢) صيف ١٩٧٨ .

٦- الراجحي ، عبده : علم اللغة والنّقد الأدبي (علم الأسلوب)، مجلة فصول المجلد الأول العدد الثاني يناير ١٩٨١ .

٧- زكريا ، ميشال : الألسنية العقلانية وانتقاد علم النفس السلوكي، الفكر العربي المعاصر العدد ٢٣، كانون اول ١٩٨٢ .

٨- ستيتية ، سمير : منهج التحليل اللغويّ في النقد الأدبي، مجلة آداب المستنصرية ،العدد السادس عشر ١٩٨٨ .

٩- شريبط . شريبط أحمد : واقع الدراسة اللسانية وآفاقها في العالم العربي ، مجلة فصول ، المجلد الخامس ،العدد الرابع يوليو ١٩٨٥ .

١٠- صالح ، هاشم : البنيوية والحداثة ، مواقف، العدد ٣٦ شتاء ١٩٨٠.

١١- عبده ، داود : التقدير وظاهر اللفظ، مجلة الفكر العربي ،عدد ٨ و ٩ ، ١٩٧٩ .

١٢- عصفور ، جابر : قراءة في لوسيان جولدمان عن البنيويه التوليدية، فصول المجلد الأول، العدد الثاني يناير ١٩٨١ .

١٣- العطار ، سليمان : الأسلوبية علم وتاريخ، مجلة فصول، المجلد الأول، يناير ١٩٨١ .

١٤- عياد ، محمود : الأسلوبية الحديثة محاولة تعريف، مجلة فصول، المجلد الأول،العدد الثاني يناير ١٩٨١ .

١٥- فضل ، صلاح : علم الأسلوب وصلته بعلم اللغة، مجلة فصول ، المجلد الخامس،العدد الأول ديسمبر ١٩٨٤ .

١٦- مالك ، عزة آغا : الأسلوبية من خلال اللسانية، الفكر العربي المعاصر، العدد ٣٨ آذار ١٩٨٦

١٧- المسدي ، عبد السلام : اللسانيات بين لغة الخطاب وخطاب الأدب ، الأقلام، العدد التاسع ، ايلول ١٩٨٣ .

١٨- : المقاييس الأسلوبية في النقد الأدبي من خلال البيان والتبيين الأقلام، العدد (١١) ١٩٨٠ .

١٩- المهيري، عبد القادر : الجملة في نظر النحاة العرب ،حوليات الجامعة التونسة، العدد الثالث ١٩٦٦

٢٠- : مساهمة في التعريف بآراء عبد القاهر الجرجانيّ في اللغة والبلاغة ،مجلة الحوليات التونسية ،عدد (١١) ١٩٧٤ .

٢١- موركاروفسكي ، يان : اللغة بين المعيارية واللغة الشعرية، ترجمة : ألفت كمال الروبي ،مجلة فصول ،المجلد الخامس، العدد الأول ديسمبر ١٩٨٤ .

٢٢- أبو ناضر ، موريس : مدخل الى علم الدّلالة الألسنيّ ،الفكر العربي المعاصر،العددان ١٨ و ١٩، شباط آذار ١٩٨٢ .

٢٣- نجيب ، ابن كلثوم : البنيويون والدّلالة ، الفيصل، العدد (١٤٦) ، السنة الثالثة عشرة آذار ١٩٨٩ .

٢٤- نهر ، هادي : الدّراسات اللغويّة عند العرب المعطيات والمآخذ ، مجلة آداب المستنصرية، العدد (٣) ،مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٨م .

المراجع الأجنبية :

1- BLOOMFIELD , L , Language , New York , Holt Rinehart and winston , 1976 .

2- CHOMSKY , N .,Aspects of the theory of syntax , Cambridge , Mass , MIT press 1965 .

3- FROMKIN , VICTORIA , Rodman , Robert , An Introduction to language , Third Edition Holt - Saunders , Japan , 1983 .

4- LEHMANN, WINFRED . P , Descriptive Linguistics , 2D edition , New York .

5- SAPIR , E. Language , Nwe york , 1971 .

6- WALSH , MARTIN , WALSH , A . K , Plain English hand book , Fifth Edition , Cincinnati , Ohio .

فهارس الكتاب

١) فهرس الشواهد القرآنية الكريمة.
٢) فهرس المصطلحات اللغويّة والنّحويّة.
٣) فهرس المصطلحات البلاغيّة.
٤) فهرس المصطلحات النّقديّة.
٥) فهرس الأعلام.
٦) فهرس الأشعار.
٧) فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

١٥- النّور

٣٩	«والّذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجدْه شيئاً»	٤٦

١٦- ياسين

١٣، ١٦	«فقالوا إنّا إليكم مُرسلون، قالوا ما أنتم إلاّ بشر مِثْلُنا وما أنزل الرحمن من شيء إنْ أنتم إلاّ تكْذبون، قالوا ربنا يَعْلَمُ إنّا إليكم لمرسلون»	٢٤٣

١٧- الزُّمر

٢٣	«اللّه نزّل أحسنَ الحديث»	١٠٢
٣٦	«أليْسَ اللّه بكافٍ عبْدَه»	١١٣، ١١٥، ١١٦

١٨- غافر

٣	«غافر الذّنْب وقابل التّوب شديد العقاب»	١٤٧
٨١	«فأيَّ آيات اللّه تُنكِرون»	٢٢٤

١٩- محمد

٢١	«طاعةٌ وقولٌ مَعروفٌ»	١٧

٢٠- القمر

٢١- الرحمن

٢٢-الواقعة

٢٣- القيامة

٢٤- اللّيل

٢٥- العصر

فهرس المصطلحات اللغويّة والنّحويّة

فهرس المصطلحات البلاغية

فهرس المصطلحات النقدية

فهرس الأعلام

فهرس الأشعار

فهرس ابواب الكتاب